دراسات

إيريك سكاريه

الجهاد الرَّقْمي

المقاومة الفلسطينية في العصر الرَّقْمي

مكتبة

ترجمه عن الإنكليزية: **منصور العمري**



المتوسط

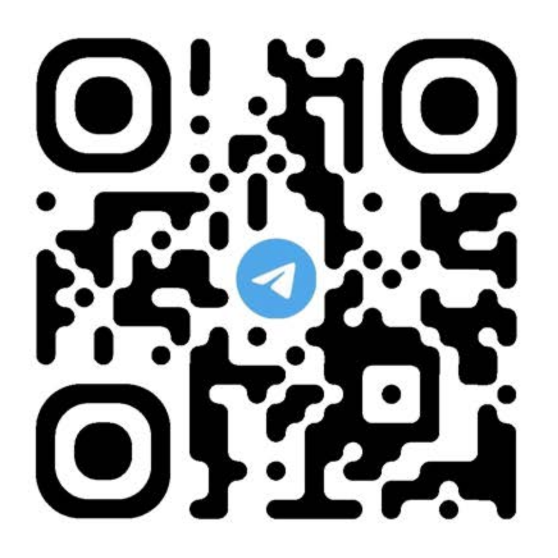
الجهاد الرَّقْمي

لن ننسى تشرين . . 23

لن ننسى غزة والشهداء

انضم لـ مكتبة .. امسح الكود

telegram @soramnqraa



المؤلف إيريك سكاريه: ناشط ومحرّر في موقع إنفوفاضة (Infofada) الإلكتروني المناصر للفلسطينيين. مؤلّف كتاب: "عن فلسطين: دليل سفر سياسي" باللغة النرويجية.

***

منصور العمري: مترجم وصحفي سوري. بكالوريوس في اللغة الإنكليزية وآدابها من جامعة لندن. وهو ناشط حقوقي، لعب دوراً أساسياً في نقل وجهة النظر الغربية عن الشأن السوري إلى العالم العربي، من خلال ترجماته في الصحافة. يعمل العمري مترجماً في هيومن رايتس ووتش، وترجم عدة أعمال أدبية وبحثية منها: العميل السري لجوزيف كونراد، و"اليوم نرمي القنابل وغدا نبني الجسور" لـ بيتر غيل، واعترافات إرهابي لريتشارد جاكسون.

حاصل على جائزة PEC وجائزة هيلمان هاميت للكُتّاب.

بدأ نشاط الإنترنت العربي عموماً، والمناصرة الإلكترونية خصوصاً، بلَفْت الانتباه على نطاق أوسع مع اندلاع الربيع العربي. من خلال مهاجمة المواقع الإلكترونية الحكومية في تونس والبحرين، بالإضافة إلى البورصة التونسية. استُخدِم الإنترنت كأداة للتغيير الديمقراطي في المنطقة. شهدنا تصاعداً في شراسة فِرَق المناصرة الإلكترونية العربية مع زيادة في عدد المواقع الإسرائيلية المستهدَفَة، منذ بداية الربيع العربي.

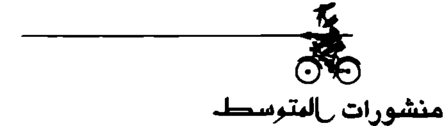
يؤكد مؤلف هذا الكتاب، إيرك سكاريه، الخبير في مجال الدراسات العربية والشرق الأوسط، وليس في علوم الكومبيوتر، إن هذا الكتاب وقبل كل شيء: «هو دراسة للمقاومة الفلسطينية والوسائل الجديدة المستخدَمة في العصر الرَّقْمي. لذلك حاولتُ تجنّب التعمّق في المسائل التقنية قدر الإمكان. ربمّا يعرف الناشطون في مجال القرصنة الإلكترونية أكثر مني في هذا المجال بالذات. بدلاً من ذلك، أحاول الإجابة على الأسئلة التالية: مَنْ هم هؤلاء الهاكر الفلسطينيين؟ ماذا يفعلون؟ ولماذا؟ وأخيراً، وليس آخراً، هل يمكن اعتبار النشاط البرمجي الذي تمارسه هذه المجموعات جزءاً من المقاومة الفلسطينية ضدّ الإسرائيليين؟»

منشورات المتوسط



المؤلف: إيريك سكاريه / المترجم: منصور العمري
عنوان الكتاب: الجهاد الرَّقمي - المقاومة الفلسطينية في العصر الرقمي
الطبعة الأولى: ٢٠١٨.
تصميم الغلاف والإخراج الفني: الناصري

ISBN: 978-88-85771-71-0



منشورات المتوسط

ميلانو / إيطاليا / العنوان البريدي:
Alzaia Naviglio Pavese. 120/ 20142 Milano / Italia
العراق / بغداد / شارع المتنبي / محلة جديد حسن باشا / ص.ب 55204.
www.almutawassit.org / info@almutawassit.org

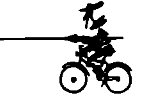


إيريك سكاريه

الجهادُ الرَّقْمي

المقاومة الفلسطينية في العصر الرَّقْمي

ترجمه عن الإنكليزية: منصور العمري



المتوسط

إهداء المؤلّف

إلى يون بورغي هانسين، وبقية الحَرَس القديم

شكر وعرفان



أدين بالامتنان لكثير من الناس لمساعدتهم في إنجاز هذا الكتاب. أوّلاً للبروفسور المشارك ألبريست هوفهينز مشرفي الرئيس في البحوث التي استند إليها هذا الكتاب، والذي عرّفني على قضية الناشطين الإلكترونيين (Hactivist) العرب والقرصنة (Hacking) في الشرق الأوسط منذ عدّة سنوات في جامعة أوسلو. استفدتُ كثيراً من معرفته الواسعة في الإنترنت وتطوّره في منطقة الشرق الأوسط. أدين أيضاً بالامتنان الكبير لمشرفي الثانوي، البروفسور برينيار ليا. أشعر بالسعادة لأني عملتُ لديه في أثناء تأليف هذا الكتاب، وهو قدوتي الأكاديمية في نواح كثيرة. قدّم كلٌّ من هوفهينز وليا نصائحَ لا تُقدَّر بثمن، ونقداً بنّاءً، والأهم من ذلك التشجيع والدعم المعنوي خلال العملية برمّتها. أنا مدين إلى الأبد لمداخلاتهما. كانت البروفسور المشارك في جامعة أوسلو، بيريت ثوربيونسرود، عوناً كبيراً، وكانت عينها حريصة على أدق التفاصيل والمحاور العامة، بحيث لم يمكن إنجاز هذا الكتاب على شكله الحالي لولاها. كما قدّمت شارلوت ليزا وميريم شاكرون مساعدة كبيرة.

أتقدّم بالشكر والامتنان أيضاً لكلّ الأشخاص الرائعين الذين يعملون في قسم "دراسات الثقافة واللغات الشرقية" في جامعة أوسلو الذين منحوني من وقتهم لمناقشة حتّى أصغر تفاصيل موضوع الكتاب. أنا ممتنٌ أيضاً لما فعلوه بقصد أو عن غير قصد، في خَلْق بيئة عمل آمنة، تُشجّع الناس على

العمل وعدم الخوف من الفشل حتّى النجاح. آن ستينرسين، الباحثة في مؤسّسة أبحاث الدفاع النرويجية، وخلال فترة وجودي هناك كانت معلّمة لي، وأصبحت صديقة جيدة. تُدهشني دوماً معرفتها بالإسلام الراديكالي، والجهادية والإنترنت. قدّمت لي مساعدة لا تُقدّر بثمن في هذا الكتاب، وأنا ممتنٌّ جداً لمساهمتها. إنها حقاً امرأة رائعة.

كانت ريما آسيا دائماً حاضرة لمساعدتي بوجهات نَظَر جديدة وأفكار وطُرُق مقاربة الجوانب السياسية لهذا الكتاب. هي واحدة من أقوى وألمع النساء الفلسطينيات اللاتي أعرفهنّ. دَفَعَ بير أتلي بيدرسن ثمنَ وجبات العشاء وكمّيّات القهوة غير الصّحّيّة التي تناولناها عند مناقشة الجوانب السياسية والتكنولوجية لهذا الكتاب. شتاينر بيدرسن وغولبراند جياكوب هيليبيري وأوليه إيغي، بالإضافة إلى بير أتلي، هم من الحَرَس القديم الذين أهديتُ هذا الكتاب لهم. قدّم بيدير مارتن ليسيتول البروفسور المشارك في جامعة سور ترونديلاغ، وبيتر بوك من الوكالة النرويجية للتعاون الإنمائي (نوراد) ملاحظات هامّة على الأفكار السياسية الرئيسة لهذا الكتاب، وتصحيحات حتّى لأصغر التفاصيل. صديقي العزيز ماجني هاغسيتر ساعدني في الكتاب، وما لا يعرفه عن القضية الفلسطينية لا يستحقّ المعرفة. أيضاً، كاميلا أختي غير الشقيقة كانت عوناً كبيراً في هيكلة الحجج، وتوضيح الإجابات على الأسئلة التي كنتُ أطرحها.

تستحقّ كيم ووكر، محرّرة الكتاب شكراً خاصاً لدعمها لي وإيمانها بهذا الكتاب. إنها أفضل محرّرة. أنا ممتنٌّ حقاً لمراجعات الزملاء للكتاب، والتي كانت على مستوى عالٍ من الاحترافية، بحيث حسّنَتِ الكتابَ بطُرُق، لم أكن أتصوّرها.

أنا مدين لحبيبتي ماتيلده، التي قرأت المسودة عدّة مرّات، وقدّمت لي آراء لا تُقدّر بثمن، وشجّعتني أيضاً على مواصلة الكتابة عندما كنتُ أشعر أني سأتوقّف.

أخيراً، أنا ممتنٌّ لمساعدة ودَعْم والديّ في أثناء إنجاز هذا الكتاب، وخلال السنوات الماضية من قراءة وتصحيح وتعليق على كلٍّ ما كنتُ أكتبه. لم يكن هذا الكتاب ليكتملَ لولاهما. خصوصاً والدتي، البروفسورة المشاركة في جامعة ترومسو، والتي قضتْ كثيراً من الوقت في قراءة المسودة، ووفّرت لي موارد مفيدة. أيضاً والدي الذي كان يمكن أن يكون عالِماً ممتازاً وأكاديمياً إلا أنه اختار الاستمتاع بالحياة بدلاً من ذلك. جميع العيوب والأخطاء التي تسلّلت إلى الكتاب هي مسؤوليّتي وحدي.

أُنجِزَ هذا الكتابُ بمساعدة مالية من "الجمعية النرويجية لكتّاب الأدب غير الخيالي والمترجمين".

ملاحظات تحريرية

الأسماء وإخفاء الهوية

حجبتُ أسماء عديد من المصادر في هذا الكتاب، منهم في الضّفّة الغربية، وفي مقابلات مع الهاكرز، ومحادثات مع مصادر في أجهزة الاستخبارات النرويجية.

حجبتُ أسماء بعض الفلسطينيين بعد مناقشة عديد من الجوانب، لخضوعهم للاحتلال العسكري، والمخاطر التي تنطوي على ذلك. ينطبق الأمر نفسه على المصادر في أجهزة الاستخبارات النرويجية الذين لا يواجهون التداعيات نفسها التي يواجهها الفلسطينيون، ولكنْ، رغم ذلك لا ينبغي تعريضهم لخطر فقدان وظائفهم. حجبتُ بعض الأسماء أيضاً رغم عدم تأكّدي من ضرورة ذلك، اعتماداً على مبدأ "درهم وقاية خيرٌ من قنطار علاج".

تمهيد



"إذاً، لا تزالُ على اتّصال معهم؟"

وجدتُ نفسي في غرفة صغيرة، لا يزيد حجمها عن ٣ بـ ٤ أمتار، أمام ضابطَيْن، رجل كبير في السّنّ، وامرأة أصغر سناً قليلاً، من "الهيئة النرويجية للأمن القومي"، واحدة من مكاتب المخابرات النرويجية الثلاث. كان لديهم أسئلة كثيرة. حول دراستي الميدانية لأطروحتي للماجستير تحديداً، والفصائل الفلسطينية التي تواصلتُ معها في الضّفّة الغربية وعلى الإنترنت، وتشمل حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، وحماس، وفريق هاكر غزّة.

كنتُ أشارك في مشروع مشترك بين جامعة أوسلو ومعهد بحوث الدفاع النرويجي كمساعد باحث لإنشاء أرشيف على الإنترنت لمصادر جهادية رئيسة، وبالتالي كنتُ بحاجة لتصريح أمني.

"حسناً، أجل في الحقيقة". أجبتُهما بشكل جدّيّ، لإظهار أن الأمر ليس عظيماً. "أرسلتُ اليوم أطروحتي للماجستير لفريق هاكر غزّة. أعني، كان لدينا اتفاق بأن أفعل ذلك، ليتأكدوا أنني فعلاً طالب ماجستير في جامعة أوسلو. كان عربون ثقة". كان الضابط أطول قليلاً من داني ديفيتو(*) وأقلّ جاذبية، أما الضابطة، فلم تفعل أكثر من كتابة كل ما قلتُ، لم تعط أيّ إشارة على الاهتمام بإجاباتي.

---

*) داني ديفيتو (بالإنكليزية: Danny DeVito) ممثّل ومخرج ومنتج أمريكي. المترجم.

"أريد أن أعرف مزيداً عن "الجهاد الإسلامي" في فلسطين. كيف استطعتَ التواصل معهم؟". نظر إليّ بطريقة غير مريحة، أجبرتْني على النَّظَر بعيداً لثانية. "حسناً، لن أعطيكَ أيَّ أسماء، ولكنْ ...".

"لماذا ...!؟" رفع صوته للمرّة الأولى خلال الاستجواب كله، وحدّق في وجهي. حاولتُ أن أبقى هادئاً، وأجبتُ: "لأنهم في وضع قد يعرّضهم للسجن والتعذيب والقتل، و..." قاطعني مرّة أخرى: "ومَنْ يمكن أن يفعل ذلك!؟"، أجبتُهُ: "الإسرائيليون، بالطبع "وثّقت جماعات حقوق الإنسان الإسرائيلية مثل منظمة "بتسيلم" عدّة مرّات التعذيب في السجون الإسرائيلية".

"حسناً، ولكنْ، نريد أن نعرف بالضبط كيف التقيتَ بهم؟ كيف استطعتَ التواصل معهم؟". كنتُ في هذه المرحلة أفكّر بعناية كيف يمكن أن أعطيهم معلومات في هذا المستوى، كيلا يعتبرونني "غير متعاون"، وفي الوقت نفسه دون أقدّم لهم أيّ معلومات، يمكن أن تُعرّض مصادري للخطر: "كما تعلمون، ذهبتُ إلى فلسطين عدّة مرّات في السنوات الثماني الماضية. وتعرّفتُ على شخص، يعرف شخصاً آخر، وهكذا. التقيتُ بشخص، وطلبتُ لقاء حركة الجهاد الإسلامي، فاتّصل بشخص، اتصل بآخر. بعد بضعة أيام، وصلتْني رسالة للقائهم".

"أعتقد أنه من الأفضل أن نُغيّر السؤال ..."، بدا منزعجاً، "هل تحدّثتَ عن الربيع العربي في مصر مع حماس؟" صعقني السؤال، وكان كلّ ما كنتُ أفكّر به وأنا أخرج من بنائهم الضخم وسط أوسلو: كيف عرفوا؟ هل يمكنُ أن يكون من قبيل المصادفة؟ رمية من غير رام؟ بدا أنهم مصمّمون، فقد طرحوا السؤال مراراً وتكراراً: "هل تحدّثتَ عن مصر والربيع العربي مع حماس؟". إن كانوا يعرفون ذلك، فهل هذا يعني أنهم يعرفون كل شيء آخر!

وصلتْني رسالة بعد بضعة أسابيع من هيئة الأمن القومي النرويجية تقول:

"بعد تقييم شامل محدّد وفردي للمعلومات الواردة في هذه الحالة، خلصنا إلى أنه لا يمكن منحكَ تصريحاً أمنياً".

إن أردتَ للناس أن تستمعَ،
لا يكفي أن تربتَ على أكتافهم بعد الآن.
عليكَ ضربهم بمطرقة ثقيلة
ثمّ ستُلاحظ
أنكَ حصلتَ على اهتمامهم الشديد

جون دو (*)

---

*) اقتباس من حديث لشخصية جون دو (الممثّل كيفن سبيسي) في فيلم (Seven- ١٩٩٥ سبعة). المترجم.

المقدمة
أهلاً بكم في العصر الرَّقْمي للمقاومة الفلسطينية

بدأ نشاط الإنترنت العربي عموماً، والمناصرة الإلكترونية خصوصاً، بلَفْت الانتباه على نطاق أوسع مع اندلاع الربيع العربي. من خلال مهاجمة المواقع الإلكترونية الحكومية في تونس والبحرين، بالإضافة إلى البورصة التونسية. استُخدِم الإنترنت كأداة للتغيير الديمقراطي في المنطقة. شهدنا تصاعداً في شراسة فِرَق المناصرة الإلكترونية العربية مع زيادة في عدد المواقع الإسرائيلية المستهدَفَة، منذ بداية الربيع العربي.

في يناير/كانون الثاني ٢٠١٢ على سبيل المثال، وقعتْ إحدى أشهر الهجمات الإلكترونية ضدّ إسرائيل، نفذّها هاكر عربي، يُدعى "أوكس عمر" (oxOmar) من السعودية، والمرتبط بـ"جماعة إكس بي" للهاكر السعوديين، حيث استهدفوا موقع تل أبيب للأوراق المالية، وخطوط العال الجوية الإسرائيلية[١]. رغم أنهم لم يتمكّنوا من إغلاق موقع البورصة إلا أنه تباطأ بشكل كبير. نشر أوكس عمر ٤٠٠ ألف رَقْم لبطاقات ائتمان إسرائيلية في الأسبوع ا لسابق[٢].

دعا أوكس عمر جميع الهاكر المسلمين للانضمام إلى معركته عبر الإنترنت ضدّ إسرائيل[٣] في الوقت ذاته. وهو ما فتح عيون الشبح السياسي الفلسطيني على النضال البرمجي، كما أيّد الحزب السياسي الفلسطيني

"حماس" الدعوة إلى "الجهاد الإلكتروني"، وأكد سامي أبو زهري المتحدّث باسم حركة حماس، أن الهجوم فتح "ساحة جديدة للمقاومة ضدّ الجرائم الإسرائيلية "[٤].

تعهّد نائب وزير الخارجية الإسرائيلي آنذاك داني أيالون أنهم سوف يقبضون على الهاكر السعوديين، لأن العملية "انتهاك للسيادة، وتماثل عملية إرهابية"[٥]. لا يبدو أن هذا التصريح أخاف أوكس عمر، حيث قال: "أثبت داني أيالون الغباء عدّة مرّات. فهو لا يفلح سوى بالكلام: "سنقوم بالقبض، وسوف نفعل، سنقوم بالرّدّ، وسوف وسوف وسوف"[٦].

لم تقف إسرائيل مكتوفة الأيدي كالعادة، فأتى ردّ فِرَق الهاكر الإسرائيلية بعد فترة وجيزة بإغلاق موقع السوق المالية السعودية، وأبو ظبي للأوراق المالية، وانضمّ فريق هاكر "هانيبال" الموالي لإسرائيل إلى الحملة، ونشر عناوين البريد الإلكتروني وكلمات سر فيسبوك لمواطنين عرب[٧].

توفي أوكس عمر في المستشفى (٢٨ عام)، في إبريل/نيسان بعد ثلاثة أشهر، إثر نوبة ربو حادّة، بسبب عاصفة رملية، ضربت الرياض[٨].

ما شهدناه عام ٢٠١٢ كان استمراراً لهجمات إلكترونية على إسرائيل مع تداعيات سياسية ودينية، من بينها تصريح الداعية الإسلامي الكويتي طارق محمد سويدان، قبل الهجمات على موقع شركة طيران العال الإسرائيلية، حيث قال إنه ليس على المسلمين الالتزام بالجهاد السياسي وحسب، بل الجهاد الإلكتروني[٩] أيضاً. وتابع فكرته على تويتر بعد الهجمات، حيث قال: "أرى ضرورة لتوحيد الهاكر في الجهاد الإلكتروني ضدّ العدو الصهيوني"[١٠].

رغم أن هذه الحملات لفتت انتباه وسائل الإعلام بشكل واسع، إلا

أنها لم تكن المرّة الأولى التي يرتفع فيها التوتر بين المجتمعات الإلكترونية الإسرائيلية والعربية. يمكن تتبّع التصعيد الإسرائيلي العربي في الفضاء الإلكتروني إلى عام ٢٠٠٠ عندما أعطب فريق هاكر إسرائيلي موقعاً لـ "حزب الله" بهجوم "حرمان من الخدمة"(١١)(*). شهدنا منذ ذلك الوقت ظهور كثير من جماعات الهاكر الفلسطينية والعربية، كفريق هاكر غزّة، وفريق "كي دي إم إس" وفريق أنينموس (مجهول)، على سبيل المثال لا الحصر. في حين ركّز معظمها على المواقع والبنية التحتية السيبرانية الإسرائيلية، ركّز البعض (كي دي إم إس مثلاً) على المواقع الغربية مثل المواقع الإلكترونية لتطبيق الرسائل الفورية وتس آب، وآ في جي لمكافحة الفيروسات، وشركة أليكسا للتحليل السيبراني، لنَشْر الوعي حول القضية الفلسطينية.

لم يُكتَب كثير عن ظاهرة النضال البرمجي الفلسطيني منذ نشأته، والأمر نفسه ينطبق على دراسات النضال البرمجي كوسيلة للمقاومة ضدّ الاحتلال. لذلك يُعدّ المستوى الأكاديمي في هذا المجال متخلّفاً، وعلى الأرجح، سيكون هناك سنوات عديدة من البحث العلمي قبل أن نتمكّن من فَهْمه تماماً. هذه محاولة لاتخاذ هذه الخطوة الأولى.

باعتباري خبيراً في مجال الدراسات العربية والشرق الأوسط، وليس في علوم الكومبيوتر، فهذا العمل أوّلاً، وقبل كل شيء، هو دراسة للمقاومة الفلسطينية والوسائل الجديدة المستخدَمة في العصر الرَّقْمي. لذلك

---

*) هجمات الحرمان من الخدمات، أو هجوم حجب الخدمة (بالإنجليزية: Denial of Service Attacks): تتمّ بإغراق المواقع بسَيْل من البيانات غير اللازمة، يتمّ إرسالها عن طريق أجهزة مصابة ببرامج (في هذه الحالة تُسمّى DDOS Attacks) تعمل على نَشْر هذه الهجمات، بحيث يتحكّم فيها القراصنة لمهاجمة الشبكة (الإنترنت) عن بُعد، بإرسال تلك البيانات إلى المواقع بشكل كثيف، ممّا يُسبّب بطء الخدمات، أو زحاماً مرورياً بهذه المواقع، ويسبّب صعوبة وصول المستخدمين لها نظراً لهذا الاكتظاظ. (ويكيبيديا - المترجم).

حاولتُ تجنّب التعمّق في المسائل التقنية قدر الإمكان. ربّما يعرف الناشطون في مجال القرصنة الإلكترونية أكثر مني في هذا المجال بالذات. بدلاً من ذلك، أحاول الإجابة على الأسئلة التالية: مَنْ هم هؤلاء الهاكر الفلسطينيين؟ ماذا يفعلون؟ ولماذا؟ وأخيراً، وليس آخراً، هل يمكن اعتبار النشاط البرمجي الذي تمارسه هذه المجموعات جزءاً من المقاومة الفلسطينية ضدّ الإسرائيليين؟

@ النشاط

عندما ظهرت شبكة الإنترنت بشكلها الحديث، اعتُبرت بنظرة متفائلة أنها الأداة التي ستنشر الديمقراطية في الاتصالات، وتُمكّن التدفّق الحُرّ للمعلومات. بالنسبة لأكثر المتفائلين بالإنترنت، كان هذا يعني نهاية الاستغلال والفقر والفكر العسكري والفساد والديكتاتورية[١٢]. أحد المتفائلين بالتكنولوجيا، والذي عُدَّ عن طريق الخطأ صاحب الفضل في اختراع الإنترنت، آل غور، وصفها بـ "طريق المعلومات" و"رمزاً للديمقراطية"[١٣].

رغم ذلك، يشير كثيرون إلى أن شبكة الإنترنت خضعت لمنطق التسويق وتراكم رأس المال، وبالتالي فالديمقراطية المَرجوّة لم تزدهرْ، كما كان مُنتظَراً[١٤]. قادت تسريبات إدوارد سنودن إلى اكتشاف برامج مراقبة عديدة، تشمل جهوداً لتنفيذ المراقبة العالمية، في حين أن الموقع الثاني الأكثر وصولاً في العالم، فيسبوك، يجمع جميع معلوماتنا الشخصية من أجل الربح.

مع استخدامنا مجموعة واسعة من التطبيقات والبرامج المختلفة في حياتنا اليومية، نتوهّم أن كل شيء أصبح مجاناً، وأن الإنترنت بوفيه مفتوح، يمكننا من الاستفادة منه دون مقابل. لكنْ، ليس هنالك وجبة

غداء مجانية، بل نحن ندفع من السلعة الوحيدة التي يجب أن نعتزّ بها: الخصوصية. تجري مراقبة ميولِنا الجنسية والثقافية والعقائدية وأطعمَتِنا والمطاعمِ المفضّلة، وحتّى أنماط حركتِنا، تُحفَظ وتُباع لمَنْ يدفع أكثر. لا يكفي القول إن الدور المثالي للإنترنت تحوَّل لواقع مرير، حتّى في عيون أكثر المتفائلين قبل عشرين عاماً.

ربمّا من القسوة الاقتباس من متفائل بالإنترنت كيفن كيلي، الذي كتب بعجرفة عام ١٩٩٥: "لم يكن هناك أحد على خطأ حول الحوسبة أكثر من جورج أورويل في روايته (١٩٨٤). فكل شيء تقريباً عن احتمال الفضاء الفعلي الذي خلقتْه أجهزة الكمبيوتر لا يشير إلى بداية التّسلّط، بل إلى نهايته"[١٥].

من الهامّ ملاحظة هذه الخلفية، وخاصة لأن النضال البرمجي ظهر وتشكّل في هذه العقدة بين الإنترنت والديمقراطية المَرجوَّة وحالته الفعلية اليوم. من الأمثلة على ذلك، إرسال أوّل بريد إلكتروني تجاري لجميع مستخدمي "يوزنت"(*) في نيسان ١٩٩٤، وتعرّض المرسلُ لكَمٍّ هائلٍ من الرسائل الإلكترونية الغاضبة في الردّ، ما أدّى إلى وقف البريد الوارد. أشار روبرت ماك كينزي، البروفسور في جامعة إلينوي، إلى أن ما حدث في يوزنت - اتخذ شكلا للاحتجاج الرَّقْمي- يوضح أهمّيّة عدم دمج الروح التجارية والديمقراطية في الإنترنت[١٦].

شهدنا منذ ذلك الحين كثيراً من هجمات النضال الإلكتروني التي تقوم بها جماعات مختلفة. أكثر ما يجمع بين هذه المجموعات هو

---

*) "يوز نت" أو Usenet (اختصار لشبكة المستخدمين User network): نظام مناقشة عمومي وغير مركزي على الإنترنت، تطوّر من بنية UUCP ذات هدف عامّ، تحمل الاسم نفسه. (المترجم/ويكيبيديا).

استخدام النضال الإلكتروني لتعزيز حقوق الإنسان، أو للاحتجاج على انتهاك حقوق الإنسان، والكشف عن المعلومات السّرّيّة (من خلال استخدام ويكيليكس، على سبيل المثال)، ومنع الاستغلال التجاري للإنترنت. وبعبارة أخرى، نشأ النضال الإلكتروني نتيجة لتزاوُج النشاط السياسي وقرصنة الكمبيوتر، بحيث جمع بين سياسة العصيان المَدَني والتكنولوجيا وتقنيات قراصنة الكمبيوتر[١٧].

رغم صعوبة وضع تطوّر القرصنة وبروز النضال الإلكتروني في إطار زمني محدّد، يصنّف غوردان وتايلور هذا التطوّر في سبع مراحل، من "الهاكر الأصلي" الذي أجرى تجاربه على قدرات أجهزة الكمبيوتر المركزية الكبيرة في خمسينيات وستينيات القرن الماضي، إلى "هاكر مكوّنات الحاسوب الصلبة" الذي لعب دوراً رئيساً في ثورة الحوسبة الشخصية في سبعينيات القرن الماضي، و"هاكر البرمجيات" الذي غيّر أو خَلَقَ برامج الكمبيوتر[١٨]. ثمّ في ثمانينيات القرن الماضي، حيث ظهر "الهاكر المخترق" الذي يخترق بصورة غير مشروعة أنظمة أجهزة الكمبيوتر الخاصة بالناس، ثمّ استطاع مبرمجو كمبيوتر مايكروسوف الاندماج في شركة كبيرة[١٩].

ظهر تياران من القراصنة في منتصف تسعينيات القرن الماضي، أحدثا "تراجعاً عن ... اقتحام تفشّي القِيَم السِّلَعِيّة في الحياة الاجتماعية، وإعادة تأكيد ما يصاحب ذلك من قِيَم الثقافة المضادّة"[٢٠]. الأوّل، "مجتمع المصادر المفتوحة" الذي أعاد طَرْحَ مفهوم الاختراق بالمعنى المثالي، من خلال إنتاج البرمجيات التشاركية وتطويرها: "جميع هذه مجانية تقريباً، ويُقيّدها أمر واحد أحياناً، وهو أن هذه البرامج لا يمكن توزيعها لأغراض الربح، ويجب أن تُتاح أي تحسينات للبرامج للآخرين لدراستها وتطويرها بدورهم[٢١].

شهدنا ظهور النضال الإلكتروني في هذه العقدة بين المُثُل الديمقراطية للإنترنت والروح التجارية، وكان له غرض سياسي واضح، وسياسة لا يمكن تجاهلها مطلقاً، أو التغاضي عنها لتبقى مَخفية في رموز البرمجيات. إنه استخدام أجهزة الكمبيوتر في الأفعال المباشرة التي تُشكّل النضال الإلكتروني كمجتمع متميّز في عالم القرصنة[٢٢].

رغم أن هناك عديداً من التعاريف المختلفة والمتضاربة للنضال الإلكتروني، إلا أن التعريف المُستخدَم هنا يقتصر على القرصنة ذات الدافع السياسي والاجتماعي. بالتالي، أستبعد ظاهرة "النشاط الإلكتروني" التي تستخدم فيه الإنترنت ووسائل الإعلام الاجتماعي خاصة، بشكل سياسي لحشد الجماهير لأغراض سياسية ومظاهرات بدلاً من إلحاق الضرر المباشر بالهدف.

من الهامّ ملاحظة ضرورة عدم الخلط بين النضال الإلكتروني والمفاهيم الملوّنة مثل السيبرانية التخريبية، حيث يكون التخريب هو الهدف الوحيد على الأغلب، والتي لا تفعل شيئاً أكثر من اللهو.

إن اقتصرت نظرتُنا على هذه التعريفات، سنفقد القدرة على تحليل الهاكر كفاعلين اجتماعيين وسياسيين. كما أشار ساندور فيغ في أطروحته للدكتوراه عن تأثير الإنترنت على الديمقراطية، فإن استبعاد السيبرانية التخريبية أو الإرهاب الإلكتروني من النشاط الإلكتروني، سيدفع التقدّميين اجتماعياً وسياسياً، إلى محيط، يصبح فيه الإنترنت ملجأهم الوحيد للتعبير عن أنفسهم[٢٣]. على سبيل المثال، ينبغي التأكيد على أن الإرهاب الإلكتروني هو محض افتراض، حيث إنه لم يحدث قطّ في تاريخ القرصنة. هناك صراع أكاديمي وشعبي لفرض تعريف الإرهاب، وهناك أيضاً روايات

متنازعة ومتصارعة، حيث تنظر إسرائيل إلى أيّ هجمات على أنها إرهاب إلكتروني، في حين يعدّها الفلسطينيون في معظم الحالات حقاً طبيعياً في مقاومة الاحتلال.

يمكننا تنفيذ أفعال مختلفة في المجال المادي العام، مثل المظاهرات والاعتصامات، حيث يكون الهدف هو الحدّ من الوصول إلى الأماكن العامة، والذي يمكن مقارنته بهجوم حَجْب الخدمة الذي يحدّ من الوصول إلى الفضاء في المجال الرَّقْمي، بإغراق الخادم بكثير من الطلبات، ما يؤدي إلى تعطّله باستمرار لفترة محدودة من الزمن.

يبدو الأمر كصَبِّ الماء عبر قمع. إذا سُكِبَت عدّة أكواب من الماء واحداً تلو الآخر، كل شيء سيكون على ما يرام. ولكنْ، إذا سُكِبَت الأكواب دفعة واحدة، سوف تفيض، لأنه لا يمكن للقمع استيعاب الحجم. ينطبق الشيء نفسه بالنسبة لهجمات الحرمان من الخدمة عندما تُرسلُ آلافٌ من أجهزة الكمبيوتر طلباتٍ كثيرة في الوقت نفسه، بحيث لا يستطيع الخادم التعامل مع جميعها في الوقت ذاته.

لا يعني هذا أن هجمات الحرمان من الخدمة ليست مثيرة للجدل، وأن استخدامها كوسيلة للتأثير على التغيير السياسي والاجتماعي، بما في ذلك في بيئة القراصنة هو أمر مشكوك فيه. نأى الهاكر أوكس بلود روفين بنفسه عن "جماعة البقرة الميتة" التي أُعيد تشكيلها عام ١٩٨٤، لأنها كانت تحدّ من حُرّيّة التعبير والتّدفّق الحُرّ للمعلومات، وقال: "هجمات الحرمان من الخدمة هي انتهاك للتعديل الأوّل لدستور الولايات المتحدة الأمريكية(*)،

*) التعديل الأوّل لدستور الولايات المتحدة الأمريكية: "حُرّيّة العبادة والكلام، والصحافة وحقّ الاجتماع والمطالبة برَفْع الأجور، لا يصدر الكونغرس أيّ قانون خاص بإقامة دين من الأديان أو يمنع حُرّيّة ممارسته، أو يحدّ من حُرّيّة الكلام أو الصحافة، أو من حقّ الناس في الاجتماع سِلْمياً، وفي مطالبة الحكومة بإنصافهم من الإجحاف". (المترجم).

وحُرِّيّة التعبير والتّجمّع. لا يوجد أيّ أساس منطقي، حتّى من أجل خدمة المُثُل العليا، يمكن أن يجعل عمل هذه الجماعة قانونياً أو أخلاقياً"(٢٤).

عبّر جون بيري بارلو، عضو مؤسّس لمجموعة الحقوق الرَّقْمية "مؤسّسة الحدود الإلكترونية"، عن معارضته لها أيضاً على النحو التالي:" أنا أؤيّد حُرِّيّة التعبير، بغضّ النَّظَر عمّنْ يمارسها، لذلك أُعارض هجمات الحرمان من الخدمة، بغَضّ النَّظَر عن هدفها ... إنهم غازٌ سامٌّ في الفضاء الإلكتروني"(٢٥).

تُعدُّ حجّتهم معيبة إلى حدّ ما. فهجمات الحرمان من الخدمة لا تشابه إغلاق موقع أو منتدى بشكل دائم، رغم أني أراه إشكالياً إلى حدّ ما، ولكن هدف هجمات الحرمان لفترة قصيرة من الزمن، للتأثير على الرأي العام. إذا كان الهدف من اعتصام أمام البرلمان عرقلة وصول السياسيين إليه بشكل دائم، فإن طابعه السياسي مختلف نوعياً ممّا لو كان من أجل بضع ساعات احتجاجاً على الحرب في العراق. هل هو وسيلة فعّالة؟ ربمّا نعم. هل هي غير ديمقراطية؟ بالتأكيد لا.

علاوة على ذلك، فالهاكر الذين "يُشوّهون" موقعاً على شبكة الإنترنت عن طريق تغيير محتواه المَرئي، ويستخدمون نصوصاً وصوراً والفيديو وتسجيلاتٍ صوتية لتقديم رسالة، يمكن مقارنة عملهم بالكتابة على الجدران في المجال المادي العام.

كما أنه لا يمكن اعتبار كل الكتابات على الجدران سياسية، فبعضها في واقع الأمر يقتصر على التخريب، مثل تشويه المواقع الإلكترونية التي لا تفعل شيئاً أكثر من "وَسْم" موقع على شبكة الإنترنت، وفي هذه الحالة، تقع هذه الأعمال خارج تعريف النضال الإلكتروني.

أشار غوردان وتايلور إلى أنه منذ ظهور الحركات السياسية الشعبية كانت هناك احتجاجات ومظاهرات ومقاطعة وغيرها من الوسائل، للوصول إلى هدف معيّن في المجال المادي:

> *"يسعى النضال الإلكتروني إلى ترجمة مبادئ العمل المباشر في العالم الافتراضي. فالاعتصام أو الحصار الذي يحدث في الشوارع، ويهدف إلى إفشال اجتماع ما، يمكن أن يقابله حصار الرسائل على الإنترنت، والذي يهدف إلى إفشال دعم الكمبيوتر للاجتماع"*[٢٦].

لذلك، يجب مقاربة ظاهرة النضال الإلكتروني كنوع جديد من الاحتجاج السياسي المشروط تاريخياً: الاحتجاجات في استخدام التكنولوجيا الرَّقْمية في الضغط السياسي. تماماً كما كانت الجماعات السياسية التقليدية، ولا تزال، تنشر التصريحات والنشرات أو الصحف، يَستخدم النضال الإلكتروني حساباتِ تويتر وفيسبوك والصفحات والمواقع الشخصية، على سبيل المثال لا الحصر، من أجل تعزيز قضيتهم. تسود القرصنة اليوم، بحيث أصبح للهاكر بتّهم الخاصّ، واتفاقياتهم الخاصة[٢٧].

إن عَدَدْنا أن هذه النظرة للنضال الإلكتروني هي الأساس، فهذا يعني أن هناك روابط مباشرة بين النشطاء الفلسطينيين الذين ينظّمون اعتصاماً للاحتجاج ضدّ الاحتلال، ونشطاء النضال الإلكتروني الفلسطينيين الذين يقومون بالأمر نفسه في المجال الرَّقْمي. مثلما لدينا في العالم المادي نشاط (حملات التوعية والمقاطعة) وعصيان مَدَني سياسي (الاعتصامات والمظاهرات)، ومقاومة مُسلّحة مشروعة وغير مشروعة (الهجمات على

الجنود والمستوطنين والمَدَنيين الإسرائيليين)، لدينا أيضاً نشاط في الإنترنت (حملات العرائض على الإنترنت)، والعصيان المَدَني الرَّقْمي الذي سبق ذِكْره، والإرهاب الإلكتروني (على سبيل المثال، خطف الطائرات عن طريق قرصنة أنظمة التحكّم الخاصة بها).

الجزء الأوّل

التّوجّه إلى المجمع الرَّقْمي العسكري

١
المقاومة تتطوّر

لا يمكن النَّظَر إلى النضال والجهاد الإلكتروني الفلسطيني بمعزل عن حركة المقاومة الفلسطينية نفسها. بل يجب عَدّه رَقْمنة وتطويراً للمقاومة الموجودة مسبقاً، على أساس الضرورات والتحدّيات التي تواجه شعباً تحت الاحتلال العسكري والتكنولوجي المستمرّ.

لا يُعدّ تعريف "المقاومة" مهمّة بسيطة. ليس فقط لأن المصطلح يشمل وسائل واستراتيجيات مختلفة نوعياً مثل المقاومة المُسلّحة / غير العنيفة أو المقاومة الفاعلة / المنفعلة، ولكنْ، أيضاً لأن المصطلح مشحون سياسياً. وهو مشحون سياسياً بقدر ما يعني الشرعية، خلافاً لمصطلح "الإرهاب" الذي يعني عدم الشرعية. نَهْجُ حركة المقاومة الفلسطينية لإقامة دولة في المستقبل ووسائلها لتحقيق ذلك مشروطة تاريخياً ومُوجَّهة وفقاً لما عَدّه الفلسطينيون أنفسهم ممكناً. لذلك تغيّرت المقاومة وأهدافها عدّة مرّات عبر تاريخها.

لا ينبغي أن نحاصر أنفسنا بالسَّرْد التطبيعي عن وجود صراع بين "أنداد"، يكون فيه الإسرائيليون والفلسطينيون مجرّد جارَين، لا يمكنهما التوافق. يُعبّر عن هذه الصراع أوّلاً وقبل كل شيء بكلمة "الاحتلال" التي سترِد كثيراً في الكتاب. لا تُشكّك إسرائيل بفكرة عدم شرعية الاحتلال

وحسب، بل تنفي وجود احتلال أساساً. لذلك لابد من تطبيق القانون الدولي رغم عيوبه الواضحة في بعض الأحيان، ولابد من تطبيقه في أيّ نزاع مستمرّ. وهكذا، عند استخدام مفردة "الاحتلال"، أشير بها إلى قرار الأمم المتحدة رَقْم ٢٤٢ الذي أعلن أن احتلال الأراضي الفلسطينية غير قانوني، وأنه يجب سَحْب الجيش الإسرائيلي على الفور، وقرار الأمم المتحدة رَقْم ١٩٤، الذي ينصّ على حقّ اللاجئين الفلسطينيين في العودة. هذه هي حقوق الإنسان التي لا تقبلُ الجَدَلَ.

أخيراً، أود أيضاً أن أشير إلى أن محكمة العدل الدولية تعدّ الجدار العازل والمستوطنات غير شرعية، وتُشكِّل انتهاكاً للقانون الدولي. أكّد بروفسور في جامعة أوسلو في ندوة إنه "ممّا لا شك فيه أن على المرء أن يكون موضوعياً، ولكنْ، إذا أشرتُ إلى أن إسرائيل تنتهك القانون الدولي، فهذه الإشارة ليست شخصية، بل حقيقة موضوعية". لذلك عندما أشير إلى المقاومة الفلسطينية، أعني الاستخدام الشعبي للوسائل العنيفة وغير العنيفة لإنهاء أو تغيير نوع الحالة السياسية القائمة مثل الاحتلال، يؤدي مصطلح "الاحتلال" أيضاً إلى واقع موضوعي، وهو الحقوق الناشئة للفلسطينيين في هذا السياق، بما فيه الحقّ في المقاومة. هذه هي بالضبط المقاومة التي تطوّرت وفقاً للوضع المحلي والعالمي، مع التحدّيات المرتبطة به، والتي واجهت المقاومة، من الحرب الباردة إلى سقوط جدار برلين، من عملية أوسلو إلى "الحرب على الإرهاب".

لم تقتصر أهداف المقاومة الفلسطينية، بالطبع، على إجبار إسرائيل على إنهاء احتلالها بشكل مباشر، ولكنْ، من بينها، أيضاً، تنبيه المجتمع الدولي إلى أن هناك شعباً فلسطينياً فَقَدَ وطنه.

عندما نعمد إلى تحليل هذه المقاومة، يجب اعتماد فكرة أن البشر

وطريقتنا في التنظيم هي منتجات تاريخية، شكَّلتْها تناقضات المجتمع بأسره، وداخل حركة المقاومة نفسها. هذا يعني أن القضايا المطروحة والاستراتيجيات المقترحة من قبل المقاومة الفلسطينية عبر فترات زمنية مختلفة ليست مجرّد محطّات تاريخية. قد يكون تقييم إلين ميكسنيس وود في الفكر السياسي الغربي مفيداً:

> *لفَهْم ما يقوله المنظّرون السياسيون، يجب معرفة ما هي الأسئلة التي يحاولون الإجابة عنها، وهذه الأسئلة ليس مجرّد تجريدات فلسفية، ولكنها ظروف تاريخية في سياق محدد لأنشطة عملية وعلاقات اجتماعية وقضايا ملّحة ومظلوميات وصراع*[١].

يمكن ذلك، فتاريخ المقاومة الفلسطينية هو جزء من التاريخ الاجتماعي. لا أهدف هنا إلى رواية التاريخ الفلسطيني بأكمله للقارئ، بل إلى أن أُقدِّم لمحة إلى مواضيع أوسع وأشمل لفَهْم كيف يمكن للنضال الإلكتروني الفلسطيني أن يستمرّ: مِن الفدائي والعنف الرمزي والشهيد واللاعنف، وبعد ذلك الاستشهادي وظهور الجهاد الإلكتروني.

الفدائي: "سأقاتلُ حتّى الموت، أو إلى أن أسترجع وطني"

قبل إنشاء دولة إسرائيل عام ١٩٤٨، ومن خلال ما طرحه عديد من المؤرّخين الإسرائيليين، مثل إيلان بابي وبيني موريس، عن التطهير العِرْقي للفلسطينيين[٢]، شهدت المنطقةُ احتجاجاتٍ منظَّمة وحملات ضدّ

استعمار الوطن، من خلال المقاطعة، والمظاهرات، والمقاومة المُسلّحة، والإضرابات العامة، والكتابة على الجدران، على سبيل المثال لا الحصر. ومع ذلك، في عام ١٩٥٥ - بعد فترة من الصدمة واللامبالاة بعد النكبة، بدأ اللاجئون الفلسطينيون بتنظيم أنفسهم في وحدات كوماندوز[٣] (مقاتلة). كان هذا بداية لحقبة جديدة من المقاومة والحملات العسكرية ضدّ دولة إسرائيل، حيث عدّوا أن الوسائل المُسلّحة هي الطريقة لتحرير فلسطين.

كانت الحملات المُسلّحة في البداية هجمات على نطاق صغير من غزّة ولبنان وسورية والأردن ضدّ المواقع العسكرية والمستوطنات الإسرائيلية، على شكل تكتيكات الوخز لدى حرب العصابات، وهو يوحي بثقب صغير مصنوع بواسطة إبرة. استُخدمت هذه التكتيكات من قِبَل المقاومة الفلسطينية، من أجل إحباط واستنفاد الجيش الإسرائيلي المتفوّق، وكذلك التحريض في بعض الأحيان على الانتقام الشديد.

نتيجة لتسبّب عديد من العمليات بوفاة المقاتل، وُصِفَ بالفدائي، أيْ مَنْ يُضحّي بنفسه.

لم تقتصرْ حملات الفدائيين على حملات عسكرية بحتة، ولكنْ، احتوت في ثناياها فكرة الصمود. على سبيل المثال، قد يحصد الفدائيون، في كثير من الحالات، محاصيل مزارعهم السابقة، ويستردّون مواشيهم.

خلال هذه الفترة، ابتدعت المقاومة الفلسطينية عديداً من المفاهيم الثقافية، بداية من الفدائي كرمز ثقافي، والكلاشن (كلاشنيكوف) بِعَدِّه رمزاً للفخر والأغاني الفلسطينية عن "الثورة والمقاومة والتضحية والعودة والاعتماد على الذات"[٤]. وهكذا أصبحت رمزية الفدائي فكرة علمانية

قومية ثابتة وفقاً للأيديولوجيا السائدة في ذلك الوقت، العلمانية الاشتراكية العربية/العروبة.

تجدر الإشارة إلى أن الفدائي الذي يلقى حتفه في معركة يُعدّ شهيداً، وكما يشير عالم الأنثروبولوجيا الفلسطيني الأمريكي ناصر أبو فرحة إلى أنه رغم أن الحملات العسكرية إلى حد كبير كانت من أعمال التضحية التي لم تشمل بالضرورة البعد الديني لكنها ستشمله فيما بعد(٥). بدلاً من ذلك، "في السياق الفلسطيني: تصوّر الانصهار بين الإنسان المضحّي والأرض هو أكثر انتشاراً من الاندماج مع الحياة الإلهية، وخاصة في التمثيل الثقافي، رغم أن هذا الأخير موجود أيضاً".(٦)

مع ذلك، ورغم أنهم واجهوا خصماً أقوى في الدولة الإسرائيلية، فإنه من الصعب أن نُقلّل من التفاؤل الكبير بفكرة الفدائي، حيث يبدو الانتصار في المستقبل وتحرير فلسطين أمراً محتوماً. ارتبط التفاؤل بالفدائي جزئياً بحقيقة أن تحرير فلسطين من خلال الوسائل المُسلّحة، لم يكن أمراً محدوداً بالقضية الفلسطينية، وإنما ظاهرة برزت في مراحل التخلّص من الاستعمار. شهدت هذه الفترة من الزمن الكفاح المُسلّح ضدّ الاستعمار في فيتنام (١٩٥٥-١٩٧٥) والجزائر (١٩٥٤-١٩٦٢) على سبيل المثال، وفي معظم الحالات، حصلت المستعمرات السابقة على استقلالها. درست المقاومة الفلسطينية هذه الحركات المُسلّحة المختلفة المناهضة للاستعمار بالتفاصيل. كانت تجسيداً لأطروحة فرانتز فانون: "إنهاء الاستعمار هو خَلْق حقيقي لبشر جدد. ولكنّ هذا الخَلْق لا يدين بشيء من الشرعية لأيّة قوّة خارقة للطبيعة. و"الشيء" الذي استُعمِرَ يصبح إنساناً خلال العملية نفسها التي يحرّر نفسه من خلالها ".(٧)

لا يعني هذا أن حملات مُنظّمة التحرير الفلسطينية وفدائييها كانوا مثاليين. على العكس من ذلك، تمكّنت الحركة من التورّط في صراع لأوّل مرّة مع ملك الأردن حسين، حيث قاوم في البداية فكرة دخول مُنظّمة التحرير الفلسطينية القدسَ الشرقية التي تحتلّها الأردن، وخشي أن يحاول الفلسطينيون في وقت لاحق الإطاحة به، والاستيلاء على فلسطين(٨). تقبّل الملكُ حسين الفكرةَ عام ١٩٦٤ بعد ضغط من عبد الناصر. بعد انتصار مارس ١٩٦٨ في معركة الكرامة بالأردن، حيث استطاع الفصيل المهيمن في مُنظّمة التحرير الفلسطينية، حركة فتح والفلسطينيين، بمساعدة حاسمة من الجيش الأردني محاربة ١٥ ألف جندي إسرائيلي، ترسّخت شرعيّتها، إلا أن ذلك لم يكن مفيداً. على سبيل المثال، نتيجة لمعركة الكرامة، عزّزت المُنظّمات الفلسطينية مواقعَها في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين، وأسّس أعضاء فتح والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (الماركسية اللينينية) موطئ قَدَم لهم في مخيّمات الوحدات والبقعة والصلح والحصن وجرش وزيزيا في الشمال وخارج الطفيلة وشوبك والكرك في الجنوب(٩). وفي وقتٍ لاحقٍ، اندلعت عديدٌ من الاشتباكات بين الفلسطينيين والأردنيين، وفي نوفمبر من العام نفسه، تعرّضت ثلاثة مخيّمات تدريب للجبهة الشعبية للقصف الأردني(١٠).

تُوِّجَ ذلك كله بعد عامين في عام ١٩٧٠، بما يُعرَف باسم أيلول الأسود. أوّلاً، حاولت الميليشيات الفلسطينية اغتيالَ الملك حسين، وهو الهجوم الذي نجا منه بصعوبة، ثمّ خَطفَت الجبهة الشعبية ثلاث طائرات، أُجبِرَت على الهبوط في الأردن. بعد فترة وجيزة، أعلن ياسر عرفات محافظة إربد في الأردن منطقة محرّرة(١١). إذا كان إنهاء الاستعمار يخلق بشراً جدداً، فليس هناك على ما يبدو ما يضمن أن هؤلاء البشر لن يتغلّب عليهم

التبجّح. أدّت تداعيات أيلول الأسود، والتي استمرت من سبتمبر ١٩٧٠ حتّى يوليو ١٩٧١، إلى فقدان آلاف من الأرواح الفلسطينية. طُرِدَت المقاومة الفلسطينية من الأردن، وانتقلت إلى لبنان، وتراجعت عمليات "الوخز" الفدائية.

مع ذلك، خلقت التكتيكات وإقامة القواعد الفدائية في البلد المضيف الجديد توتّرات مع الشعب اللبناني، والذي بدأ ينظر إلى مُنظّمة التحرير الفلسطينية وبقية المقاومة الفلسطينية بِعَدِّها تُشكِّل تهديداً لاستقرار البلاد. حقيقة أن غالبية الفلسطينيين هم من المسلمين السُّنَّة، ولبنان كان ولا يزال يعتمد مبدأ توزيع السلطة على أُسُس دينية وطائفية، زاد الأمرَ سوءاً. انتقلت مُنظّمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٨٢، إلى تونس نتيجة الحرب في لبنان بعد إذلالها ونزع سلاحها، حيث ستبقى غير شبه مجمّدة لعشر سنوات. فالتضحية النهائية للفدائي تمّت.

مكافحة العنف الرمزي

في المقابل، يجب أن نأخذ في الاعتبار أن أهداف المقاومة الفلسطينية لم تقتصر على الهزيمة العسكرية لإسرائيل. لا ينبغي أن ننسى أن نتائج النكبة كانت في الفترة التي قدّم أغلبية العالم الغربي مودّة عميقة لمشروع الدولة الإسرائيلي بسبب المحرقة. علاوة على ذلك، لم يكن هناك كثير من الناس يعرفون أن هناك شعباً فلسطينياً حتّى. في حين أن الغالبية اليوم متعاطف مع القضية الفلسطينية، لم يكن من الممكن أن تجد أحداً يُشكّك في شرعية إسرائيل في خمسينيات وستينيات القرن الماضي وحتّى سبعينياته.

كانت الأسطورة التي تقول إن اليهود جاؤوا إلى الأرض، وجعلوا الصحراء تزهر سائدة، إلى جانب فكرة أن العرب "كسولون"، وأتوا في وقت لاحق لجَنْي الفوائد. قال الحاخام البولندي بعد عودته من فلسطين عام ١٩٢٠: "العروس جميلة، لكنْ، لديها عريس"[١٢]، إلا أنه ولحُسن حظّ الصهاينة، كما عبّرت غولدا مائير عن ذلك: "أشكر الرّبّ كل ليلة أن العريس كان ضعيفاً جداً، وأنه أمكن أخذ العروس منه"[١٣]. في تلك الفترة، لم يكن الادّعاء بأنه "ليس هناك شعب فلسطيني ... ولم يكن موجوداً" مثيراً للجدل، كما كانت رئيسة الوزراء الإسرائيلية غولدا مائير[١٤] تدَّعي. رأى الفلسطينيون ضرورة إعادة إثبات وجودهم، كما لو كانوا طفلاً يُجبَر على ولادة نفسه. بالنسبة لهم، لم تكن عبارة "المقاومة هي الوجود" مجرّد عبارة، لا معنى لها.

يمكننا فَهْمُ ما حدث في هذا السياق فقط، ففي عام ١٩٧٠ بدأت فصائل من المقاومة - الجبهة الشعبية الماركسية اللينينية عموماً - باختطاف الطائرات الدولية.

قال جورج حبش زعيم الجبهة الشعبية: "كان خطف طائرة يجلب تأثيراً أكبر ممّا لو قتلنا مئات الإسرائيليين في معركة" و "على مدى عقود، لم يكن الرأي العام العالمي مع الفلسطينيين أو ضدّهم، بل تجاهلنا ببساطة. على الأقلّ، يتحدث العالم عنا الآن ".[١٥]

لم تكن المقاومة الفلسطينية المُسلّحة تقتصر على إحداث ضَرَر مباشر بالدولة الإسرائيلية، ولكنْ، هدفت أيضاً إلى تعزيز قوتها الرمزية في الأماكن التي لم تتواجد فيها. يمكن للمرء أن يقول إن المقاومة الفلسطينية لم تظهر نتيجة للعنف الموضوعي للرصاص والقنابل، ولكنْ، أيضاً لفَرْض العنف الرمزي المرتبط بإنتاج المعرفة في الصراع الإسرائيلي/الفلسطيني. لم يكن

اختطاف الطائرات مجرّد فعل يتعلّق بـ "العنف الشخصي المَرئي" كما عرّفه الفيلسوف سلافوي جيجيك، وهو "اضطراب الحالة المسالمة العادية للأشياء"(١٦). بل كان من أعمال عنف المكافحة الرمزية الناجمة عن الوَضْع الفعلي في ذلك الوقت، وعن الأمل في المستقبل.

في الواقع، يمكننا أن نُحاضرَ في الأخلاق، كما لو أن الأحداث الجارية كانت في فراغ سياسي. ولكنْ، بدلاً من ذلك، ربّما علينا أن نتذكّر الضابط الألماني الذي زار بيكاسو في مرسمه بباريس في أثناء الحرب العالمية الثانية. عندما رأى الضابط لوحة غرنيكا(*) التي تُصوِّر القصف الألماني لمدينة الباسك، سأل بيكاسو مصدوماً: "هل أنتَ مَنْ فعل (رسم) هذا؟"، فأجاب بيكاسو بهدوء: "لا، أنتَ فعلتَ هذا"(١٧).



*) غرنيكا (بالإنكليزية: Guernica): لوحة جدارية للفنان بابلو بيكاسو، استوحاها من قصف بلدة غرنيكا في إقليم الباسك بإسبانيا، حين قامت طائرات حربية ألمانية وإيطالية بدَعْم قوات القوميين الإسبان لقصف المَدَنيين في البلدة في ٢٦ أبريل/نيسان ١٩٣٧ خلال الحرب الأهلية الإسبانية. (المترجم).

٢
الشهيد وتطبيع الاحتلال

برزت مُنظّمة التحرير الفلسطينية وبقية المقاومة الفلسطينية في فترة نهاية الاستعمار، وكان الوضع العالمي يتغيّر جذرياً في ثمانينيات القرن الماضي. انتهت فترة التخلّص من الاستعمار والكفاح المُسلّح من أجل التحرير تقريباً، ومع سقوط جدار برلين، انتهت الحرب الباردة. بعبارة أخرى، ما كان يُعَدّ الحرب العظمى بين الأيديولوجيتين الرأسمالية والشيوعية وصل إلى نهايته مع ما أسماه فرانسيس فوكوياما[*] "نهاية التاريخ"[١]. انتصرت الرأسمالية وهيمنتها، وما تبقى للعالم هو تَبَنّي هذه الفكرة. في هذه الفترة، بعد هزيمة مُنظّمة التحرير الفلسطينية في لبنان عام ١٩٨٢ ومواجهة المقاومة الفلسطينية التقليدية حالة من عدم جدوى والعزلة في تونس، ظهر تيّاران جديدان.

أوّلاً، ظهر جيلٌ جديدٌ من الفلسطينيين في الأراضي الفلسطينية وقادةٌ جددٌ أحسّوا بعدم الجدوى بعد عشرين عاماً من احتلال الأراضي الفلسطينية الذي بدا بلا نهاية.[٢] وهكذا نقلت المقاومة مركَزَها الجغرافي من الدول العربية المجاورة لإسرائيل إلى الأراضي المحتلّة للمرّة الأولى منذ عام ١٩٤٨.

---

*) فرانسيس فوكوياما: عالم سياسي واقتصادي ومؤلّف، اشتُهر بكتابه "نهاية التاريخ والإنسان الأخير" ١٩٩٢. طرح فوكوياما في كتابه أن انتشار الديمقراطيات الليبرالية والرأسمالية والسوق الحُرّة في العالم قد يشير إلى نهاية التطوّر الثقافي والسياسي والاجتماعي للبشر. (المترجم).

ثانياً، أدّت هزيمة مُنظّمة التحرير الفلسطينية كحركة مقاومة وحركة علمانية، إلى ظهور المقاومة الإسلامية والبنية الدينية الفوقية كحركات مثل حماس (الجناح الفلسطيني السابق لجماعة الإخوان المسلمين) وحركة الجهاد الإسلامي. بدأ استخدام الدِّين في المقاومة بالنُّمُوّ مع هذه الحركات، لأنها خصّصت جهوداً كبيرة لتعريف الواقع الاجتماعي والثقافي والأخلاقي، كما ينبغي التأكيد على أن أهدافها وبرامجها بقيت قومية.

من ناحية أخرى، لا يمكن النَّظَر إلى صعود الحركات السياسية الإسلامية كظاهرة فلسطينية بحتة، ولكنه كانت ظاهرة إقليمية أوسع نطاقاً. مع هزيمة جمال عبد الناصر في حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧ والتي مثّلت نهاية العلمانية القومية العربية، عَدّ كثيرون الثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩، نجاحاً للإسلام السياسي في فرض تغيير حقيقي، واستعادة الكرامة للجماهير العربية والإسلامية. أدّى ذلك إلى ظهور تيارات جديدة، ليس فقط في فلسطين ممثّلة بحركة حماس، ولكنْ، أيضاً على سبيل المثال، صعود "حزب الله" في لبنان عام ١٩٨٥.

مع اندلاع الانتفاضة الأولى أواخر عام ١٩٨٧، غيّرت المقاومة الفلسطينية الخطابَ والبلاغة والتكتيكات. من الأمثلة على ذلك: انتشار فكرة ضرورة خَلْق ضَغْط دوليّ على إسرائيل، لجَعْلها تنسحبُ من الأراضي المحتلة. كان ظهور البنية الفوقية الدينية للمقاومة مع التأثير المتزايد للأحزاب والحركات الإسلامية الفلسطينية مثالاً آخراً: من الفدائي العلماني الذي كان "يضحّي بنفسه" كفاعل مستقلّ، ويُوحِّد جسده بالأرض، انتقلت المقاومة إلى الشهيد الفلسطيني، كمُنفعل يُقتَل على يد قوى من خارج، في إطار بُعْد ديني محدّد[٢]. في هذه الحالة، كان الفلسطينيون يستشهدون على يد

قوّة متفوّقة وجيش قَمْعي في سبيل عمل غير مؤذٍ نسبياً، كَرَمي الحجارة على دبّابة مثلاً. وهكذا تفوّقت فكرة "الشهيد" على التضحية الأوّلية لـ "البطل القومي".

تصاعدَ ضغطُ المجتمع الدولي والضغطُ الداخلي على إسرائيل خلال الانتفاضة الأولى، بعد انتشار صور شبّان يرمون الحجارة، والمقاطعة والإضرابات العامة التي تمّ قَمْعها بوحشية من قبل القوات الإسرائيلية. كما سبق، لم يكن الشهيد مجرّد بطل وطني فلسطيني ورمز، بل كان شخصاً، ارتقى بهوية وصفة الضحية، بحيث لم يعد العالم يستطيع تجاهلها. بعد كل شيء، إسحق رابين، الذي كان في ذلك الوقت وزير الدفاع الإسرائيلي، كان يُشار إليه باسم "مُحطِّم العظام"[٤]، والذي اكتسبه بعد طَلَبِهِ من الجنود الإسرائيليين كَسْرَ أذرع وأرجل الأطفال الفلسطينيين الذين يُلقون الحجارة.

يُجسِّد التغييرُ من الفدائي إلى الشهيد أيضاً تغيُّر حركة المقاومة والشعب: من الاعتقاد في البداية بإمكانية تحرير أنفسهم بوسائل مُسلّحة، إلى التركيز على المجتمع الدولي، بوصفه أفضل وسيط لفَرْض حلّ.

مع ذلك، لا يعني هذا أن المقاومة الفلسطينية المُسلّحة كانت على فراش موتها، بل ما حدث هو التغيير، حيث رفضت المقاومة الفلسطينية التقليدية، الممثّلة بمعظمها بالأطراف في مُنظّمة التحرير الفلسطينية، الوسائل المُسلّحة، في حين حملت الأحزاب الإسلامية الراية. أطلقت حماس على سبيل المثال أولى هجماتها الانتحارية في الضّفّة الغربية عام ١٩٩٣[٥]، في معارضتها لاتّفاقات أوسلو التي شكّلت بدء عملية السلام بين مُنظّمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل، والتي نظر إليها بعض الفلسطينيين

بِعَدِّها خيانة للقضية الفلسطينية. استمرت حماس بالتفجيرات الانتحارية بعد المجزرة التي ارتكبها المستوطن الإسرائيلي باروخ غولدشتاين في الخليل عام ١٩٩٤[٦].

رغم ذلك لابد من التوضيح أن المقاومة الفلسطينية مُوحّدة الأهداف والتكتيكات والعقيدة، وكان الانقسام الذي ظهر بين الحركات الإسلامية التي ترفض اتفاقات أوسلو وتلك التي شرعت بالمفاوضات استمراراً للخلافات منذ عام ١٩٧٤. وهي بالتحديد، جبهة الرفض التي تضمّ الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، والجبهة الشعبية - القيادة العامة، وحركة فتح المجلس الثوري - أبو نضال، من بين مُكوّنات أخرى رفضت برنامج النقاط العشر لمُنظّمة التحرير الفلسطينية - وهو البرنامج الذي ينطوي على تحرير جزئي فقط لفلسطين مع إمكانية استخدام المقاومة غير العنيفة فقط. هكذا، كان الانقسام في حركة المقاومة خلال اتفاقات أوسلو استمراراً للخلاف حول فوائد ومساوئ المقاومة المُسلّحة مقابل المفاوضات والاعتراف بدولة إسرائيل.

أدّت هذه التناقضات والتنافس الإضافي بين الفصائل لاحقاً إلى كارثة.

المقاومة الفلسطينية اللاعنفية

بدا أن المقاومة الفلسطينية كانت تقتصر فقط على الكفاح المُسلّح، ومع ذلك كان معظم المقاومة تاريخياً في الواقع غير عنيف، على غرار حركة الحقوق المدنية في الولايات المتحدة. إنها المقاومة التي يمارسها غالبية الفلسطينيين كل يوم، سواء بشكل واع أو غير واع.

كان التجسيد الأوّل للانتفاضة قبل كل شيء عصياناً مَدَنياً ومقاومة شعبية من خلال الإضرابات العامة والمقاطعة، والكتابة على الجدران، ورَمْي الحجارة. اعتمدت هذه الحملات على "اللجان" التي نسَّقت وعبّأت ونظّمت العمل الشعبي لكسر الاحتلال الإسرائيلي. (٧) الأهم من ذلك، وعلى النقيض من الانتفاضة الثانية بعد سبع سنوات، وحَّد الفلسطينيين قضيةٌ مشتركةٌ، كانت ثورية في جوهرها، لأن الشعب الفلسطيني هو مَنْ نظّمها، بشكل مستقلّ عن القادة في تونس الذين كانوا يتحدّثون نيابة عنهم. سمحت المشاركة في هذه اللجان والمُنظّمات والأندية لمجموعات الفلسطينيين بالمشاركة في عمليات سياسية وقرارات جماعية(٨). كانت اللجان وسيلة لتحويل شعب بذاته إلى شعب لذاته.

عندما وصلت صور المقاومة مكاتب وكالات الأنباء الدولية، كانت لطفل فلسطيني يرمي الحجارة على الدبّابات الإسرائيلية المهيمنة. انتشر التشبيه: كانت الصورة نسخة حديثة لـ داوود وجالوت، الطفل الصغير الذي يقذف حجراً على العملاق الجبّار. لا يعني هذا أن الأطفال الذين كانوا يلقوا الحجارة هم، بالضرورة، من الكوادر السياسية التي رأت أن أعمالها وسيلة لعولمة التضحية، بل أقدموا على هذا الفعل نتيجة للإحباط والغضب. كما وصفتْه الصُّحُفية الإسرائيلية عميرة هاس: "إنها الصفة المتعلّقة بالفاعل في ’نفد صبرنا، أيها المحتلّون‘"(٩).

في روايتهما لتاريخ المقاومة الشعبية الفلسطينية، لخّص درويش ورغبي(*) نشاط ومقاومة الانتفاضة الأولى على أنها مقاومة رمزية وانفعالية وهجومية ودفاعية وبنّاءة. تحدّث درويش ورغبي عن تغيير ضبط الوقت من

---

*) مروان درويش وأندرو رغبي: مؤلّفا كتاب " الاحتجاجات الشعبية في فلسطين: مستقبل غير مؤكّد للمقاومة غير المُسلّحة". (المترجم).

ساعة إسرائيل إلى الساعة الفلسطينية، عن طريق تغيير التوقيت الصيفي إلى الشتوي، بفارق أسبوع واحد عن التوقيتَيْن الإسرائيلي والفلسطيني، بالإضافة إلى تقويض السلطة الإسرائيلية وإجراء المقاطعة المذكورة آنفاً. انطوت المقاومة الهجومية والدفاعية على مواجهات مباشرة مع الجنود الإسرائيليين (على سبيل المثال، رمي الحجارة)، والدعم والحماية والمساعدة الطِّبّيّة التي مكّنَتْهم من القيام بذلك. المقاومة الدفاعية، وهي أقلّ أشكال هذه المقاومة وضوحاً، كانت نتيجة للصعوبات الاقتصادية التي واجهها الفلسطينيون نتيجة للإضرابات وانعدام الدخل، حيث عزّزوا أشكالاً جديدة للدخل في المنزل[١٠].

رغم ذلك، هناك جدل حول اعتبار رمي الحجارة مقاومة غير عنيفة. لكنْ، ربّما هذا الجدل هو انحراف بسيط، وأيضاً سوء فَهْم، باعتبار أن اللاعنف مرادف للمُسالمة غالباً. نظراً إلى أن المسالمة هي موقف أخلاقي مطلق، يرفض أيّ شكل من أشكال العنف أو الوسائل العدوانية، يقع رمي الحجارة في مكان ما في الوسط. ليست المسالمة غرضاً أخلاقياً بحدّ ذاتها. ما يفرّق دعاة المسالمة عن أنصار اللاعنف هو العنف الذي يمكن أن يستخدمَ لدى الأخير لمَنْع معاناة أكبر. يمكننا اعتبار رَمْي الحجارة فعلاً عنيفاً، ولكن هذا مختلف عن اعتباره أمراً غير أخلاقي. يمكن رؤية هذا التناقض بشكل جميل في بيان لناشط فلسطيني من الولجة: "رمي الحجارة هو فعل عنيف، ولكنه جزء من المقاومة الشعبية. ونحن نسمّيها المقاومة الشعبية، وليس المقاومة السِّلْمية، لذلك تتضمّن رمي الحجارة"[١١].

أخيراً وليس آخراً، يجب الإشارة إلى مفهوم "الصمود"، الذي يعود إلى فترة بداية الاستعمار نفسه. بما أن الفلسطينيين يتشاركون تجربة التعرّض

للسلب والاستعمار والقهر، لم يرتبط خوفهم بتدمير ممتلكاتهم وحقوقهم الإنسانية وحسب، بل امتدّ أيضاً للخوف على هويتهم الفعلية[١٢]. وهكذا، أصبح وجود الفلسطينيين بحدّ ذاته أحد أشكال المقاومة، التي يرمز إليها في كثير من الأحيان الفلاح الفلسطيني، الذي يزرع أشجار الزيتون مرّة أخرى بعد أن يقتلعَها المحتلّ، ليستطيع أبناؤه وراثةَ الأرض من بعده[١٣].

وُصِفَ الصمود بأنه أحد أشكال المقاومة غير الفاعلة، وكان ذلك من خلال تمجيد الكفاح المُسلّح في عصر الفدائي، عندما طُلب من الفلسطينيين في الأراضي المحتلة البقاء صامدين، والانتظار من أجل التحرير من قبل مُنظّمة التحرير الفلسطينية[١٤]. يُعدّ الصمود أحد أشكال المقاومة رمزية، ويُعدّ أحد أنواع القوّة استناداً إلى المقاومة البنّاءة الضرورية والمنتجة. ما جعل هذا ممكناً هو تضامن الفلسطينيين مع بعضهم في جمع الإمدادات الأساسية للحياة، مثل الغذاء – لم يتلقّ المحرومون أيّ دَعْم فعلي من الأمم المتحدة أو أيّ وكالة دولية أخرى - وهو ما خَلَقَ شعوراً بـ "التضامن المجتمعي"[١٥].

كان الصمود هو الدم الذي يجري في عروق المقاومة الفلسطينية في الأراضي المحتلة، حوّل الفلسطينيون جوهر الاحتفالات والمراسم إلى مقاومة، حيث أصبحت "حفلات الزفاف والاحتفالات الوطنية والدينية وسيلة للتعبير السياسي والغناء الوطني، باعتبارها وسيلة هادئة لتحدّي الحكم العسكري[١٦]. ارتقى الفلسطينيون من خلال مقاومتهم غير الفاعلة هذه، بالمعنى الأوّلي للفعل الذي عادة ما يُنظَر إليه على أنه غير سياسي في الأصل. قد لا يبدو أن هذا أكبر تهديد للاحتلال الإسرائيلي، ولكن هذه التعبيرات كانت اللاصق في النسيج الاجتماعي للمجتمع الفلسطيني، و("التضامن المجتمعي") الضروري للتعامل مع الوضع.

كما قدّم برتولد بريخت[*]، في محور قصيدة "أسطورة الأصل لكتاب تاو تي تشينغ عن طريق لاو تسو في المنفى"، التناقض بين الفعل وعدم الفعل: "تعلّم كيف يمكن للماء اللّيّن أن يسحقَ الصخور بفعل التآكل عبر السنين. بعبارة أخرى، أن الصلابة ستُهزَم"[١٧].

---

*) برتولت بريخت أو بريشت (Bertolt Brecht) (١٨٩٨-١٩٥٦): شاعر وكاتب مسرحي ألماني. انتقل بالمسرح من قواعده التقليدية، وهوَ من أشهر كتّاب المسرح والشعر في القرن العشرين. درس الطب في برلين، وكتب أولى مسرحياته "بعل" حين كان يمارس المهنة في مستشفى عسكري. (المترجم).

٣

الحصن الرَّقْمي:
المجمع الرَّقْمي العسكري الإسرائيلي

خلال الفترة المذكورة سابقاً، كان العالم قد شهد ثورة تكنولوجية مع ظهور الإنترنت. معظم ما كُتب حول هذا الموضوع يصف تأثيره في الغرب، لذلك قد يكون من الحكمة التّطرّق بإيجاز على التطوّرات في العالم العربي، بشكل عام، وفي إسرائيل وفلسطين على وجه التحديد، قبل أن نتطرّق إلى العودة إلى تطوّر المقاومة الفلسطينية في الفصل التالي.

بدأت الإنترنت في تونس عام ١٩٩١ عن طريق "الشبكة الوطنية لمؤسّسة العلوم" الأمريكية، ثمّ في الكويت ومصر والإمارات العربية المتحدة في العامين التاليين. كان تطور البنية التحتية للشبكة الإنترنت بطيئاً في البداية، ومتأخراً نسبياً. كانت المملكة العربية السعودية وليبيا والعراق، على سبيل المثال، آخر الدول التي اتصلت بالإنترنت في ١٩٩٩ و٢٠٠١، وكان العراق آخر دولة تُتيح الإنترنت للجمهور أواخر عام ٢٠٠٢.(*) كان أحد الأسباب الكثيرة للتطوّر البطيء في البداية أن كثيراً من القادة المستبدّين عدّوا

---

*) في مايو/أيار ١٩٩٩، كانت كل الدول في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا باستثناء العراق وليبيا لديها أحد أشكال الاتصال الدولي بالإنترنت، وكانت سورية البلد الوحيد المتصل بشبكة الإنترنت في المنطقة الذي لم يسمح لمواطنيه بدخول الشبكة محلياً. (المترجم/ تقرير هيومن رايتس ووتش: The Internet In the Middle East and North Africa: A Cautious Start -١٩٩٩).

الدخول إلى شبكة الإنترنت بمثابة تهديد لحكمهم، وتهديد للحياة التقيّة والأخلاقية، وتشويشاً على الحدود الاجتماعية التقليدية بين الجنسَيْن.

مع ذلك، من الهامّ التأكيد على أن درجة الرقابة تختلف بين الدول العربية اعتماداً على الحكم والتقاليد وتطوّر البنية التحتية ودرجة المحافظة الدينية/الأخلاقية. رغم ذلك لا يوجد نظام "عربي" أو "إسلامي" واحد متجانس في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. كانت السعودية واليمن وسورية عام ٢٠١٤، أسوأ الدول من حيث الرقابة على الإنترنت، مع حظرها المحتوى "غير المناسب" أخلاقياً وسياسياً. من ناحية أخرى، كانت الأردن والمغرب والسودان والكويت أكثر تحرّراً وفرضاً لقيود على المحتوى الإباحي، ووسائل إعلام سياسية محددة ومواقع التورينت[*]. أما العراق ومصر والجزائر ولبنان وإسرائيل، فلا تُقيّد التورينت، في حين تُقيِّد البحرين وعُمان وتونس وقطاع غزّة (فلسطين) وقطر والإمارات الوصول إلى المواد الإباحية. رغم عدم وجود وصف مفصّل لوضع الإنترنت في إلا أنها تُصنّف في الرقابة على الإنترنت باسم "مستوى التقييد المتوسّط"[1]. مع الفوضى المستعرة في البلاد بعد وصول "الديمقراطية" سيكون من المأمون أن نفترض أن الرقابة على الإنترنت ليست أولوية في هذه البلاد.

تختلف أيضاً وسيلة الحفاظ على السيطرة على الشعوب العربية. ففي السودان، أُتيحت الإنترنت عام ١٩٩٧/١٩٩٨ فقط عبر "سودانت" كمزوّد خدمة الإنترنت في ذلك الوقت، ويحقّ لجهاز الأمن السوداني الوصول الكامل إلى الحركة على الإنترنت[2]. كانت مصر أكثر تساهلا رغم قمعيّتها،

---

*) التورينت (Torrent): أحد طُرُق تحميل الملفّات من شبكة الإنترنيت، عن طريق مشاركة أجهزة كومبيوتر الملفّات بين المستخدمين. يتسبّب التورنت بخسائر بمليارات الدولارات سنوياً لشركات الإنتاج السينمائي وغيرها، لأنه يُوفِّر منتجات مُقرصَنَة مجاناً للمستخدمين. (المترجم).

وأسّست وزارة لمكافحة جرائم الحاسبات والإنترنت عام ٢٠٠٤ من أجل تضييق الخناق على المواقع "التخريبية"[٣].

مع ذلك، تجدر الإشارة إلى أن بطء معدّل نمُوّ الإنترنت لا يمكن أن يُعزَى ببساطة إلى الأنظمة القَمْعية في المنطقة، فهو يتعلّق أيضاً بالقيود التكنولوجية. على سبيل المثال، كانت النصوص الرومانية فقط هي المتاحة في تسعينيات القرن الماضي، ولم تنطلق خدمة البريد الإلكتروني بالعربية حتّى عام ٢٠٠٠ عن طريق "مكتوب"، ولم تضف منصّة التواصل الاجتماعي فيسبوك واجهة باللغة العربية حتّى عام ٢٠٠٩. رغم أن المحتوى باللغة العربية تطوّر وأصبح متاحاً على نطاق أوسع، لا تزال هناك مشاكل: على سبيل المثال، عمليات البحث باللغة العربية في كثير من الأحيان، تقدّم نتائج عشوائية، وتؤدّي إلى "منتدى في الإنترنت بدلاً من موقع مُصمَّم بشكل جيّد"[٤].

يلعب الفقرُ دوراً أيضاً. نتيجة للتكلفة العالية في البداية لمُزوِّدي خدمات الإنترنت العربية، والمستوى المنخفض عموماً لدخل الفرد، ضاقت خيارات الناس، وحُصرت خيارات الوصول بقلّة من الطبقَتَيْن المتوسطة العليا والبرجوازية رغم أن البعض يقول إن مستويات الإلمام بالقراء والكتابة تلعب دوراً في التطوّر البطيء للإنترنت في العالم العربي، كما قال بيتر فنسنت وبارني وارف[٥] إلا هذ لا يُفسِّر كيف أن الإمارات وقطر والكويت والبحرين، وهي أكبر أربعة بلدان من حيث انتشار الإنترنت، تفشل في أن تكون في المستوى نفسه عندما يتعلّق الأمر بمعدّل الإلمام بالقراءة والكتابة. كما تشير ديبورا ويلر، فالدول العربية الأربع ذات المعدّل الأعلى في الإلمام بالقراءة والكتابة هي فلسطين والأردن ولبنان وليبيا،

ترتيبها الحادية عشرة والسابعة والخامسة عشرة على التوالي من حيث انتشار الإنترنت[٦]. مع ذلك لا ينبغي الفصل تماماً بين هذين المؤشّرين، لأنهما لا يعارضان بعضهما بالضرورة، إذ إن العوامل الاقتصادية والتعليمية تتقاطع وتتداخل مع بعضها البعض.

هذا لا يعني أن تطوُّر الإنترنت في العالم العربي ظلّ راكداً. على العكس من ذلك، ففي عام ٢٠٠٦ كان معدّل تطوّر الإنترنت في العالم العربي هو الأعلى في العالم[٧]. ولكنْ، في الفترة ٢٠٠٩-٢٠١٢ تفوّقت عليها أفريقيا في انتشار الإنترنت المنزلي، مع "نُمُوٍّ سنويّ، قَدْرُه ٢٧٪، يليه نُمُوٌّ سنويٌّ ١٥٪ في آسيا والمحيط الهادئ والدول العربية ورابطة الدول المستقلّة"[٨]. كما أدخلت الإمارات العربية المتحدة الأجيال الشّابّة في تكنولوجيا المعلومات والحوسبة في مرحلة مبكرة، نتيجة لرؤيتها بأن تكنولوجيا المعلومات وسيلة لتحقيق التقدّم الاقتصادي[٩]، في حين حاول حسني مبارك خَلْق ثورة تكنولوجيا المعلومات في مصر[١٠].

الربيع العربي وثورات التويتر

بعبارة أخرى، تركت الإنترنت بصماتها في المجتمع العربي رغم القيود الأوّلية عليها. على سبيل المثال، مكَّنَ الإنترنت التفاعلَ مع الجنس الآخر، من خلال غرف الدردشة وفيسبوك وتويتر وغيرها من وسائل الإعلام الاجتماعية. خلقت الفرصة التي أتاحها التدوين نوعاً جديداً في الأدب العربي، ما يُسمّى بـ "أدب المدوَّنات"، مثل رواية "بنات الرياض" ٢٠٠٧ لرجاء الصانع. ذهب البعض إلى حدّ تسمية الثورات في تونس ومصر بثورات التويتر والفيسبوك، اعترافاً بنجاح وسائل الإعلام الاجتماعي. انتشرت

هذه الفكرة بشكل كبير بين النشطاء والصحفيين، مثل الصحفية المصرية الأمريكية منى الطحاوي، ولكنها موجودة أيضاً في الدوائر الأكاديمية[١١].

إذا نظرنا إلى الإنترنت في العالم العربي بدقة في سياق النضال البرمجي العربي، شهدنا حالات في كلّ من تونس ومصر اعتماداً على التعريف الواسع أو الضيّق للمصطلح. على سبيل المثال، خلال الثورة في تونس اختُرِقَتْ مواقع عدّة جهات حكومية، وأُغلِقَ الموقع الإلكتروني للبورصة التونسية، بحيث تموضعت هذه الأحداث في إطار التعريف السائد للنضال البرمجي. حسب التعريف الواسع للنضال البرمجي العربي، فهو يشمل مصر أيضاً، حيث استخدم النشطاء في الشوارع خوادم بروكسي للتحايل على حجب المواقع، ومواصلة حشد المظاهرات وتبادل المعلومات حول الأحداث الجارية مع بقية العالم - كما روى وائل غنيم في كتابه "الثورة ٢,٠: سلطة الشعب أقوى من شعب السلطة" (٢٠١٢).

ينبغي التأكيد على أن هناك نقاشاً مستمرّاً بين ما يُسمّى المُشكّكين بالسيبرانية والمتفائلين بها عمّا إذا كانت الإطاحة بحسني مبارك في مصر وزين العابدين بن علي في تونس نتيجة مباشرة لاستخدام وسائل الإعلام الاجتماعية وتأثير الإنترنت. تُظهر البحوث بشأن وسائل الإعلام الاجتماعي ودورها في طريقة معرفة المصريين بالاحتجاجات، والطريقة التي أثّرت في تخطيطهم للمشاركة، أننا بحاجة إلى فَهْم أكثر دقة للأحداث.

قدّمت زينب توفيقي وكريستوفر ويلسون تصحيحاً هاماً للمتحمّسين لما يُسمّى ثورة التويتر عندما قالا إنه لا يمكن الحدّ من تصوّرنا لـ "بنية الاتصال" بمنصّة أو أداة محددة، بل علينا النَّظَر إليها بمثابة بيئة معقّدة، فيها قنوات تلفزيونية (الناقل للأحداث)، ووسائل الإعلام الاجتماعي مثل

تويتر وفيسبوك، وزيادة فرص الحصول على الهواتف النقّالة مكّن من العمل كمتعاون أو مناصر(١٢).

بعبارة أخرى، ليس دقيقاً القول إن فيسبوك وتويتر تسبّبا بالثورات، وقادا نجاحها، كما لو كانت عرائض على الإنترنت، كانت منتديات النقاش وصفحات فيسبوك هي القشّة التي قصمتْ ظهر البعير. لعبتْ وسائل الإعلام الاجتماعي دوراً، ولكنْ، كوسيلة لنشر الأخبار والمعلومات والدعم، وعملت كالسماد الضروري للمظاهرات الجارية(١٣).

لعبت الإنترنت دوراً أيضاً خلال الثورات، فمن الممكن القول بأن الإنترنت في العالم العربي لم يعزّز الوصول إلى المعلومات وحسب، بل وفّر مساحة للنقاش وتبادل الأفكار، وخَلَقَ بالتالي مساحة لمساءلة الزعماء الدينيين وقادة سلطات الدولة وغيرها. كما يقول ويلر: "يمكن للإنترنت أن تساعد على تعزيز الوعي السياسي، وتكسر الحدود، بما يمكّن المواطنين من النقاش مع بعضهم بعيداً عن الشبكات الاجتماعية المعتادة، ومن اكتساب المعرفة والخبرة"(١٤).

وتستمرّ الفكاهة: إن أتى شخص من فترة قبل خمسين سنة، سيكون أصعب أمر هو أن نشرح له أن لدينا أدواتٍ، تمنحنا كل المعلومات في العالم كله، إلا أننا نقضي الغالبية العظمى من الوقت في النَّظَر إلى صور القطط والجدل مع الغرباء.

للأسف هناك بعض الحقيقة في ذلك. فنّد البيلاروسي يفغيني موروزوف أسطورة أن الإنترنت لا محالة ستُنتج جماهير واعية سياسياً، وتتفاعل في نوعٍ من المداولات الهابرماسية(*)، وتصبح ميّالة للثورة، وأشار

---

*) نسبة إلى يورغن هابرماس: فيلسوف وعالم اجتماع ألماني معاصر، وصاحب نظرية الفعل التواصلي. (المترجم).

إلى أن المـوادّ الإباحية والرسائل الفورية والبريد الإلكتروني "لا يزال يحتـلّ نسبياً مساحة أكبر بكثير من السياسة والأخبار"[١٥].

علاوة على ذلك، ما يفعله معظم الشباب على شبكة الإنترنت يدور حول التحدّث فيما بينهم وتحميل المحتوى الترفيهي. لم تصبح شبكة الإنترنت أداة تمكين الثورة، ولكنْ، نقيضها: أفيون الجماهير، الذي لا يُفعّلهم بل يُهدِّئهم. رغم أن الربيع العربي تطوّر إلى حدث بادوني[*] تقريباً[١٦]، حيث فتح فضاء بتمزيقه مفهوم "الحالة الطبيعية". يظهر موروزوف الجانب الآخر من المدينة الفاضلة لتويتر:

> *هناك كثير من المخاطر والمخاوف لا نفهمها تماماً في هذه المرحلة. ما لا ندركه هو أن تويتر، ورغم كل فضله، هو في الواقع منصة عامة. إذا كنتَ لا تريد أن تخطّط لثورة على تويتر، كما تعلمون، فإن أفعالكم تكون واضحة للجميع. في الماضي، كانت الدول تستخدم التعذيب للحصول على هذا النوع من البيانات، أعني، الآن كل ما عليكَ القيام به هو إنشاء حساب على فيسبوك*[١٧].

دولة إسرائيل العسكرية ذات التكنولوجيا الفائقة

كان تطوّر الإنترنت في فلسطين في المقابل مختلفاً عن تطوّره في بقية العالم العربي. يمكن تفسير هذا فقط من خلال صلته الوثيقة بإسرائيل.

---

*) نسبة إلى آلان بادو: فيلسوف وأكاديمي فرنسي، أحد مؤسّسي الحزب الاشتراكي الموحّد في فرنسا، ويدعو لإحياء فكرة الشيوعية. (المترجم).

أحكمت إسرائيل السيطرة على البنية التحتية في الأراضي الفلسطينية، بما في ذلك خطوط الهاتف، إذ لم يكن هناك سلطة للدولة الفلسطينية و/أو احتكار فلسطيني لها. لذلك ارتبط تطوّر البنية التحتية الإلكترونية في الأراضي الفلسطينية بشكل وثيق بتطوّرها في إسرائيل، وعلى رأسها التحوّل الإسرائيلي من الجيش الصناعي إلى المجمع العسكري الرَّقْمي، والصلات الوثيقة لقطاع التكنولوجيا الإسرائيلي المتطوّر بالجيش الإسرائيلي. حصلت إسرائيل على أوّل مزوّد خدمة إنترنت تجاري عام ١٩٩٢، قبل معظم البلدان الأخرى في الشرق الأوسط، ولكنْ بفترة قصيرة، ويبدو أن هناك تشابهاً كبيراً في تطوّر الإنترنت في إسرائيل وبقية دول المنطقة. إلا أن إسرائيل اليوم نمت لتصبح واحدة من أكثر منتجي التكنولوجيا العالية أهمّيّة. وصلت إسرائيل في تطوّرها إلى حد تسمية مجموعة شركات تطوير وإنتاج تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في تل أبيب بوادي السيليكون، لتقبعَ في المرتبة الثانية بعد وادي السيليكون الأصلي في كاليفورنيا[١٨]. مع ذلك، من أجل فَهْم تطوّر صناعة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في إسرائيل، على المرء النَّظَر في صلاتها الوثيقة مع الجيش الإسرائيلي، وعلاقته بالاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية[١٩]. عندما استقال الرئيس الأمريكي دوايت أيزنهاور من منصبه عام ١٩٦١، حذّر من تطوّر جديد في الاقتصاد الأمريكي، وصفه بأنه "المجمع الصناعي العسكري"، وهو تطوّر نفوذ متصاعد في سياسة الولايات المتحدة نتيجة لدمج المصالح بين الجيش الأمريكي والصناعات التجارية. يمكن أن يوجّه تحذير أيزنهاور ضدّ المجمع الصناعي العسكري، وتطوّره لاحقاً إلى ما يُعرَف باسم المجمع العسكري الرَّقْمي، إلى إسرائيل: حيث أرادت إسرائيل من البداية السيطرة على مجتمع بشري هائل - الفلسطينيين - وشعرت بتهديد الدول العربية

المحيطة بها، كما لعب الجيش دوراً رئيساً في تشكيل المجتمع الإسرائيلي، بإلحاق عدد كبير من الإسرائيليين في الجيش، وإنفاق كمية كبيرة من الأموال على الصناعة العسكرية.

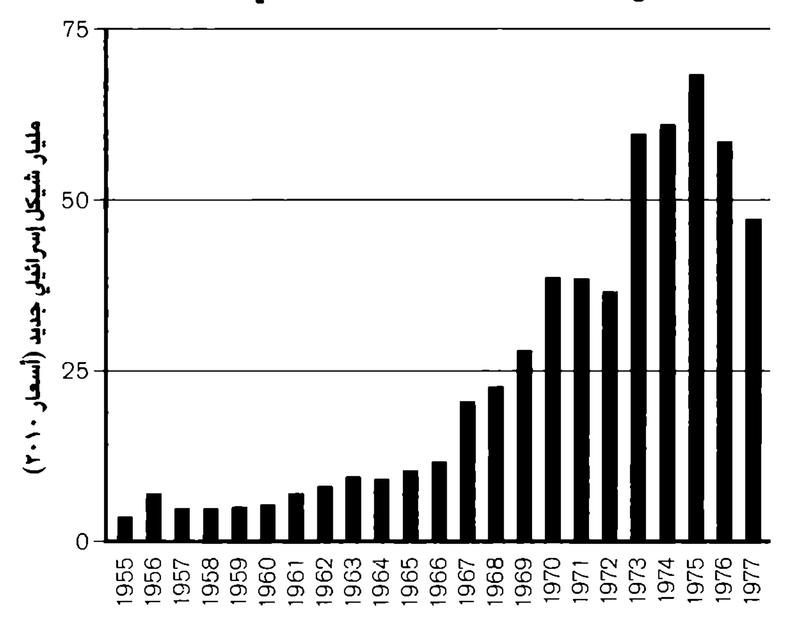
انعكس هذا بشكل خاص على اقتصادها في أوقات الاضطرابات، مثل فترات ما بعد حربي عام ١٩٦٧ و١٩٧٣، والاحتلال الإسرائيلي في أعقاب حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧، عندما ارتفعت نفقات الدفاع الإسرائيلي بشكل كبير[٢٠]. على سبيل المثال، في عام ١٩٥٦، وهو عام أزمة السويس، كان ٥٠ في المئة من الميزانية الوطنية يذهب لتغطية النفقات العسكرية. في وقت لاحق، شكّلت النفقات العسكرية ٩,٩ في المئة من الناتج المحلي الإجمالي في إسرائيل عام ١٩٦٦، ثمّ ٢٩ في المائة عام ١٩٧٣ و٣٠,٣ في المئة عام ١٩٧٥، وخلال الفترة ١٩٧٦-١٩٨٤ شكّلت النفقات العسكرية ٢٤,٧ في المئة من الناتج المحلي الإجمالي[٢١]. وهكذا نمت نفقات الجيش الإسرائيلي الكُلّيّة عشرين مرّة[٢٢] في الفترة ١٩٥٥-١٩٧٥، شكّلت صناعة الأسلحة الإسرائيلية عام ١٩٧٠ نسبة ١٠ في المئة من صادرات إسرائيل العامة، وعمل ١٠ في المئة من سكّان البلاد في صناعة الأسلحة الوطنية[٢٣]. أثّر هذا الأمر حتماً في الاقتصاد، وكان يُطلَق على إنتاج الأسلحة "الصناعة الأساسية"[٢٤].

أحد الأمثلة هو عندما بدأت نفقات الدفاع بالارتفاع أواخر ستينيات القرن الماضي، انخفض الاستثمار في الوقت ذاته، وتسبّب التركيز من جانب واحد على الجيش في انخفاض الناتج المحلي الإجمالي للفرد الإسرائيلي من متوسّط سنوي، قَدْرُه ٩,٩ في المئة في الفترة ١٩٦٧-١٩٧٢، إلى ٠,٨ في المئة في ١٩٧٣ إلى ١٩٧٦[٢٥].

كان لابد من تغيير أثر الإنفاق الدفاعي على النُّمُوّ الاقتصادي الإسرائيلي، ومع التحرير القسري للاقتصاد الإسرائيلي في الثمانينيات، كان هناك نقلة من التكنولوجيا المتواضعة نحو تطوير صناعة التكنولوجيا الفائقة. نتيجة لذلك كانت " نسبة ٨٠ بالمئة من الصادرات الصناعية عام ٢٠٠١ من قطاع التكنولوجيا العالية[٢٦]، وأصبحت إسرائيل الدولة مصدِّرة رَقْم ٢ في العالم للمنتجات والخدمات الإلكترونية بعد الولايات المتحدة"[٢٧]. مع تخفيض ميزانيات الدفاع في الثمانينيات، بدأ الاستثمار في الارتفاع مرّة أخرى، إلى مستوى ما قبل عام ١٩٦٧[٢٨].

الشكل رَقْم ٣،١.

نفقات الدفاع ١٩٥٥-١٩٧٥، مليار شيكل إسرائيلي جديد (أسعار ٢٠١٠)



المصدر: ليبسيتول بي إم (٢٠١٦) كتاب: إسرائيل خلف جدار الأساطير والبروباغاندا. أوسلو: فورلاغت مانيفيست، ص ١٠٨. أُعيدت طباعته، بإذن من المؤلّف صاحب الحقوق. المصدر: دولة إسرائيل (٢٠١٤) نفقات الدفاع الإسرائيلية ١٩٥٠-٢٠١٢.

لم تكن هذه النقلة نتيجة لتيارات فكرية وحسب، بل أيضاً بسبب نهاية الحرب الباردة، التي أدّت إلى "انهيار" سوق السلاح العالمي، نظراً لانتهاء سباق التسلّح بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي. مع "التراجع في الربحية التي عانى منها القطاع الصناعي العسكري"[٢٩]، تقلّصت المشتريات العسكرية بشكل كبير في الوقت نفسه الذي انخفضت فيه الصادرات العسكرية[٣٠]. في العام ١٩٩٥، اعتقد كثيرون أن نهاية الحرب الباردة كانت "نهاية التاريخ" الفعلية، مع انتصار الديمقراطية الليبرالية، كما طرح فرانسيس فوكوياما، وكانت الحالة مشابهة في عملية أوسلو[٣١]. لماذا تحتاج بعد ذلك لصناعة أسلحة كبيرة؟ ولكن الوضع تغيّر بوتيرة سريعة بعد عشرين عاماً، مع ظهور "الحرب على الإرهاب"، أخذ إنتاج الأسلحة الإسرائيلية بالارتفاع.

ما الذي يجعل إنتاج التكنولوجيا المتطوّرة الإسرائيلية مربكة، بحيث لا يوجد خط واضح بين التطبيقات العسكرية والمَدَنية. يتلخّص هذا على الموقع الإلكتروني لمعهد التصدير والتعاون الدولي الإسرائيلي، حيث يتمّ الترويج لمسألة الأمن الداخلي: "حاجة عسكرية مباشرة مع تكنولوجيا فائقة"[٣٢]. كما يوضح جيف هالبر، هي تكنولوجيا فائقة مبدعة، واستعداد لتقديم الخدمات لأيّ زبون، وبطريقة فنّيّة تتجاهل أو تُقلّل من الخصوصية الفردية وحقوق الإنسان ... ويتفوّق "الأمن" فيها على كل شيء"[٣٣].

لم يكن التّحوّل إلى التكنولوجيا الإسرائيلية الفائقة وصناعة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، ليصبح واقعاً، لولا عدّة عوامل. تجنّبت عديد من البلدان الاستثمارات في إسرائيل، بسبب عدم الاستقرار في المنطقة

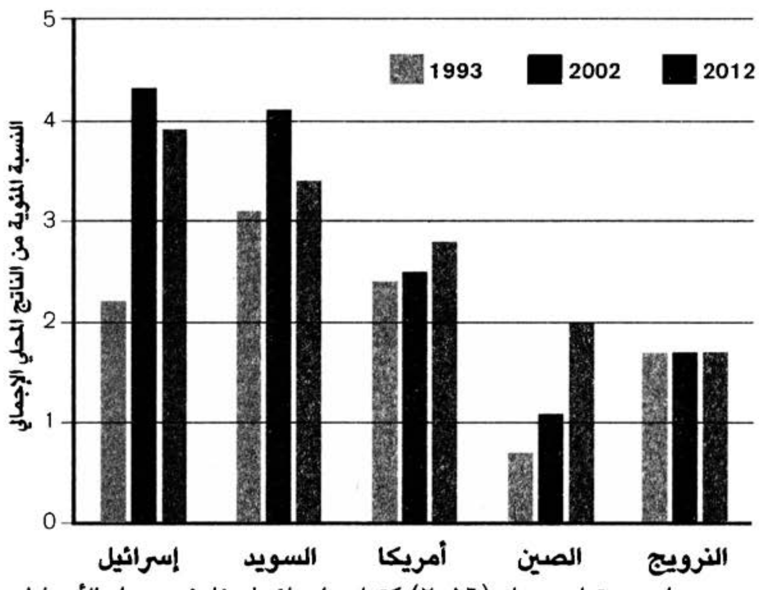
(رسمياً على الأقلّ)، إلا أن الظروف تغيّرت بعد اتفاقات أوسلو عام ١٩٩٢ عندما سعت الحكومة الإسرائيلية إلى جعل الاقتصاد "آمناً للشركات" قدرَ الممكن. على سبيل المثال، بينما كان على شركة إنتل - واحدة من أكبر المنتجين في العالم للرقائق الإلكترونية - وتدفع أكثر من ٣٠ في المئة من دخلها كضرائب في الولايات المتحدة، كانت الضرائب في إسرائيل صفر تقريباً[٢٤]. علاوة على ذلك، لتوضيح وضع شركات التكنولوجيا الفائقة في إسرائيل عام ١٩٩٦. كان العجز في ميزانية إسرائيل هو الأكبر بين جميع دول "مُنظّمة التعاون الاقتصادي والتنمية"[*] ، واختارت رغم ذلك دعم إنتل بـ ٩٠٠ مليون دولار، لإقناعها بالاستثمار في البلاد. شكّلت إنتل عام ٢٠١٢، ١٠ بالمئة من صادرات إسرائيل الصناعية[٢٥].

شهدت هذه الفترة "موجة مَدّ وجَزْر"، حيث تدفّق المال الأجنبي على شكل استثمارات وشراء شركات التكنولوجيا الفائقة الإسرائيلية المحلّيّة. في حين كانت الاستثمارات الأجنبية تُقدَّر بـ ١٠٠ مليون عام ١٩٩٠، نمت أكثر من عشرين مرّة في الأعوام الثمانية التالية[٢٦]. ساعدت أيضاً الهجرة الواسعة من جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق بين عامي ١٩٩٠ و٢٠٠٠ على التّحوّل إلى صناعة التكنولوجيا الفائقة. كان ثُلثا المهاجرين الذين وصلوا إلى إسرائيل لديهم خبرة في "القطاعات العلمية أو التقنية أو المهنية"[٢٧].

---

*) مُنظّمة التعاون الاقتصادي والتنمية (بالإنجليزية: Organisation for Economic Co-operation and Development) OECD: هي مُنظّمة دولية من مجموعة من البلدان المتقدّمة التي تقبل مبادئ الديمقراطية التمثيلية واقتصاد السوق الحُرّ. نشأت في سنة ١٩٤٨ عن مُنظّمة التعاون الاقتصادي الأوروبي العملية (OEEC)، للمساعدة على إدارة خطّة مارشال لإعادة إعمار أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية. بعد فترة، توسّعت المنظّمة، لتشمل عضويّتها بلداناً غير أوروبية، وفي سنة ١٩٦٠ تمّ إصلاحها، لكي تكون مُنظّمة التعاون والتنمية الاقتصادية. (المترجم/ويكيبيديا).

الشكل رقم ٣،٢: النفقات الإجمالية على البحث والتطوير
(نسبة مئوية من الناتج المحلي الإجمالي)



مصدر: ليبسيتول بي إم (٢٠١٦) كتاب: إسرائيل خلف جدار الأساطير والبروباغاندا. أوسلو: فورلاغت مانيفيست، ص ١٣٠. أُعيدت طباعته بإذن من المؤلّف صاحب الحقوق.

مصدر: مُنظّمة التعاون والتنمية "الإنفاق المحلي الإجمالي على البحث والتطوير" https://data.oecd.org/

الرسم البياني رَقْم 4vtx

لم تكن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الإسرائيلية كَكُلّ أُحادية الاتّجاه. على سبيل المثال، كانت شركة هيوليت باكارد والشركات التابعة التي تقوم بتطوير وإنتاج مكوّنات الكمبيوتر الصلبة وبرامجه "هي المصدر الرئيس لحلول تكنولوجية لنظام المراقبة والتّعرّف الإسرائيلي"[٢٨].

ربّما كانت "الحلول التكنولوجية لنظام إسرائيل للمراقبة" واحدة من أكثر صناعات التكنولوجيا الفائقة الإسرائيلية أهمّيّة، حيث تخصّصت أكثر من

٤١٦ شركة إسرائيلية في الأمن الوطني، وأكثرها في المراقبة[٣٩]، وشكّلت ٢١ بالمئة من قطاع التكنولوجيا الفائقة. على سبيل المثال، متقدّمة بذلك هو مُنشأة أوريم سيغينت (مخابرات الإشارة) للجيش الإسرائيلي في غليلوت شمال تل أبيب:

> *حيث تجمعُ أجهزة كمبيوتر فائقة الكلمات وأرقام الهواتف "ذات الأهمّيّة" من المكالمات الهاتفية المُعترضَة، والبريد الإلكتروني ووسائل الإعلام في أثناء انتقالها عبر أقمار الاتصالات الصناعية، والكابلات تحت البحر، والبثّ الإذاعي، أو من مصادر أخرى .... حيث يتمّ جمع المعلومات، وترجمتها، ونقلها إلى وكالات أخرى، بما في ذلك الجيش والموساد .... تُديرُ إسرائيل أيضاً برامج استخراج البيانات من الإنترنت[٤٠].*

يُعدّ تطوّر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في إسرائيل فريداً من نوعه، فـ"[خصوصية إسرائيل هي أن الجيش بمثابة الأساس لهذه الشبكات ذات التقنية الفائقة المهنية"[٤١]. على سبيل المثال، يلعب الجيش الإسرائيلي دوراً رئيساً في قيادة الشباب الإسرائيلي إلى مجال التكنولوجيا، من خلال وحدات النخبة (٨٢٠٠) (وحدة الحرب الإلكترونية)، والفيلق العسكري للكمبيوتر، وفيلق الإشارة، وغيرها من الوحدات التي تعتمد على الإلكترونيات بدرجات مختلفة[٤٢]. هذه هي المجالات التي يُجنَّد فيها الخرّيجون الحاصلون على أعلى الدرجات في إسرائيل.

لا ينبغي الاستخفاف بتأثير الجيش، فبالإضافة إلى تدريب الشباب

الإسرائيليين على استخدام التكنولوجيا الفائقة، والأبحاث العسكرية في إسرائيل هي في الطليعة في مجالات معيّنة من الاتصالات (وخاصة الاتصالات اللاسلكية)، والشبكات، وأمن البيانات (خصوصا التشفير)(٤٣)، علاوة على ذلك، لا يُطبّق الجيش الإسرائيلي قوانينَ حقوق التأليف والنشر وحماية الملكية الفكرية مثل شركة، لذلك هناك انتقال مباشر لخبرة الضباط السابقين والجنود الإسرائيليين في قطاع التكنولوجيا الفائقة عندما ينتهون من خدمتهم. هذا ما يؤكّده أوري سويد وجون سيبلي بتلر، اللذان قالا: "يُشكّل الجيش مصدراً هاماً لنقل المعرفة، وشريكاً حريصاً أو جزءاً من سياسة الاستثمار الحكومية"(٤٤). يُشكّل المحاربون القدامى في قطاع التكنولوجيا المتطوّرة الإسرائيلية، ٦٠ بالمئة من عموم السكان، ولكنهم يُشكّلون ٩٠ بالمئة من قطاع التكنولوجيا العالية. المجموعات السكّانية التي لم تخدم في الجيش هي "عملياً غير ممثّلة في هذه الصناعة"(٤٥).

أحد الأمثلة على الامتداد الفكري في الجيش الإسرائيلي لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات الإسرائيلية هي الشركة الإسرائيلية تشيك بوينت وتطويرها لبرنامج ڤي بي إن ١ وهو أوّل برنامج جدار حماية يُتاح تجارياً، وكان نتيجة لفكرة غيل شويد الرئيس التنفيذي ومؤسّس تشيك بوينت، خلال الفترة التي قضاها في وحدة الحرب الإلكترونية (٨٢٠٠)(٤٦). في أوائل تسعينيات القرن الماضي، ومع انتشار الإنترنت في جميع أنحاء العالم خلال فترة زمنية قصيرة نسبياً، كان هناك عديدٌ من المخاوف الأمنية ونقاط الضعف. مع ذلك، كما أكّد كارمل ودي فونتيناي: "لم توجد فعلياً أداةٌ لمعالجة هذه المشاكل قبل منتصف تسعينيات القرن الماضي. رغم ذلك، عالج الجيش الإسرائيلي عدداً من هذه المشاكل في شبكات اتصالاته، وطوّر أدوات للردّ(٤٧). قال جيف هالبر:

القدرة على المراقبة في ظلّ ظروف غير مواتية، تحدّثْ طويلاً مهام الأمن، وبالتالي فإن قدرة الشركات الإسرائيلية على "استعارة" التطبيقات الكهربائية الضوئية والليزر وتطبيقات الأشعّة تحت الحمراء من وحدات الاستطلاع وإلكترونيات الطيران العسكرية، واستخدامها في التكنولوجيات العسكرية القائمة، واستخراج البيانات، وجمع المعلومات الاستخبارية، قدّمت ميّزات خاصة[٤٨].

تدفّق الخبرة ليس أُحاديَّ الاتجاه كما ذكرتُ سابقاً، ولكن العلاقة التكافلية بين صناعة التكنولوجيا الفائقة الإسرائيلية والجيش الإسرائيلي تخلقُ التوتّر:

درس شابيرا [مراقب دولة إسرائيلي] التكنولوجيا التي وَضَعَهَا مقاولو الدفاع الإسرائيلي مع تطويرها المعرفي في قسم الاستخبارات. لم يحدّد شابيرا الأضرار التي لحقت بالدولة، بسبب فشلها في حماية حقوق الملكية الفكرية العسكرية، ولكن الأرقام كبيرة بما فيه الكفاية[٤٩].

تحدّث زئيف بيرل، الخبير في مجال الملكية الفكرية، عن تغلّب التسويق التجاري على الاعتبارات الأمنية والسّرّيّة[٥٠].

زبدة القول، انتقلت إسرائيل من القطاع العسكري الصناعي إلى المجمع الرَّقْمي العسكري من خلال:

١. السياسات الإسرائيلية في تشجيع رؤوس الأموال الأجنبية

للاستثمار في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الإسرائيلية، إلى درجة كبيرة، ودَفَعَتْها عملية السلام في تسعينيات القرن الماضية.

٢. الهجرة الكبيرة لرأس مال بشري محدّد من الجمهوريات السوفيتية السابقة.

٣. إنفاق الجيش الإسرائيلي موارد ضخمة على التكنولوجيا الفائقة، والتي انتقلت إلى "وادي السيليكون" الإسرائيلي.

من الهام جداً ملاحظة أن الفلسطينيين في الماضي قاتلوا جيشاً متفوّقاً من حيث الأسلحة والتكنولوجيا، ويبدو أنهم الآن، من خلال النضال البرمجي، ينتقلون مرّة أخرى بالصراع إلى مجال آخر، يتفوّق فيه الإسرائيليون.

الهروب من الاحتلال إلى الواقع الافتراضي

مع حصول إسرائيل على أوّل مزوِّد خدمة إنترنت عام ١٩٩٢، ونظراً إلى أن معظم الإسرائيليين مرتبطون بالإنترنت طوال الوقت، ومع وجود بنىً تحتية سيبرانية متطوّرة، كان نمُوّ الإنترنت في البداية أعلى من المتوسّط بالمقارنة مع النُّمُوّ الدولي، وفي عام ١٩٩٩ استخدم ١٣ في المئة من السكّان الإسرائيليين الإنترنت[٥١]. يمكن اعتبار تطوّر الأنترنت في إسرائيل "قفزة"، بالمقارنة مع جيرانها في الشرق الأوسط، حيث كانت نسبة مستخدمي الإنترنت ١ بالمئة. في العام نفسه، ١٩٩٩، تمّ إنشاء الموقع الإلكتروني الفلسطيني الأوّل: الموقع الإلكتروني لجامعة بيرزيت.

لكنْ، مع نُمُوّ الإنترنت البطيء في العالم العربي، بسبب الرقابة والدكتاتورية والفقر وضعف محتوى اللغة العربية، بقي تطوّر البنية التحتية السيبرانية بطيئاً في المناطق الفلسطينية، ويرجع ذلك أساساً لأن بيزك - أكبر شركة للاتصالات في إسرائيل - لم يكن لها أيّ مصلحة في السوق الفلسطيني. يُعزى ذلك جزئياً للاحتلال الإسرائيلي. قبل اتفاقات أوسلو، كان من غير القانوني استخدام الفلسطينيين الاتصالات الإلكترونية، بسبب مخاوف من استخدامها كأدوات في المقاومة. شمل هذا الخطوط الهاتفية، والتي تُعدّ حاسمة لتطوّر الإنترنت والوصول إليها[٥٢]. بعد اتفاقات أوسلو تأسّست عديد من شركات الاتصالات الفلسطينية، ومنها شركة "جوّال" الاحتكارية نتيجة للأمر الواقع. كان هناك - ولا يزال - اعتماداً على البنية التحتية الإسرائيلية، وبأغلبها على شركة بيزك، حيث تُحوَّل المكالمات من شخص في أراضي السلطة الفلسطينية إلى آخر في منطقة مختلفة عن طريق إسرائيل، وكذلك جميع المكالمات الدولية[٥٣]. ليس لهذا آثارٌ على استقلال الدولة الفلسطينية المفترَضَة وحسب، بل يجعله وسيلة تحت تصرّف الإسرائيليين لمراقبة أيّ نشاط فلسطيني في المجال الرَّقْمي - إذا لم يتخذ أفراد الشعب الفلسطيني تدابير معينة. على سبيل المثال، حتّى يومنا هذا يَحرِم الإسرائيليون الفلسطينيين من استخدام تقنية الجيل الثالث للاتصالات اللاسلكية، من خلال مزوّدي خدمة فلسطينيين "لأسباب أمنية"[٥٤]. مع ذلك، في صيف عام ٢٠١٥ ظهرت تقارير أن السلطات الفلسطينية والإسرائيلية كانت في طريقها لتوقيع اتفاق، يسمح باستخدام تقنية الجيل الثالث، وربّما الرابع، في الأراضي الفلسطينية. ليس من الواضح لماذا غيَّر الإسرائيليون فجأة موقفهم. قال لي طالب في جامعة بيرزيت: "تخيّل لو أن الفلسطينيين في مظاهرة في

قرية النبي صالح أو أيّ مكان آخر، قدّموا بثّاً مباشراً لبقية العالم، من خلال تويتر أو فيسبوك، وزوّدوه بمعلومات عمّا يجري، لن يسعد الإسرائيليون بذلك"[٥٥]. أوضح بعض آخر التغيّر الإسرائيلي الجوهري على أنه محاولة لتعزيز "السلام الاقتصادي" مع الفلسطينيين[٥٦]. شرح آخر أن وسائل الإعلام الاجتماعي أثبتت أنها ذات قيمة للغاية للإسرائيليين لجَمْع المعلومات. على سبيل المثال، بين أكتوبر ٢٠١٥ وفبراير ٢٠١٦ اعتُقل أكثر من ١٥٠ شخص "بناء على مشاركات على فيسبوك عبّرت عن آرائهم في الانتفاضة [الفلسطينية]"[٥٧]. مع ذلك، في حين كان ٩٧ من أصل ١٠٠ فلسطينياً دون هاتف، ونسبة أكبر دون إنترنت عام ١٩٩٦[٥٨] ارتفعت الأرقام إلى ٧,٥ في المئة من سكّان فلسطين، يستخدمون الإنترنت عام ٢٠٠٦[٥٩]، وقفزت إلى ٥٧,٧ في المئة عام ٢٠١٢[٦٠]. كما قيل سابقاً، تمّ استخدام الإنترنت في العالم العربي كأداة لتجاوز الرقابة، وتجنّب الأعمال الانتقامية للأنظمة القَمْعية، وتجاوُز الحدود بين الجنسين، والاتصال مع العالم الخارجي، واستخدامه كسلاح محتمل (من خلال النضال البرمجي أو نشاط الإنترنت). مع ذلك، فإن الوضع يختلف في الأراضي الفلسطينية حيث الحدود بين الجنسين والحكم الاستبدادي ليست هي القضايا الرئيسة. بدلاً من ذلك، يلعب الإنترنت دوراً في تجاوز العقبات الماديّة كنقاط التفتيش والجدران والحواجز والحدود. خاصة في حالة اللاجئين الفلسطينيين في الشتات، المستبعدين عن وطنهم - في كثير من الأحيان أصبح مجرّد ذكرى رواه الجيل الأكبر سناً – حيث يُبعدهم عن التوتّر بين الحدود، ويفسح لهم المجال للتعبير عن الانتماء والاشتياق. بالتالي، يوفّر الفضاء الإلكتروني إمكانية تجاوز الحدود، وتمكين التواصل مع الناس، بحثاً عن الأخبار والصور والفيديو ووسائل الإعلام لتحديد هوية الشخص، والشعور بالانتماء.

مع ذلك، تجدر الإشارة - بعد بناء الجدار الذي بدأ عام ٢٠٠٢، والحصار المفروض على قطاع غزّة منذ عام ٢٠٠٧، وتطويق المُدُن مثل قلقيلية (بالإضافة إلى حَظْر التجوّل المتكرّر)، إلى أن الواقع الافتراضي هو أيضاً وسيلة لتجاوُز الحدود على الحركة داخل فلسطين، رغم اختلاف حالهم عن الأُسر الفلسطينية في الشتات. يمكننا الحديث عن الواقع الافتراضي في حالة من العُزلة المتزايدة، ليس فقط عن العالم الخارجي، ولكنْ، أيضاً عن بقية المجتمع الفلسطيني. كما ركّزت على النضال البرمجي والمقاومة السيبرانية، لم يكن الإنترنت حين ظهر في فلسطين مجرّد أداة للبقاء على اتصال مع الأصدقاء والأقارب وتجاوز الحدود المادية، ولكنْ، أيضاً أداة للتأثير على السَّرْد والرواية، بل أصبحت شبكة الإنترنت وسيلةً للنضال من أجل الهيمنة.

حاولت نظريةُ الهيمنة للماركسي الإيطالي أنطونيو غرامشي شرحَ كيف أبقت الطبقة الرأسمالية الحاكمة سيطرتَها بنجاح على الطبقة العاملة لعدّة قرون. الفرضية الرئيسة هي أن القوّة الغاشمة وحدها لا يمكن أن تكون كافيةً للاحتفاظ بالسلطة، ولكنها تتطلّب أيضاً السيطرة على الأفكار[٦١]. يمكن تطبيق الشيء نفسه على احتلال فلسطين، حيث توجد، إلى حدّ كبير، حرب مستمرّة للهيمنة بين الفلسطينيين والإسرائيليين حول أساس الصراع والحقّ في الوجود. كان هذا واضحاً في صيف عام ٢٠١٤ في أثناء آخر قصف لغزّة، عملية الجرف الصامد، حيث انتشر هاشتاغان: #إسرائيل_تحت_القصف، الموالي لإسرائيل، و #أنقذوا_غزّة الموالي للفلسطينيين، وكانا الأكثر شيوعاً للتأثير على سَرْدِيّة ورواية الفظائع الجارية. بالتالي، هناك عدّة وسائل لتحريك النشاط السياسي الفلسطيني إلى العالم الافتراضي إلى جانب النضال البرمجي: نشاط الإنترنت ومحاولات تغيير الخطاب

السَّرْدي هي أمثلة أخرى. من الممكن أن نرى النضال البرمجي الفلسطيني الذي يهدف إلى تشويه (تهكير) مواقع إلكترونية إسرائيلية في هذا السياق، بهدف رئيس، برَفْع مستوى الوعي، وتقديم الرواية الفلسطينية للجمهور الذي لن تصله، لولا ذلك، وخاصة في ظلّ الاحتلال حيث تواجه بروايات مضادّة، وتتعرّض للإسكات:

> *إن واقع ظهور مُعلّقين إسرائيليين على شاشة التلفزيون [الأمريكي] أكثر من الفلسطينيين يُشكّل نمطَ دعمٍ لإسرائيل. أظهرَ مزيدٌ من الدراسات وتحليلات المحتوى أنه حتّى عند عرض وجهة النَّظَر الفلسطينية، كان معظم مَنْ يكتبها شخصيات إسرائيلية بارزة، ممّا يؤكّد مدى عدم السماح للفلسطينيين التحدّث بالنيابة عن أنفسهم، ولكنْ، يجب أن يكونوا ممثّلين من قبل الآخرين*[٦٢].

بالتالي، يمكن اعتبار النضال البرمجي الفلسطيني أكثر من مجرّد أداةٍ للتسبّب في الضرر المادي والاقتصادي لما يعدّه القراصنة بنيةً تحتيةً للاحتلال. يهدف النضال البرمجي الفلسطيني أيضاً إلى إنشاء سَرْدية المقاومة، ونشرها في الأماكن المناسبة. يقدّم النضال البرمجي الفلسطيني صوتاً لمَنْ لا صوتَ له من خلال خَلْق موضوعات مستقلّة باحتلال وإعادة إنشاء مساحات خارجية.

٤

الاستشهادي
وظهور الجهاد الإلكتروني الفلسطيني

عندما فشلت المفاوضات مع إسرائيل أواخر تسعينيات القرن الماضي، أُحبِط الشعب الفلسطيني، وفَقَدَ إيمانَهُ إلى حدّ ما، في قدرة المجتمع الدولي على المساعدة في إنهاء النزاع. بالإضافة إلى الإحباطات اليومية، والشعور بأن إسرائيل والمجتمع الدولي خدعوهم، مع النُّمُوِّ المستمرّ للمستوطنات، ووضوح عدم رغبة الإسرائيليين بالانسحاب من الأراضي الفلسطينية. بدأت المظاهرات والقاعدة الشعبية المقاومة على طريق الانتفاضة الأولى نفسها. كان اندلاع الانتفاضة الثانية مرتبطاً بشكل وثيق بفشل أوسلو، حتّى إن البعض أطلق عليها اسم حرب أوسلو. أدّتْ هذه المظاهرات إلى ردّ قاسٍ من الإسرائيليين، حيث ردّوا على نيران الأسلحة الصغيرة بالدبّابات والقصف المدفعي لمناطق المَدَنيين الفلسطينيين[١]. كان وحشياً جداً، بحيث تُعدّ تسميته "عنف الدولة الإسرائيلية" غير مُنصف. أُطلِق في الأسابيع الثلاثة الأولى فقط من الانتفاضة الثانية مليون طلقة ذخيرة ضدّ الفلسطينيين[٢]، وفي نهاية الانتفاضة كانت النتائج:

مقتل أكثر من ٣٢٠٠ فلسطيني، ٨٥ في المئة منهم على الأقلّ من المَدَنيين. نحو ٦٥٠ طفلاً وشابّاً، نصفهم تحت سنّ

١٥. ٨٨ في المئة من الحوادث التي قُتل فيها الأطفال، لم تكن هناك مواجهة مباشرة مع الجنود الإسرائيليين. أُصيب ٥٠ ألف فلسطيني، ٢٠٪ منهم من الأطفال والشباب، أدّت إلى إعاقة نحو ٢٥٠٠ مَدَني بشكل دائم(٣).

هكذا، بينما كانت الانتفاضة الأولى شعبيةً، وإلى حدٍّ كبير غير عنيفة، تمّت عَسْكَرَةُ الانتفاضة الثانية، حيث سلَّح الفلسطينيون أنفسَهم أيضاً للقيام بتفجيرات انتحارية وعمليات إطلاق النار ضدّ الجنود والمستوطنين والمَدَنيين الإسرائيليين. من الهامّ ملاحظة أنه مع موت اتفاقات أوسلو وعَسْكَرَة الانتفاضة الثانية، برز تغيّر واضح آخر في سَرْدِيّة عنصر المقاومة: من شهيد سلبي في الانتفاضة الأولى إلى الفاعل النشط طالب الشهادة (الاستشهادي)(٤). في البداية نفّذت الحركات الإسلامية تفجيرات انتحارية، بينما التزمت باقي ألوان الطيف السياسي الفلسطيني بالمفاوضات خلال تسعينيات القرن الماضي. مع ذلك، مع صعود الانتفاضة الثانية اختارت معظم التجمّعات السياسية اعتماد استراتيجية إسلامية (حماس والجهاد الإسلامي في فلسطين)، أو علمانية (فتح) أو الماركسية اللينينية (الجبهة الشعبية). يمكن اعتبار استخدام الانتحاري الذي يسعى إلى الشهادة بنشاط بمثابة عودة إلى جذور المقاومة، عندما كان ينظر إلى أن الضغط المباشر والعنيف فقط يكفي للضغط على المشروع الصهيوني(٥). إن تفسير ذلك ببروز ظاهرة الاستشهادي لا يمكن أن يكون التفسير الوحيد بالطبع، ولكنْ، أيضاً وصف ناصر ابو فرحة في دراسة مستفيضة للانتحاريين الفلسطينيين على أنهم عنف مقلّد، ومحاولة "محاكاة" العنف نفسه، وخرق الوَضْع الطبيعي الذي شعر به الفلسطينيون في ظلّ الاحتلال الإسرائيلي(٦). من خلال تفجير المطاعم والمقاهي والحافلات سيفقدُ الإسرائيليون فجأة

شعورهم بالطبيعية والأمن. إن لم يكن الفلسطينيون قادرون على الشعور بأيّ نوع من الأمن، أو أن يعرفوا موعد القصف الإسرائيلي القادم على حيّهم، فسيعملون على مواجهة الإسرائيليين لنفس الشعور بانعدام الأمن. مع ذلك، ورغم أن مجرّد اندلاع الانتفاضة جاءت نتيجة لاتفاقات أوسلو، التي لا تُنهي الاحتلال، بل تُرسّخه، ساهمت العمليات الانتقامية العنيفة غير المتناسبة من قبل الإسرائيليين إلى عسكرتها (وبالتالي إلى خطاب الاستشهادي)، ويجدر النَّظَر أيضاً إلى عدم قدرة الطبقة السياسية الفلسطينية على مَنْع ذلك. على سبيل المثال، كانت هناك تغييرات كبيرة في النسيج السياسي الفلسطيني، كما أكد درويش وريغبي: "اتبعت كوادر الانتفاضة [الأولى] مسارات مختلفة، ولكنْ، كان هناك اثنان من المسارات الوظيفية المشتركة. انضمّ البعض إلى السلطة الفلسطينية الجديدة، وأسّس بعضهم الآخر، أو انضمّ إلى مُنظّمات غير حكومية مَعنية بمواضيع مثل الديمقراطية وبناء السلام[٧]". وهكذا فُقِدَت القيادة الفلسطينية المحتمَلَة، التي كان يمكن أن تقودَ مقاومةً شعبيةً غير مُسلَّحة. باعتراف الجميع غذَّى التنافس بين فتح وحماس هذا التطوّر.

ممّا لا شك فيه أن عَسْكَرَةَ الانتفاضة كانت هبة من السماء للإسرائيليين من حيث تأطير الاحتلال. مع الهجمات الإرهابية على مركز التجارة العالمي عام ٢٠٠١، تمّ استبدال الحرب الباردة بسَرْدِيّة "هنتنغتون" لصراع الحضارات - أوّلاً وقبل كل شيء بين الغرب "المتحضّر" والمسلمين من خلال ما سُمّي "الحرب على الإرهاب". كان هذا توطيداً لسَرْدِيّة الشرق الجديد الذي يعدّ إسرائيل جزءاً من العالم الغربي في كفاحه ضدّ جحافل وحشية من المسلمين الذين لا يريدون أن يروا أيّ شيء إلا دماء الإسرائيليين.

كما وصف روبرت كابلان نفسه إسرائيل: "قلعة وسط عالم إسلامي

واسع ومتقلّب"[٨]. بعد أيام من ١١ سبتمبر ٢٠٠١، تصاعدت الهجمات العسكرية على الفلسطينيين، ونشأ خطاب جديد وفقاً لأرييل شارون، أن المقاومة الفلسطينية لا تختلف كثيراً عن وسائل الإرهاب التي يستخدمها أسامة بن لادن[٩]. علاوة على ذلك، أضاف شارون أن هذه المعركة ليست فقط للدفاع عن المَدَنيين الإسرائيليين، ولكن "مكافحة الإرهاب هو نضال دولي للعالم الحر ضدّ قوى الظلام التي تسعى لتدمير حُرّيّتنا وطريقتنا في الحياة"[١٠]. رغم جدلية تاريخ انتهاء الانتفاضة، سواء مع وفاة ياسر عرفات، أو فكّ الارتباط الإسرائيلي من غزّة، إلا أنه بعد ست سنوات، انتهى استخدام الانتحاريين - مع حالة استثنائية واحدة في عام ٢٠٠٧. يجب النَّظَر إلى نهاية الانتفاضة الثانية جزئياً في سياق المعاناة التي توجّب على الفلسطينيين تحمّلها. على سبيل المثال، أظهرت الأجيال الأكبر سنّاً في الضّفّة الغربية وقطاع غزّة تردّداً بشأن انتفاضة ثالثة، كما أنهم يخشون من أن تكون أقرب إلى الانتفاضة الثانية وعُنفها، من الأولى. ثمّة عامل آخر لنهاية الانتفاضة، وهي وثيقة الوفاق الوطني للأسرى الذي وقّعته الأحزاب السياسية الرئيسة (فتح، حماس، الجبهة الشعبية، الجبهة الديمقراطية وحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين). مثّلت الوثيقة تغييراً في النضال والمقاومة الفلسطينية ضدّ الاحتلال الإسرائيلي: فسَّرَ البعض نهاية التفجيرات الانتحارية الفلسطينية كدليل على نجاح الجدار الفاصل، ولكن الشين بيت[*] شدّد على أهمّيّة التهدئة الفلسطينية وقرار حماس والفصائل الأخرى النشطة للتركيز على المشهد السياسي[١١]. استمرّ الهدوء النسبي حتّى يومنا هذا، في حين أن الاستثناءات كانت عمليات القصف على غزّة، وتكثيف الاحتجاجات في الضّفّة الغربية.

---

*) الشين بيت أو الشاباك (Hebrew: שירות הביטחון הכללי General Security Service): جهاز الأمن الداخلي في إسرائيل، خاضع لرئيس الحكومة، واسم شين بيت (ش ب) هو اختصار لاسمه العبري (شيروت بيتحون كلالي) الذي يعني جهاز الأمن العام. (ويكيبيديا/المترجم).

الجهاديون الإلكترونيون قادمون

خلال هذا التطوير المستمرّ والتغيير متعدّد الأوجه للمقاومة الفلسطينية، كيف ومتى ظهر النضال البرمجي الفلسطيني؟

كما رأينا، انتقل تطوّر المقاومة الفلسطينية من عمليات الوخز بالإبر من الدول العربية المجاورة إلى الظهور في الأراضي الفلسطينية بعد هزيمة مُنظّمة التحرير الفلسطينية - مع التحوّل من الفدائي إلى الشهيد. مع فشل عملية أوسلو، وانهيار الثقة في المجتمع الدولي، حوَّل الشهيدُ السلبيُّ نفسَه إلى استشهاديٍّ نشطٍ، إلا أنه مع الفشل الثاني بتحرير أنفسهم خلال الانتفاضة الثانية، تخلّوا عن هذه الاستراتيجية أيضاً. في هذا الإطار، ظهر الجهاد الإلكتروني والحرب الإلكترونية بين إسرائيل والفلسطينيين: رغم أنه من الصعب تحديد التواريخ الدقيقة للمناسبات المختلفة لإنشاء مجموعات النضال البرمجي المختلفة والدوائر الإلكترونية في ألوية مُسلّحة، مثل حماس والجهاد الإسلامي، إلا أن هذه الظاهرة برزت على الأرجح أواخر تسعينيات القرن الماضي. كما ذكر في المقدّمة، كانت بدايات مواجهة إسرائيل فيما كان يُطلَق عليه "الحرب الإلكترونية" في ٦ أكتوبر ٢٠٠٠. ينبغي أن نلاحظ كيف أن "الحرب الإلكترونية" تزامنت مع الانتفاضة الثانية عندما اخترق ناشطون برمجيون في ذلك التاريخ ٤٠ موقعاً إسرائيلياً في بضع ساعات تعاطفاً مع الفلسطينيين[١٢]. ردّ القراصنة الإسرائيليون بهجمات حرمان الخدمة لمواقع فلسطينية وعربية. كما تقول القصة، كان واحد من هذه المواقع تابعاً لحزب الله. أدّى الاختراق الإسرائيلي لموقع حزب الله إلى ما وُصف أنه موجة من الدعوات إلى "الجهاد السيبراني" ضدّ إسرائيل، وجولة جديدة من الهجمات المضادّة ضدّ إسرائيل، لمواقع أخرى

من بينها المواقع التابعة للكنيست ووزارة الخارجية وبنك إسرائيل وبورصة تل أبيب[١٣]. الوصف الأفضل لما حدث هو لعبة القطّ والفأر، حيث أنشأ حزبُ الله مواقع بديلة لموقعه على شبكة الإنترنت[١٤]، والتي تمّ استبدالها في وقت لاحق من قبل إسرائيل بصور لنجمة داود ونصّ عبري. في هذه الأثناء، اخترق قراصنة فلسطينيون مواقع حكومية إسرائيلية[١٥]. من اللافت مع هذا التصعيد المفاجئ هو أنه منذ البداية، لم تقتصر القرصنة ومكافحة القرصنة للمواقع الإسرائيلية والعربية على الفلسطينيين والإسرائيليين، ولكنها تحوّلت إلى حرب إلكترونية عربية إسرائيلية، ممّا أدّى إلى موجة من الهجمات السيبرانية المرتدّة من جميع أنحاء العالم الإسلامي. على سبيل المثال، أخذت مجموعة عربية تُطلق على نفسها "الوحدة" (UNITY) دوراً رئيساً في الحرب الإلكترونية، بالإضافة إلى "بوّابة الشبكة الإسلامية العالمية للإعلام"، التي شاركت في عدّة هجمات حرمان من الخدمة. امتد الأمر إلى المجال السيبراني الأمريكي، حيث تمّ اختراق الموقع الإلكتروني لجماعة الضغط الإسرائيلية إيباك من قِبَل القرصان الباكستاني الذي يُسمِّي نفسه الدكتور نوكر[١٦]، حيث اخترق الموقع، ونشر أرقام بطاقات الائتمان وعناوين البريد الإلكتروني لكثير من الأعضاء[١٧]. حتّى الوحدة العسكرية الإسرائيلية للحفاظ على أمن الكمبيوتر، قالت إن معظم الهجمات جاءت من لبنان ودول الخليج[١٨].

من يوليو ١٩٩٩ وحتّى منتصف أبريل ٢٠٠٢، تمّ اختراق ٥٤٨ موقع إسرائيلي[١٩]. قال المدير التنفيذي لخدمة الإنترنت الإسرائيلية نيتفيجن، جلعاد رابينوفيتش، إن ما يُسمّى بـ "interfada" (انتفاضة الإنترنت) بدأها الإسرائيليون: "كيف بدأت القصة؟ نحن [الإسرائيليون] بدأناها. كان مثيراً جداً - دعونا نضع العَلَمَ الإسرائيلي على موقع حزب الله، فأوقظناهم[٢٠].

تشير هذه الأرقام ضمناً إلى أنه رغم أن متوسّط انتشار الإنترنت في إسرائيل وفلسطين لم يصل لطاقته الكاملة، إلا أنهم كانوا قادرين على استخدام المجال الافتراضي كمجال للحرب الرَّقْمية عام ١٩٩٩. يبدو أنه من المستحيل تصنيف كلّ هجوم وهجوم مضاد في المجال الافتراضي الفلسطيني / الإسرائيلي - بالإضافة إلى حقيقة أنه من المرجّح أن الأغلبية منها لا يلاحظها أحد - تجدر الإشارة إلى أن عدد الهجمات والتصعيد قد تزامن وارتفع وفقاً للوضع على الأرض: عندما كان هناك تصعيد للنزاع بين الفلسطينيين والإسرائيليين على أرض الواقع، في أحداث مثل الهجمات على غزّة، والانتفاضة الثانية وحرب لبنان عام ٢٠٠٦، بلغت الهجمات الإلكترونية على إسرائيل ذروتها. أحد الأمثلة على ذلك حدث أواخر ديسمبر/كانون الاول عام ٢٠٠٨ عندما اخترق جيش الدفاع الإسرائيلي محطّة تلفزيون لحماس، وبثّ سلسلة رسوم متحرّكة، تُصوّر حالة وفاة في قيادة حماس مع عنوان "الوقت ينفد"[٢١].

التصعيد في المجال الافتراضي وفقاً للوَضْع على الأرض لا يقتصر على التصعيد في السياق الفلسطيني / الإسرائيلي، ولكنْ، أيضاً في العالم الإسلامي بأسره. على سبيل المثال، عندما ظهرت منشورات مختلفة تسخر من نبيّ المسلمين محمّد، أدّى ذلك أيضاً إلى سلسلة من الهجمات على مواقع الإنترنت ذات الصلة. من الأمثلة على ذلك، إطلاق مقاتلي القسام السايبريين عملية أبابيل احتجاجاً على فيديو "براءة المسلمين" في عام ٢٠١٢، وتعطيل المواقع الإلكترونية لبورصة نيويورك وعدد من البنوك مثل جيه بي مورغان تشيس وبنك أميركا. رغم الاعتراف بأنه كان من السهل رَفْض البيان الرسمي للجماعة، قال رودني جوف، نائب الرئيس الأوّل في ستيرلنغ: "اعتقد أن أننا تعلّمنا دروسنا من مقاتلي القسام السايبرين ...

كانت مؤذية ووحشية"[٢٢]. كان هذا الإطار الزمني لظهور عديد من فِرَق النضال البرمجي الفلسطينية، مثل فريق هاكر غزّة (٢٠٠٧)، وفريق أمن غزّة (٢٠٠٨) وفريق KDMS (٢٠١٣). لا توجد إجابات واضحة لماذا ظهرت عديد من هذه الفِرَق الفلسطينية في هذه الفترة. على الأرجح يمكن أن تُعزى إلى المستويات العالية للتعليم وارتفاع معدّلات البطالة، والتطوّرات التكنولوجية التي تُمكِّن الفلسطينيين من متابعة مسار الجهاد الإلكتروني. على سبيل المثال، كان معدّل البطالة عام ٢٠٠٧ (خمسة عشر سنة فأكثر) ٢١,٥ في المئة في جميع المناطق الفلسطينية[٢٣]. في قطاع غزّة (سنرى أنه الأكثر حيوية بين المناطق الفلسطينية في النضال البرمجي) كانت نسبة البطالة ٢٩,٧[٢٤]. يمكن اعتبار ٢٩,٥ فقط من مجمل السكّان الفلسطينيين يعملون بشكل كامل (العمل ٣٥ ساعة فأكثر في الأسبوع)[٢٥].

تفاعلت المعدّلات المرتفعة للبطالة مع مستوى التعليم العالي، ومعدّل الأمّيّة لدى الكبار (خمسة عشر عاما وما فوق) يعادل ٩٤,٤ في المئة عام ٢٠٠٧[٢٦]. ومعدّل الالتحاق بالتعليم الثانوي الذي يُقدَّر بـ ٩١ في المئة عامي ٢٠٠٨/٢٠٠٩ - وهو رَقْم، يضعُ الفلسطينيين في الصدارة في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا[٢٧]. علاوة على ذلك، كان التحاق الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين ثمانية عشر وأربعة وعشرين بالتعليم العالي ٣٣ في المئة في نفس الفترة - أعلى من المتوسّط للدول ذات الدخل المتوسط[٢٨].

لذلك قد يكون تأثير الإنترنت - والتغيير في احتمالات العمل السياسي - جنباً إلى جنب مع التعليم العالي للسكّان الفلسطينيين والعاطلين عن العمل وتحت الاحتلال، العوامل الحاسمة في ظهور النضال البرمجي

في فلسطين. علاوة على ذلك، يجب النَّظَر أيضاً إلى وحدات الحرب الإلكترونية في حماس والجهاد الإسلامي، واهتمام الحركات الإسلامية بالهندسة والمهن الفنّيّة الهامّة. على سبيل المثال، قال دييغو غامبيتا وستيفن هيرتوغ إن "نسبة المهندسين بين المتشدّدين الإسلاميين العنيفين مرتفعة، من قبل اثنين إلى أربعة أضعاف الحجم المتوقَّع[٢٩]، ويمكن الملاحظة بعد دراسة ٤٢ حالة من ٧٨ أن هناك ثلاثة اختصاصات هندسة سائدة: الكهربائية المَدَنية، وذات الصلة بالحاسوب"[٣٠].

مع ذلك، من السهل أن ننسى، ونحن نُركّز فقط على مجموعات نضال برمجي مختلفة متصارعة، أن الحرب الإلكترونية التي تُنفّذها إسرائيل وتُنفّذ ضدّها مرتبطة بمستوى الدولة القومية. لا ينبغي أن ننسى واحداً من أشد الفيروسات فتكاً: دودة الكمبيوتر ستكسنت التي ضربت المفاعل النووي الإيراني. كانت دودة متطوّرة جداً وغير مسبوقة، وُصفت بأنها ليست سوى "صاروخ عسكريّ في الفضاء الإلكتروني"[٣١]. باختصار، تمّ تصميم الدودة لضرب أجهزة الطَّرْد المركزي لتخصيب اليورانيوم في المفاعلات النووية الإيرانية. ومع ذلك، كانت انتقائية في أهدافها، من أجل خَلْق أسوأ ضَرَر ممكن بمنتهى الفعالية، كان لابد من الحدّ من انتشارها: الأجهزة التي أنتجتها شركة سيمنز فقط هي التي تعرّضت للضربة[٣٢].

فجأة، تعرّضت أجهزة الطَّرْد المركزي الدوّارة في منشأة نطنز لتخصيب اليورانيوم مثلاً، إلى زيادة الضغط، في حين أظهرت غرف التّحكّم أن كل شيء يسير بسلاسة عن طريق إعادة تسجيلات سابقة لقِيَم النظام في المصنع[٣٣]. دمّرت في النهاية ١٠٠٠ من ٦٠٠٠ جهاز طَرْد مركزي لتخصيب اليورانيوم في إيران، وبالتالي ربّما كان هذا الهجوم الإلكتروني الأوّل بغرض

وحيد وهو الضرر المادي الفعلي. رغم أن أحداً لم يُعلن مسؤوليته عن الدودة، بل هو سرّ مفضوح أنه كان على الأرجح نتيجة للتعاون الأمريكي الإسرائيلي.

وفقاً لإدوارد سنودين الموظّف السابق في وكالة المخابرات المركزية، فإن وكالة الأمن القومي (NSA)، بإدارة مديرية الشؤون الخارجية، وإسرائيل صمّما ونفّذا الهجوم بشكل مشترك[٣٤]. تطلّب الإصابة بهذه الدودة قيام شخص بوضعها بشكل مباشر من خلال وحدة تخزين في الشبكات المحلية. زُعم مسؤولية وكالة الاستخبارات المركزية والإسرائيليين للدخول إلى المصنع بحيث يمكن أن يتمّ ذلك - مع مساعدة من "شركاء غير متعمّدين - مهندسين وفنّيّين في المصنع"[٣٥].

لا تُعدّ حقيقة وجود حرب إلكترونية جارية مفاجأة، ولكنْ، كما أشار إلى ذلك فارويل وروزينسكي إن ما يجعل ستكسنت مثيرة للاهتمام هو إعادتها لتعريف استخدام القوّة أو الهجوم المُسلّح بين الدول[٣٦]. إلا أن ستكسنت لم تجرحْ أو تصبْ أو تقتلْ أيَّ شخص، رغم أنها تهدف إلى التّسبّب بأضرار مادية، ونجحت في ذلك. هل تعادل الحرب الإلكترونية هجوماً مُسلّحاً فقط عندما تقتلُ شخصاً ما؟ يمكن أن يحدث ذلك إذا رأينا قرصنة لأنظمة التّحكّم بالطائرات، ممّا يؤدّي عمداً إلى اصطدامها بمبنى، أو اختراق شبكة الكهرباء اللازمة لتشغيل مستشفى، وبالتالي تعريض حياة المرضى للخطر. لكنْ، ماذا عن مجرّد إيقاف تشغيل المواقع أو المصانع أو المنشآت النووية، كما هو في حالة ستكسنت؟ سنعود إلى ذلك لاحقاً، ولكنْ، من الهام تأكيد كيف أن هذه "الأدوات" تزداد تطوّراً، كما كان الحال مع البرمجية الخبيثة دوكو المرتبطة بستكسنت، والتي استهدفت وزارة

النفط الإيرانية وشركة النفط الوطنية عام ٢٠١٢. بمشاركة وكالة المخابرات المركزية ووكالة الأمن القومي الأمريكيتين والجيش الإسرائيلي وبرمجية فليم (لهب)، للتجسّس التي موّلتها الدولتان، وأُشيدَ بها في ذلك الوقت: "السلاح السيبراني الأكثر تطوّراً":

كانت فليم (لهب) قادرةً على سرقة البيانات من أجهزة الكمبيوتر المصابة، وتسجيل ضربات المفاتيح، وتفعيل ميكروفونات الكمبيوتر لتسجيل المحادثات، وأخذ لقطات للشاشة. ما جعلها فعّالة جداً في قدرتها على التطوّر باستمرار، من أجل إرسال الاستخبارات إلى جاسوس رئيس غير معروف، يسيطر على خوادم، في جميع أنحاء العالم. وعند الحاجة لإزالته، يمكن للفيروس تنظيف نفسه من داخل جهاز كمبيوتر، دون أيّ يُخلِّف أيَّ دليل على أنه كان موجوداً[٣٧].

الجزء الثاني

فلسطين 2.0 والمحاربون السيبرانيون

٥

فريق هاكر غزّة:
الجهادي الإلكتروني وأطفال السيكربت(*)

"يحيى! يحيى! تعال بسرعة! أجابوا! حقاً أجابوا! "كنتُ أركض في شقّتي برام الله عندما نجحت أكبر الإنجازات. "والله؟ دعني أرى ... ". قرأ البريد الإلكتروني قبل أن ينظر في وجهي. "هل هذا هو الأمر ...؟" "حسناً، نعم، ولكنهم ... أجابوا!".

بالطبع، يحيى، زميلي في الغرفة، لم يكن متحمّساً جداً، وهو مُحقّ في ذلك. كانت الأجوبة التي حصلتُ عليها من فريق هاكر غزّة، وبشكل أكثر تحديداً من mr.leon (السيد ليون) محدودة إلى حدّ كبير، لأنها كانت إمّا "نعم" أو "لا" أو "نحن الفلسطينيون". وضعوا إجاباتهم القصيرة تحت كل سؤال. لكن، ذكّرتُ نفسي أن هذا كان انفراجة بكل الأحوال. مع ذلك، لم يكن دون مشاكل. في اليوم التالي، فقدتُ الوصول إلى حساب البريد الإلكتروني الخاص بي. كل شيء آخر عمل بشكل جيد، البريد الإلكتروني الخاص بدراستي، الفيسبوك(**)، وكل شيء آخر، باستثناء بريدي الإلكتروني الشخصي! ربّما كان مجرّد خطأ من قبل الملقّم المضيف،

---

*) سكريبت: نصّ بلغة برمجية.

**) فيسبوك: أصبحت هذه المفردة متداوَلة إلى حدّ كبير لدى الجمهور العربي، فأضفتُ لها (ال) التعريف معتبراً إيّاها مفردة معرّبة. (المترجم).

اعتقدتُ ذلك، لأنه كان يحدث بشكل منتظم عندما يتوقّف الفيسبوك عن العمل بضع ساعات، فلا تعرف ما العمل.

لكنْ، عندما استطعتُ الوصول إلى بريدي الإلكتروني كان غير مستقرّ، وتلقّيتُ إخطاراتٍ بأنماط تسجيل دخول غير عادية، وكان عليّ الإجابة على عدّة أسئلة أمن. عندما حاولتُ أن أجدَ ما يمكن أن يكون المشكلة، راجعتُ نشاط بريدي الجيميل، وتبيّن أن هناك تسجيل دخول عدّة مرّات من قطاع غزّة، يوم أرسلتُ رسالة إلكترونية إلى mr.leon(السيد ليون)، ومن تل أبيب بعد إرسالي الإيميل بأربعة أيام.

هل كان فريق هاكر غزّة؟ ليس لديّ فكرة، رغم أنني أفهم أنهم ربّما أرادوا التحقّق ممّا إذا كنتُ في الواقع طالب ماجستير، كما قدّمتُ نفسي لهم. هل كان الإسرائيليون مَن اخترق حسابي؟ على الأرجح، ولكنْ، لا بد أنهم بارعون في أمور التكنولوجيا بما يكفي، كي لا يظهر في إيميلي نمط تسجيل الدخول، ثمّ بالتأكيد لن يقوموا بذلك من تل أبيب من بين جميع الأماكن. بعد أن تمعّنتُ في الأمر، سألتُ mr.leon(السيد ليون) إن كان هو مَن اخترق حساب بريدي الإلكتروني، فأجاب: "نحن لا نفعل هذا النوع من الأشياء". ربّما لم تكن إجابتُه مقنعةً، باعتباره شخصاً من فريق، يضع كلمة "هاكر" في اسمه.

التشكيل والانتماء

في ٢٣ أكتوبر ٢٠١٢، وجدت الشرطة الإسرائيلية أن جميع حواسيبها تعرّضت للاختراق. الأسوأ من ذلك كلّه، أنهم استغرقوا أسبوعاً لاكتشاف

الأمر، وانتشرت البرمجية الخبيثة في الدوائر الحكومية الإسرائيلية الأخرى. والنتيجة هي توقّف خوادم الشرطة الإسرائيلية، وقطع الوصول إلى الإنترنت، وحظر استخدام وحدات التخزين لأسبوع إضافي[١].

بعد ذلك بعامين في فبراير ٢٠١٤، حدث الأمر ذاته مرّة أخرى، عندما اخترق قراصنةُ الإدارة المَدَنية في يهودا والسامرة، وهي الوكالة حكومية التي تتعامل مع كافة الأمور الإدارية في المنطقة (أ)(*) بالضّفّة الغربية[٢]. فيما بعد، حدّدت شركة فاير آي لأمن الشبكات أن الهجمات مرتبطة بفريق هاكر غزّة[٣].

لم يُكتَب كثير عن هذا الفريق الغريب، والمستمرّ منذ نحو عقد من الزمان. أُنشئ الفريق عام ٢٠٠٧[٤] على حدّ قولهم، ولكنْ، من الصعب أن تجد هجمات تلك السنة، ويبدو أن وتيرة وقوّة الهجمات كانت منخفضة نوعاً ما في السنوات القليلة الأولى. كانت إحدى أولى هجماتهم الناجحة على حزب كاديما الإسرائيلي - كان بقيادة رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود أولمرت حينها - في ١٣ فبراير ٢٠٠٨. مع ذلك بحلول عام ٢٠١٢ وصل فريق هاكر غزّة إلى عناوين الصحف في إسرائيل، وبقية العالم مع اختراقه آلاف المواقع. خلال المقابلات مع فريق هاكر غزّة، أوضح mr.leon (السيد ليون) تكوين وتنظيم الجماعة، التي يمكن وصفها كما يلي مع تسلسل هرمي من أعلى إلى أسفل:

١. القيادة: تتألّف من ثلاثة أشخاص: mr.leon (السيد ليون)،

---

*) المنطقة آ (A): أنشأ اتّفاق أوسلو الثاني ثلاثة أقسام إدارية في الضّفّة الغربية، آ وب وج. المنطقة آ خاضعة لسيطرة مَدَنية وأمنية كاملة من قبل السلطة الفلسطينية، مع عدم وجود مستوطنات إسرائيلية. ويُعدّ الدخول إلى هذه المنطقة محظوراً على جميع المواطنين الإسرائيليين، بموجب القانون الإسرائيلي.

كاسبر (الشبح الودود) وكلو (المخلب). كلّهم فلسطينيون يقيمون في قطاع غزّة.

٢. الفريق: يشكّل كامل فريق هاكر غزّة، تحت مسؤولية القيادة. أعضاء الفريق فلسطينيون، بالإضافة إلى عديد من "الشركاء" من دول عربية أخرى.

٣. المجموعات: مُقسّمة حسب التخصّص. إحدى المجموعات تعمل في الهجوم على الموقع نفسه (مجموعة اختراق المواقع). تعمل مجموعة أخرى في قرصنة الإعدادات ورسائل البريد الإلكتروني (مجموعة اختراق الجهاز والإيميلات). بالتالي جميع الخبرة اللازمة مجتمعة في الفريق.

مع ذلك، أكّد mr.leon (السيد ليون) أنه رغم أنهم كانوا في الفريق نفسه، لكنْ، لا يعرف جميع الأعضاء بعضهم البعض، ويتواصلون مع بعضهم، من خلال استخدام المنتدى وأدوات الاتصال المختلفة على شبكة الإنترنت فقط. يشبه هذا التنظيم للناشطين الإلكترونيين مجموعات وألوية المقاومة الأخرى في خطّها الهيكلي التنظيمي والسّرّيّة، حتّى لا يؤثّر بصورة سلبية على بقية المُنظّمة.

أحد الأمثلة على ذلك هو "الجهاد الإسلامي الفلسطيني"، والتي تعمل مع عدّة خلايا ضمن تسلسل هَرَمي: شخص من خلية (الوسيط) يعرف شخصاً واحداً في خلية آخر، ولكنْ، ليس بقية أعضائها. في تلك الخلية، يوجد وسيط آخر، لديه اتصال مع خلية أخرى، ولكنْ، ليس مع بقية أعضائها. بالتالي، إذا تعرّضت خلية واحدة للخطر، لن يهدّد هذا

هيكل المُنظّمة بأكملها. ينطبق الشيء نفسه نظرياً على فريق هاكر غزّة. مع ذلك، ينبغي التأكيد على أن هذا النوع من الهيكل التنظيمي لا يقتصر على ألوية فلسطينية. كل هذه الميزات (الخلايا المقسّمة، طلب عدم ذِكْر الاسم والاتصالات المحدودة عبر الوحدات التنظيمية أو الأفراد) هي ميزات نموذجية للمُنظّمات السّرّيّة التي في معظم الحالات تستخدمها بدافع الحاجة إلى الأمن. المعضلة هي أن الهياكل التنظيمية الأكثر انفتاحاً تسمح بتحسين تدفّق المعلومات، وزيادة الكفاءة، ولكنْ، في الوقت نفسه، تصبح أكثر عرضة للقمع. كما رأينا، الكفاءة والسلامة هما أولويّتان، ولكنْ، تتعارضان. مع ذلك، ينبغي علينا ألا نأخذ أوجهَ التشابه بشكل مطلق، كما لو أن فريق هاكر غزّة ظهر فجأة كنسخة غريبة على الإنترنت لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين. التشابه موجود، ولكنه في الوقت نفسه سمة من سمات التنظيم بشكل مجهول على شبكة الإنترنت، حيث الطبيعة المجهولة للإنترنت نفسها تجعله ممكناً.

كما هو الحال لدى جماعات الناشطين الإلكترونيين الأخرى مثل فريق KDMS، كي دي إم إس، الذي سأعود إليه في وقت لاحق، وضّح فريق هاكر غزّة تماماً أنه ليس لديه أيّ عضوية أو انتماء للأحزاب السياسية الفلسطينية: "نحن لا ننتمي إلى أيّ حركة ... ونحن شباب من غزّة"[٥]. شمل التوضيح عدم تلقّيهم دعماً من أيّ فصيل أو جماعة أو حركة سياسية، وإنه ليس لديهم أيّ مصلحة في التعاون مع أيّ مجموعات أخرى من فِرَق الناشطين الإلكترونيين من داخل فلسطين وخارجها، بما في ذلك في العالم العربي، وبقية المجتمع العالمي السيبراني.

وصف صديق شخصي وفتحاوي (عضو في حركة فتح) منذ الطفولة

التصريحاتِ بأنها "بارعة من الناحية التكتيكية وذكية جداً": لم يربطْ فريق هاكر نفسَه مع حركة سياسية كيلا ينفّر فلسطينيين بانتماءات سياسية أخرى منه[٦]. عدّ ذلك خطوة لكَسْب الدَّعْم السياسي من المجتمع الفلسطيني بأكمله. مع ذلك، ينبغي الإشارة إلى أنه في نهاية عام ٢٠١٤ / بداية عام ٢٠١٥ أوّل ما تراه على موقع هاكر غزّة[٧] هو جنديان يرتديان عصبات عزّ الدِّين القسّام وكتائب القدس (فصائل مُسلّحة لحماس والجهاد الإسلامي). لكنْ، وكما سأُبيّن في وقت لاحق، هذا لا يعني أن هاكر غزّة لديهم انتماء سرّيّ مع هذَيْن الطرفَيْن. بدلاً من ذلك يمثّلون منهجاً معيناً وانتماء للنضال ضدّ الاحتلال. علاوة على ذلك، تتغيّر ترويسة الموقع باستمرار. مع ذلك، النضال البرمجي الفلسطيني كعامل مستقلّ هو سمة من سمات المقاومة الفلسطينية التي ربّما قد تتجاوز مفهومَ الأحزاب السياسية (بما في ذلك ألويتها المُسلّحة) على أنها الوكيل الرئيس لتحرير الوطن - حيث المقاومة ليست فقط واجباً، ولكنْ، أيضاً إمكانية لكلّ فلسطيني، يرغب في المشاركة. هكذا، فإن القراصنة في فريق هاكر غزّة يُعيدون صياغة وتحويل أنفسهم من شبّان فلسطينيين "عاديين وغير هامّين" على ما يبدو، إلى أفراد مستقلّين في المقاومة، التي تشمل الحقّ العالمي في مقاومة الاحتلال في عدم الاقتصار على و / أو احتكار القرارات التي اتّخذت في الأحزاب السياسية مثل حماس، فتح، الجبهة الشعبية، مُنظّمة التحرير الفلسطينية وغيرها. عندما يفقدُ أحدٌ الاعتقادَ في قدرة الأحزاب السياسية على أن أنها من عوامل المقاومة، عليه خَلْق أرضية خصبة للحركات المستقلّة، العفوية التي لا تكون تحت رحمة المؤسّسة السياسية الفلسطينية. ينبغي التأكيد على أن هذا التطوّر ليس شيئاً جديداً في فلسطين، كما أنه لا يقتصر على الناشطين الإلكترونيين الفلسطينيين.

من الأمثلة على ذلك عام ٢٠١١، برز تيّار شبابيّ جديد ومختلف في غزّة باسم "انتفاضة شباب حراك غزّة". لفت التّيّارُ انتباهَ العالم كله، ورفض أيّ صلات مع المؤسّسة الفلسطينية، وانتقدَها بشدّة. أدانوا في بيانهم الاحتلالَ الإسرائيلي، ولكنْ، أيضاً الفساد وعدم الكفاءة في حركتَي فتح وحماس، قائلين: "اللعنة على إسرائيل. اللعنة على حماس. اللعنة(*) على فتح"(٨).

لا يقتصر الإحباطُ على غزّة بطبيعة الحال، حيث قاد انعدام الثقة في السلطة الفلسطينية والقيادة كثيرين إلى توقّع اندلاع انتفاضة ثالثة، لن تكون مُوجَّهة نحو الاحتلال الإسرائيلي وحده، ولكنْ، أوّلاً و قبل كلّ شيء ضدّ القيادة الفلسطينية المُباعة. عبّر عن ذلك كثير من سائقي سيّارات الأجرة على الطريق بين رام الله والقدس: "أوّلاً علينا إنهاء السلطة (السلطة الفلسطينية)، ومن ثمّ الاحتلال"(٩). قد يبدو هذا نقطة تحوُّل في نظام الإيمان لدى الفلسطينيين، لكننا نميل إلى نسيان تجارب الماضي، وتحديداً الانتفاضة الأولى، التي عملت أيضاً على "تنظيف المنزل" مع مقاومة الفلسطينيين للاحتلال. أوّلاً وقبل كلّ شيء، كان "تنظيف المنزل" هو إزالة المتعاونين الفلسطينيين مع الإدارة المَدَنية الإسرائيلية، وتطبيق ضغط قوي عليهم. كان عديد من القادة الفلسطينيين في فلسطين في ذلك الوقت يَدينون بالولاء للملك حسين الأردني بدلاً من القضية الفلسطينية. كتب نورمان فنكلستين عن لقائه عام ١٩٨٨ مع رئيس بلدية الخليل/حبرون، مشيراً إلى أن رئيس البلدية قال إن "٩٨ في المئة من الفلسطينيين" يريدون الملكَ حسين قائداً لهم(١٠).

---

*) العبارة المُستخدَمَة في الأصل الإنكليزي هي: "Fuck Israel. Fuck Hamas. Fuck Fatah".

ينبغي التأكيد على أن افتقار الشباب الفلسطيني للإيمان التقليدي السياسي بالأحزاب في فلسطين، وطريقتهم في التنظيم هو نتيجة تطوّرات منذ فترة طويلة في المشهد السياسي الفلسطيني - الذي يمكن أن يُفسِّر جزئياً رَفْضَ الناشطين الإلكترونيين الفلسطينيين لمصلحة الانتماء إليها. كما أنه من المحتمل جداً أن القراصنة من الشباب، لأنهم يشيرون إلى أنفسهم على أنهم شباب، يجب النَّظَر إلى هذا العامل في سياق متوسّط سنّ الشباب لدى السكّان الفلسطينيين. كان متوسّط العمر في الأراضي الفلسطينية ٢٠,٧[١١] عام ٢٠١٤، بينما كان متوسّط سنّ القيادة السياسية الفلسطينية مرتفعاً بشكل غير متناسب. أفضل مثال على ذلك، هو عُمر الرئيس الفلسطيني، محمود عبّاس، الذي يزيد بـ ٥٩ عاماً عن المتوسّط. نفّر هذا الأمرُ، إلى حدّ كبير، الشبابَ الفلسطيني، كما أن الجيل القادم الذي يُرجّح أن يتولّى القيادة يقرب عمره من الستينيات (أحد المرشّحين المقترحين لخلافة عبّاس، ولكنه غير مرجّح، هو سلام فيّاض الذي يبلغ من العمر ٦٢ عاماً).

إضافة إلى المحسوبية والفساد المستمرّ في المجال السياسي الفلسطيني، حيث أنشأت كل من فتح وحماس أنظمةً استبداديةً في الضّفّة الغربية وقطاع غزّة. كان هذا ما تسبّب في نفور الشباب الفلسطيني، وليس الانقسام بين الأحزاب نفسها. في حين كان الفلسطينيون خلال الانتفاضة الأولى معرّضين لتهديد خارجي واحد، يواجهون الآن ثلاثة: الاحتلال وحركة حماس وحركة فتح، ولا يقبلُ الأخيران أيّ تحدّيات لحُكمهم وتعامُلهم مع إسرائيل[١٢].

يُبرّر الغضب والإحباط، وأحيانا اللامبالاة تجاه الحكم الاستبدادي

لحماس وفتح، غالباً بضرورة "الحكم المسؤول" والتعاون الأمني بين السلطة الفلسطينية وإسرائيل لمَنْع انتفاضة ثالثة على طريق التحرير، بقيادة السلطة الفلسطينية، يمثّل هذا قصيدة مكتوبة في وقت مختلف، لبرتولت بريشت "التحقيق مع الخير":

تقدَّمْ: نسمعُ أنكَ رجلٌ طيّب
لا يُمكنُ شراؤُه، ولكنّ البرقَ
الذي يضربُ المنزلَ، لا يُمكنُ شراؤه أيضاً
تحفظ وعودَكَ، ولكنْ، ماذا وعدتَ؟
أنت صادقٌ، تُعبّر عن رأيِكَ، ولكنْ، أيّ رأي؟
أنتَ شجاعٌ، ضدّ مَنْ؟
أنتَ حكيمٌ، لمَنْ؟
لا تكترثْ بمصالحِكَ الشخصية
إذنْ، بمصالحِ مَنْ تكترثُ؟
أنتَ صديقٌ جيّدٌ
هل أنت أيضاً صديقٌ جيّدٌ لأهل الخير؟
اسمعْنا إذاً: نحن نعرفُ
أنت عدوُّنا، لذلك علينا الآن وضعكَ أمامَ جدار
وبالنَّظَر إلى مزاياكَ وصفاتِكَ الجيّدة
علينا وضعكَ أمامَ جدار جيّد
وإطلاق رصاصة جيّدة عليكَ
من بندقيةٍ جيّدة
ودفنكَ بمجرفةٍ جيّدة، في أرضٍ جيّدة[١٢]

ربمّا هذه ليست مجرّد إحدى سمات الشباب الفلسطيني المغيَّب الذي يُعدّ فريق هاكر غزّة جزءاً منهم، ولكنها أيضاً طبيعة قِيَم الناشطين الإلكترونيين الحالية. فِرَق الناشطين الإلكترونيين المختلفة في العالم، وأستثني هنا التي ترعاها الدولة، ليست مشهورة بالتواصل وتنظيم لقاءات مع النخبة السياسية، من أجل الاتفاق على التنسيق والتوافق، وما يمكن أن نسمّيه تكتيكاتٍ "مسؤولةً" وقنواتٍ سياسيةً. لا يزال النضال البرمجي، رغم كل شيء جامحاً جداً، ويبدو أنه من السخف الاعتقاد بأن مجموعة قراصنة مثل أنونيموس(*)، كان لديها قيادة أُنشِئَتْ رسمياً، قد تبدأ التعاونُ مع سياسي أميركي مثل بيرني ساندرز.

لتوضيح عدم وجود إرادة للتعاون، عندما قابلتُ الجيشَ السوريَّ الإلكترونيَّ – فريق قراصنة ترعاه الدولة السورية وموالٍ لنظام بشار الأسد، ذكروا أن فلسطين هي "قلب الأمة العربية"، وبالتالي فإنه كان إلزامياً الدفاع عنها ضدّ المحتلّين الإسرائيليين. رغم ذلك، لم يكن لديهم أي خطط للتعاون مع فِرَق فلسطينية عندما هاجموا البنية التحتية السيبرانية الإسرائيلية[١٤].

أهداف فريق هاكر غزّة وتسرّب نووي محتمَل في ديمونا

يُذكِّر الهيكلُ التنظيمي السّرّيّ لفريق هاكر غزّة بهياكل الجماعات المُسلّحة الأخرى مع التسلسل الهَرَمي في الخلية ومحدودية الاتصال المفتوح فيما بينها. ومع ذلك، ما قد يكون أكثر إثارة للاهتمام هو كيف يرى

---

*) شبكة دولية لامركزية من نشطاء وكيانات مرتبطة بشكل غير وثيق على الإنترنت، تعمل في مجال النشاط الإلكتروني عبر الاختراق البرمجي. نشأت عام ٢٠٠٣.

أعضاء فريق هاكر غزّة أنفسهم: بشكل رئيس كجزء من الصراع الفلسطيني المُسلّح[١٥]. يفسّر هذا الأمرُ الطريقةَ التي يظهرون بها للعالم الخارجي مع صور رجال مُسلّحين وملثّمين على موقعهم على الإنترنت، بدلاً من سوء فَهْم تعبيرهم الثقافي على أنه أحد أشكال الانتماء السياسي. من الأمثلة على ذلك (آفاتار)(*) الصور التعريفية التي يستخدمها عديد من المشاركين في المنتدى، حيث اثنان من القادة الثلاثة هما mr.leon [١٦] (السيد ليون) وكاسبر[١٧] (الشبح الودود) كانا يستخدمان عام ٢٠١٤، صوراً لجنود، يحملون بنادق، وبالتالي إعادة تشكيل وترويج لأنفسهم كجنود في النضال ضدّ الاحتلال.

المكان الأكثر إثارة للاهتمام للعثور على بعض المعلومات الأساسية عن فريق هاكر غزّة هو برنامج مبادئها. فهو يقدّم معلومات عن التصوّر الذاتي للفريق، وأهدافه وأيديولوجيته:

مقدّمة الوثيقة، التي تُعرّف الحرب الحديثة الإلكترونية وضرورة مشاركة المسلمين فيها، تنصّ على أهمّيّة الإنترنت والأضرار المحتمَلَة الناجمة عن تعطيل استخدامه[١٨]. علاوة على ذلك، الفصل ١ ("تعريف فريق هاكر غزّة") ينصّ صراحة على أن الهدف من قرصنة مواقع العدوّ هو إلحاق الضرر الاقتصادي: "فقدان ملايين الدولارات سنوياً نتيجة عمليات اختراق المواقع، وتدميرها"[١٩].

حجّة فريق هاكر غزّة هي أن مُستضيفي المواقع أو أصحاب الخوادم سيُضطرّون إلى توظيف مبرمجين لتأمين المواقع وإزالة الثغرات المحتمَلَة،

---

*) Avatar: صورة أو رسم يمثّل المستخدَم في المجتمعات الرّقْمية كالمنتديات الإلكترونية. (المترجم).

ما يزيد من نفقاتها. أكّد فريق هاكر غزّة غاية الأضرار اقتصادياً بالأهداف خلال المقابلات، كما ذكرت القيادة أن هذا كان واحداً من عدّة أهداف للحرب السيبرانية[٢٠].

يمكن إلحاقُ أضرار اقتصادية عن طريق عرقلة الحياة اليومية، والتسبّب بمشاكل لمستضيفي المواقع، بسبب عدم التيقّن من إمكانية وصول المستخدمين. بالتالي، ليس من الضروري لفريق هاكر غزّة إلحاق الضرر الاقتصادي المباشر على المواقع نفسها، ولكنْ. بخَلْق مثل هذه الشكوك بين مستخدمي موقع معيّن، يمكنه التّسبّب في التوتّر، وانعدام الكفاءة.

تحدّث آش باتل من شركة ستون سوفت الفنلندية لأمن الشبكات[*] عن أشدّ أنواع الضرر الذي يمكن للنضال البرمجي والحرب الإلكترونية إلحاقَهُ، استحوذت في عام ٢٠١٣ من قبل شركة مكافحة الفيروسات ماكافي - عندما وصف هجمات الحرمان من الخدمة ضدّ مواقع في المملكة المتحدة[٢١]:

"يمكن لهجمات الحرمان من الخدمة الإضرار بسمعة شركة الخدمات الإلكترونية في المملكة المتحدة، التي تُروّج حالياً نفسها على أنها مكانٌ للقيام بالأعمال التجارية عبر الإنترنت. يجب على الحكومة أن تظهر أن المملكة المتحدة مكان، يمكن الاعتماد عليه لعمل الشركات. ولكن هجمات من هذا النوع قد تُصوّر المملكة المتحدة سلباً، ويمكن أن تؤثّر على عمل كثير من الشركات التجارية في ومع المملكة المتحدة".

---

*) Stonesoft: ستون سوفت، استحوذت عليها شركة مضاد الفيروسات مكافي عام ٢٠١٣.

بالتالي إن كان الناشطون الإلكترونيون الفلسطينيون - مع أو بدون دعم من الخارج - قادرين على الحفاظ على معدّل مُستقرّ، ومرتفع للهجمات ضدّ المواقع الإسرائيلية لفترة من الوقت، قد يؤثّر هذا على سمعة الخوادم والمجالات الإلكترونية الإسرائيلية إلى درجة انخفاض الاستثمارات، وبالتالي تؤثّر على الاقتصاد الإسرائيلي ككُلّ. من الواضح، أنه من الصعب وَضْع أرقام لمدى تأثير الهجمات الإلكترونية على الاقتصاد في إسرائيل. ليس هناك هجمات عامة، قامت بها إسرائيل لم تؤدّ إلى خسائر في الأرواح، ولكنّ هناك أمثلة على مدى تكلفة ذلك عليها. في فبراير ٢٠١٢، تمكّنت مجموعة مجهولة من القراصنة من إغلاق نَفَق في حيفا مترين خلال يومين، بعد اختراق كاميراته الأمنية[٢٢]. لم يدم الهجوم الأوّل أكثر من عشرين دقيقة، بينما استغرق الثاني ثماني ساعات كاملة. بلغت التكاليف التقديرية للهجوم مئات آلاف الدولارات، وهو مبلغٌ كبيرٌ جداً بالنسبة لهجوم استمرّ ليوم عمل واحد. يمكن الحصول على رَقْم تقريبي لكلفة الهجمات، بإضافة تكاليف الهجمات في سنة.

من ناحية أخرى، صرّح فريق هاكر غزّة أنه من الهامّ نقل رسالة خلال المناسبات الخاصة التي يمكن أن تُسلّط الضوء على ما كان يحدث[٢٣]. أحد جوانب حرب المعلومات يتعلّق بالحياة اليومية للإسرائيليين، وتوقّف الحياة الطبيعية، من خلال مواجهتهم لصور وغيرها من الوثائق من غزّة، والتي تُبيّن ما يحدث في الواقع، كصُور النساء والأطفال القتلى التي ظهرت بدلاً من الحساب المصرفي عبر الإنترنت الذي كانوا يتوقّعون رؤيته. باستخدام كلمات فريق هاكر غزّة الخاصة حول الحرب النفسية التي يُشكّله الجهاد الإلكتروني: "تقتل الروح المعنوية للعدوّ، وتؤذي عقله، وتُروِّع شعبه وجنوده"[٢٤].

يمكن بعبارة أخرى تلخيص الأهداف بفرض الضرر الاقتصادي (المباشر وغير المباشر)، وتعطيل الحياة اليومية الإسرائيلية بإغلاق الوصول إلى المواقع الضرورية مثل الحسابات المصرفية والمعلومات، وحرب المعلومات من خلال نشر الوعي بالأحداث الحالية كالتصعيد في غزّة.

إذا قارنّا تصوُّر فريق هاكر غزّة لنفسه، باعتباره استمراراً للمقاومة الفلسطينية المُسلّحة في الفضاء الإلكتروني، وأهداف عملها، فمن المثير للاهتمام أن نلاحظ أهداف المقاومة المُسلّحة التقليدية. على سبيل المثال، خلال مقابلة مع ناشط في كتائب شهداء الأقصى "الجناح العسكري لحركة فتح"، لم يذكر عواقب محدّدة، ولكنه اختار أن يُلخّص العملياتِ المُسلّحة في تكتيكات تخويفٍ، وبشكل رئيس، لدفع الاحتلال للعودة إلى طاولة المفاوضات: "أهدافنا، في كتائب الأقصى، كانت أهداف التخويف كأهداف أيّ شعب أرضه محتلّة في العالم، والحمد لله، نحن آخر شعب مُحتَلّ في العالم. نُصوِّر ونصف أنفسنا كمقاتلين من أجل السلام"[٢٥].

بالتالي رغم اختلاف وسائل كتائب الأقصى عن فريق هاكر غزّة، إلا أن آثارهما تشترك في سمات الحرب النفسية، رغم تطبيقها من خلال مجالات مختلفة نوعياً للنضال على أرض الواقع، وفي العالم الافتراضي. مع ذلك، وحتّى الآن، لا يجب التّسرّع في تعريف فريق هاكر غزّة كاستمرار للألوية المُسلّحة. ليس الأمر بهذه البساطة، سنرى ذلك.

كان لحركة الجهاد الإسلامي، من ناحية أخرى، وجهةُ نظر مختلفة. نعم، اختلفت الأدوات، ولكن مفهوم "الحرب الإلكترونية" ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالصراع الفعلي على أرض الواقع.

أحد الأمثلة كان مساعدة قراصنة حركة الجهاد الإسلامي في العمل على تتبّع ومراقبة الجنود الإسرائيليين، وآخر كان أعمال التخريب المباشر من خلال التشويش على خطوط الهاتف على سبيل المثال، لتعقيد عمل الاحتلال[٢٦].

مع ذلك، لا يزال الأمر معقّداً: موضوع القرصنة كحرب نفسية. هل تعرّض حسابكَ على الفيسبوك للاختراق؟ إنه أمر مُحزن. إلى حدّ ما. مع ذلك، فإن مصطلح "حرب نفسية" يتضمّن للأسف نوعاً من الارتباط بالإرهاب، باعتبار الهدف الرئيس للإرهاب هو غرس الخوف لدى السكّان أو الحكومة لإجبارهم على تقديم مطالب للجاني. علينا التركيز على محاكاة العنف التي يمكن أن يُدرَج في مجال الإرهاب، ويمكن استبعاده.

ومن الأمثلة على ذلك، هجمات حرمان الخدمة على خطوط العال الجوية الإسرائيلية وتل أبيب للأوراق المالية. لم ينفّذها هذه المرّة القراصنة الفلسطينيون، ولكنْ، أوكس عمر من السعودية الذي ذكرتُهُ في المقدّمة. يبدو أن الهجمات أثّرت على صورة إسرائيل كقوّة تكنولوجية عظمى، وأكبر منتج لتكنولوجيا جدران الحماية ومكافحة الفيروسات. صرّح وزير تحسين الخدمات الحكومية الإسرائيلي ميخائيل إيتان أن الهجوم لم يكن سبباً للقلق، رغم المقال المثير للاهتمام الذي نشرتْه صحيفة يديعوت أحرونوت تحت عنوان: "الأمن السيبراني"[٢٧]. قال مارك غولدبرغ المدوّن في صحيفة جيروزاليم بوست الإسرائيلية إن الهجمات: "أظهرت لنا مدى تعرّضنا لأفراد، يعملون على بُعْد آلاف الأميال"[٢٨]. أخيراً وليس آخراً، قال المدوِّن الإسرائيلي "كارل في القدس"، في مدوّنة إسرائيل ماتزاف: "أليس من المفترَض أن يكون لدينا أفضل أمن إنترنت في العالم؟"[٢٩]

يمكن لهذا أن يكون مثالاً واضحاً عن كيفية عمل محاكاة العنف: هذا لا يعني بالضرورة أن الإسرائيليين يجلسون في غرفة المعيشة الخاصة بهم خائفين على حياتهم، إلا أن طبيعة الحياة اليومية الإسرائيلية توقّفت، لأنها أدركت فجأة أن هناك شيئاً ما يحدث خلالها، لا يستطيعون حماية أنفسهم منه، بشكل كامل. بالتالي، لا يمكن تعريف هجمات بمجرّد الضرر الاقتصادي على العدوّ الإسرائيلي، ولكنْ، أيضاً من خلال عدم اليقين وعدم القدرة على التنبّؤ بهجمات، يُشكّل القراصنة جوهرها. لا يمكن للمرء ببساطة أن يعرف متى سيُهاجَم جزءٌ حيوي من البنية التحتية الإسرائيلية السيبرانية.

عدم القدرة على التنبّؤ بالهجمات إلكترونية وعدم اليقين، ليس إلا جانباً واحداً منه. إن فبركة معلومات كاذبة للتشويش، وحتّى خَلْق حالة من الذعر استُخدم كوسيلة أيضاً. خلال التصعيد الأخير في غزّة صيف ٢٠١٤ مع عملية الجرف الصامد، نشر حساب تويتر لقوات الدفاع الإسرائيلي رسالة باللغة الإنكليزية، وصلت إلى العالم كله: تحذير هناك تسرُّب نووي مُحتمَل في المنطقة بعد أن ضرب صاروخان منشأة ديمونا النووية"[٢٠].

بعد بضع ساعات، نشر الحساب نفسُه اعتذاراً. تمّ اختراقه، واستعاد الجيش الإسرائيلي السيطرة على الحساب. بالإضافة إلى ذلك، يتسمّر جيش الدفاع الإسرائيلي بمواصلة مكافحة الإرهاب على جميع الجبهات: "بما فيها المجال السيبراني"[٢١].

مع ذلك، تجدر الإشارة إلى أن الاختراق، الذكي جداً والغريب، لم ينفّذه فريق هاكر غزّة، بل الجيش السوري الإلكتروني المذكور سابقاً.

فيما يتعلّق بمسألة النضال البرمجي كاستمرار للصراع المُسلّح، فالنضال البرمجي الفلسطيني تم تأكيده، من خلال الطريقة التي استجابت بها الحكومة الإسرائيلية وقوات الدفاع الإسرائيلية للتهديد السيبراني الذي يُشكّله القراصنة الفلسطينيون وغيرهم. ما يعني أن هجمات النضال البرمجي أصبح قضية للجيش الإسرائيلي. من الأمثلة التي تُثبت أن الحرب الإلكترونية مجالٌ حربيٌّ خامسٌ، إلى جانب البحر والجوّ والأرض والفضاء، هو تأسيس القوات السيبرانية الخاصة لمواجهة الهجمات[٢٢]، حيث قال مكتب رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو في سبتمبر ٢٠١٤:

> *"قرّرت الأسبوع الماضي تطوير سلطة وطنية حول قضية الإنترنت، لترتيب رؤية للدفاع عن دولة إسرائيل كلّها في الإنترنت، أيْ ليس الدفاع فقط عن المرافق الهامّة والأجهزة الأمنية، ولكنْ، أيضاً عن المواطنين الإسرائيليين ضدّ هذه الهجمات. هو في الواقع إنشاء قوّة جوّيّة ضدّ التهديدات الجديدة، وعدم الاعتماد على هذه التي تقوم بها الوكالات القائمة. نحن في عالم جديد. نحن نستعدّ بقوات جديدة."*[٢٢]

خلاصة القول، يمكن وَصْفُ أهداف فريق هاكر غزّة في إلحاق الضرر الاقتصادي المباشر وغير المباشر على المواقع الإسرائيلية، ونشر المعلومات حول الأحداث الجارية في الأراضي الفلسطينية، وتطبيق محاكاة العنف لاختراق شعور الإسرائيليين بالحياة الطبيعية في حياتهم اليومية. أصبحت حملات النشاط الإلكتروني تُنفَّذ من قبل فريق هاكر غزّة والدولة الإسرائيلية كحروب عسكرية.

تجاوز القبّة الحديدية: أطفال السكريبت والمواد الإباحية

اخترق فريق هاكر غزّة الشرطة الإسرائيلية عام ٢٠١٢، والإدارة المَدَنية في يهودا والسامرة بعد ذلك بعامين في ٢٠١٤، فكيف فعلوا ذلك؟

من السهل الاعتقاد أنه إذا تم تأمين جميع الثغرات وتثبيت تكنولوجيا مكافحة الفيروسات الجديدة، سيكون المرء في مأمن من كل التهديدات الخارجية. لكنْ، وكما نعلم، كل شيء وأيّ شيء يمكن اختراقه حتّى في أكثر الأماكن خصوصية: المراحيض(٢٤). السؤال ليس ما إذا كان سيحصل اختراق، ولكنْ، كيف؟ ومتى؟.

لا ينحصر الأمن السيبراني بالتكنولوجيا. يمكن أن يتعرّض كل شيء للخطر من خلال التفاعل البشري. على سبيل المثال، ما يجمع عمليات اختراق الشرطة الإسرائيلية والإدارات المَدَنية هو حقيقة أن البرمجيات الخبيثة تمّ تمكينها من قبل موظّف فتح مستنداً خبيثاً، أُرسِل - في معظم الحالات - عن طريق البريد الإلكتروني. ما يحدث هو أنه عن فتح الوثيقة المرفقة بالبريد الإلكتروني، يتمّ تثبيت البرمجيات الخبيثة تلقائياً، وعن بُعد، ثمّ يُستخدَم بعدها لسرقة البيانات، وهو ما يُعرَف باسم "التّصيّد الإلكتروني المخصّص".

ليس الأمر بهذه البساطة بإرسال بريد إلكتروني وانتظار شخص ما لفتحه، فهناك عديد من الأمثلة عن قيام القراصنة الفلسطينيين باستخدام الهندسة الاجتماعية، حيث وضعوا محتوى وصورة في البريد الإلكتروني لجَذْب القارئ، كي يفتَحَهُ. بالإضافة إلى ذلك، عندما يتم فَتْح البريد الإلكتروني لأوّل مرّة، يجب عدم اكتشاف أمره، من أجل انتزاع معلومات لفترة أطول.

أفضل مثال على ذلك هو اختراق عديد من المواقع الحكومية الإسرائيلية، عندما تلقّى عدد من الموظّفين بريداً إلكترونياً من مُرسِلٍ مجهولٍ مع مرفقٍ. عندما فتحوا البريد الإلكتروني ظهر شريط فيديو إباحيّ على الشاشة، في الوقت نفسه، كان يتمّ تثبيت برامج ضارّة على نظام الكمبيوتر، والسماح للمُرسِل باستخراج المعلومات من الضحية. وضَّح تريند مايكرو الذي يعمل في تكنولوجيا أمن المعلومات ببساطة أن استخدام المواد الإباحية كان "لمسة من العبقرية". مع محتوى غير لائق مطلقاً يتردّد الموظّفون بالإبلاغ عن الواقعة، لأنهم لا يريدون الاعتراف بفتح مواد إباحية على جهاز كمبيوتر عملهم. بالإضافة إلى ذلك، يُصرَف نَظَر متلقّ البريد الإلكتروني عن الإصابة الفعلية بالبرمجية الخبيثة مع تشغيل المحتوى الإباحي على الشاشة. هكذا، يمكن تجاهل البرمجيات الخبيثة بهدوء، وتشغيلها لفترة أطول من المعتاد دون أن تتمّ إزالتها. بعبارة أخرى، يمكن للقراصنة والناشطين الإلكترونيين أن يكونوا "دهاة"[٢٥] تكنولوجياً، ولكنْ، دون جرعة ذكاء، لكسب ثقة الضحية، لن يكون للتدخّل معنى في معظم الحالات.

لذا فإن السؤال الهامّ هو: ما هو مستوى تطوّر فريق هاكر غزّة وبقية القراصنة الفلسطينيين من حيث المعرفة وتطوير أدوات القراصنة؟ يبدو أن الإجابة، مع المعلومات التي لدينا في متناول اليد: ليس كبيراً جداً. عند تحليل الأدوات المستخدَمَة من قبل غالبية القراصنة الفلسطينيين من غزّة، نرى أن نمطاً واحداً على وجه الخصوص يتكرّر: أحصنة طروادة[*] يُتحكّم بها عن بُعد.

---

*) تروجان هورس أو حصان طروادة: شيفرة صغيرة تُحمّل مع برنامج ذي شعبية، تقوم ببعض المهام الخفية، غالباً ما تتركّز على إضعاف الحماية لدى الضحية، أو اختراق جهازه وسرقة بياناته. (المترجم).

يُستخدَم حصان طروادة في الأساس للتجسّس، وسهولة استخدامه تكمن في حقيقة أنه يتمّ السيطرة عليه مباشرة من قبل القراصنة، ويمكن تكييفه وفقاً لمختلف الدفاعات الذي يريدون اختراقها. كما كان الحال مع "إكستريم رات" الذي استُخدم ضدّ الشرطة الإسرائيلية. كانت هذه البرمجية شعبية جداً لدى القراصنة الصينيين، بحيث أصبحت مرادفاً للاختراقات من الصين.

لن أخوض في تفاصيل استخدام هذه البرمجيات. بدلاً من ذلك أريد أن أشير إلى أن استخدام هذا النوع من البرمجيات الخبيثة يبدو أنه أصبح الأداة المفضّلة لعديد من القراصنة العرب عموماً والفلسطينيين خصوصاً. الفائدة الواضحة لاستخدام القراصنة العربية والفلسطينيين هذا النوع يكمن في عمله أيضاً، بمثابة شرك، يسترعي الانتباه إلى جزء مختلف تماماً من العالم. كما حذّرت فايرآي: " لا ينبغي الربط تلقائياً لاستخدام هذه البرمجية مع جهات صينية"[٢٦].

من الهامّ أن نلاحظ هنا أن هذه البرمجيات متاحة لمَنْ يراها مفيدة. وعلاوة على ذلك، فهي سهلةُ الاستخدام[٢٧]، لذلك يجب اعتبار فريق هاكر غزّة وعدد من القراصنة الفلسطينيين "أطفال سكريبت"، أي أنهم أشخاص غير خبراء في القرصنة، ويعتمدون على الأدوات التي تمّ تطويرها من قبل الآخرين. بعكس إحدى فِرَق القرصنة العربية التي تُعدّ من بين الأكثر تقدّماً وخطورة: "صقور الصحراء"، التي يُعتقَدُ أنها كانت المجموعة العربية الأولى التي طوّرت وأطلقت عمليات التجسّس السيبرانية من الصفر[٢٨]. مع ذلك، رغم أن فريق هاكر غزّة والقراصنة الفلسطينيين الآخرين استخدموا أدوات مطوّرة مسبقاً، إلا أن هذا لا يعني أنها لا تُشكِّل خطراً على البنية السيبرانية التحتية الإسرائيلية.

لا يحدّ خطر هذه البرمجيات - سواء مجاناً أو للشراء، كونها مُطوَّرة مسبقاً، أضرارها المحتملة. جاء في تقرير "هندسة متطلّبات جودة الأمن"، الذي أُعِدّ لوزارة الدفاع الأمريكية، أن طفل السكريبت: "أقلّ نضوجاً، ولكنْ، في كثير من الأحيان، للأسف، لا يقلّ خطورة على الثغرات الأمنية على شبكة الإنترنت"[٣٩]. كتب تريند مايكرو عن الهجمات الإلكترونية على إسرائيل وبما يتعلّق بأمن إسرائيل:

> *"إسرائيل هي واحدة من البلدان الأكثر البلدان المَحميّة في العالم، خلف "القبّة الحديدية" الأسطورية. لكن ذلك كله لا يجدي نفعاً عندما يسعى مهاجم للانتقام من الغارات الجوية الإسرائيلية على قطاع غزّة العام الماضي مثلاً، حيث يتجاوز القبّة الحديدية، ويضرب في قلب الإدارة الإسرائيلية. ... في الواقع، لكل ستكسنت، هناك مئات من حملات التّصيّد المباشر"*[٤٠].

لذلك فتعبير "أطفال السكريبت" الذي يستخفّ بالأمر، يمكن أن يكون صحيحاً بما يتعلّق بقِيَم القراصنة، وليس بالنتائج والإنجازات الفعلية لهم. يمكن مقارنته باستخدام بندقية: البندقية لا تُلحق ضرراً أقلّ، ببساطة، لأن مُطلقَ النار لم يصنعْ هذا السلاح بنفسه.

في المقابل، من وجهة نظر الحركة الناشطة الأوسع، تُشكّل الأدوات التي تمّ تطويرها بالفعل عن القرصنة مصدراً قيّماً، كما أنها تمكّن مجموعة أكبر من الناس من المشاركة في العمليات والحملات. يمكن للمرء أن يقول إن "أطفال السكريبت" هو نقطة البداية الطبيعية في مهنة القراصنة. علاوة

على ذلك، يشجّع عديد من فِرَق النضال البرمجي استخدام الأدوات المطوَّرة مسبقاً، كما فعل "جيش الشرق الأوسط السيبراني" في إسرائيل ٢٠١٥ عندما شاركوا روابط لأدوات القرصنة، من أجل إجراء هجمات الحرمان من الخدمة[٤١].

فعل فريق هاكر غزّة الشيء ذاته حين وزّعوا عمل عضو مصريّ في المجموعة، اسمه الوردة السوداء BlackRose، الذي كتب عن كيفية استخدام [لغة الاستعلامات البنيوية][٤٢] لتجاوز عملية التّحقّق من هوية المستخدم على شبكة الإنترنت. يمكن أن تكون المعلومات في قاعدة بيانات ما في يد شخص، لا ينبغي أن يحصل عليها في المقام الأوّل. جاء في مقدمة كتاب الوردة السوداء BlackRose : "اقرأ هذا الكتاب، وسوف تتنقل مباشرة إلى المستوى الاحترافي"[٤٣].

إنه نسخة مُطوَّرة "مفتوحة المصدر" للجهاد والمقاومة.

٦
من القوم إلى الأمة



"هل يمكنني طرح سؤال؟"

اعتقدتُ أني أصبحتُ على علم بأيديولوجيّة فريق هاكر غزّة، يجب أن أعترف أنه كان من الساذج أن أعتقدَ ذلك، تطلّب الأمر جملة واحدة، ليُكشَفَ الستار عن كل شيء، وبدا لي أني عدتُ مرّة أخرى إلى نقطة البداية.

في هذا الوقت، كان قد مضى على بداية حديثي مع السيد ليون حوالي ستة أشهر، وحتّى الآن، في كل مرّة كنتُ أتقدّم بالتواصل معه خطوة إلى الأمام، كان يتملّكني ذلك الشعور بأن خطوة واحدة باتّجاه خاطئ يمكن أن تُنهي هذا التواصل بشكل كامل. بالطبع، لم يقل السيد ليون أيّ شيء فظّ، أو ما يوحي بأن ذلك سيحدث، لكنْ، مع ذلك، بشكل أو بآخر، كان يعطي إجاباته بشكل مدروس، وكان يبدو حذراً ما.

سألتُ بحذر شديد: "هل هناك أيّ فرق بين اليهود والصهاينة؟" كنتُ أخشى أن لا يتقبّل هكذا سؤال. مضتْ دقيقة، دقيقتان، ثلاث دقائق من الصمت دون أيّ إجابة. ثمّ فجأة، كانت الإجابة:

"بالطبع هناك فرق. اليهودية ديانة سامية، كما أن موسى عليه السلام

هو نبيّنا أيضاً. لكن الصهيونية هي عبارة عن جماعات وحَرَكَات، تعمل من أجل الهجرة إلى فلسطين وقَتْل الفلسطينيين".

كنتُ أكتب بتأنٍّ، فكرتُ ملياً بكل كلمة قبل أن أضغط زر الإرسال: "نعم، يمكنني فَهْم ذلك، ولكنْ ... قرأتُ كتابَكَ، وصدمني أنه متشدّد نوعاً ما ... "

ربّما عليّ أن أبدأ من البداية. يبدو واضحاً أن الهدف الرئيس لفريق هاكر غزّة هو هدف وطني بحت، وهو تحرير فلسطين. مع ذلك ما يظهر من مبادئ برنامجهم المذكور هو شيء يعارض بوضوح فكرة النضال الوطني الفلسطيني. بدلاً من ذلك، ما تبيّن لنا ليس فقط أنه لدى فريق هاكر غزّة أيديولوجيا تتجاوز الوطنية وحسب، ولكنْ، أيضاً، أن هناك ما يتعلق بالحركة الجهادية السلفية التقليدية. هناك ملخّص وفحوى وحيدة لإضفاء الشرعية على نضالهم، وهو الإسلام السياسي.

من الواضح أن هناك فرقاً شاسعاً بين الإسلام السياسي المنتظم والسلفية الجهادية، وحتّى داخل هذَيْن التيارَيْن هناك فروع أصغر، تتفرّع بحدّ ذاتها، وتُشكّل مجموعات خاصة بها من المعتقدات والممارسات والمؤسّسات. بمجرّد النَّظَر إلى الحركات والتقسيمات التقليدية الغامضة لدينا: ضمن حركة اليسار الثوري، هناك الماركسيون والماركسيون-اللينينيون والماويون والتروتسكيون، وما شابه ذلك. في الطرف الآخر، هناك المحافظون والمحافظون الليبراليون والليبراليون المحافظون والليبراليون التقدميون. لذلك حاول تنتبه جيداً، بينما نحاول تحليل هذا العدد الكبير من الأيديولوجيات المتباينة التي يجري التعبير عنها داخل فريق هاكر غزّة الغريب.

"قومية سلفية جهادية"!

رغم أن استخدام الإسلام السياسي والاقتباسات من القرآن واضحة من خلال برنامجهم الكامل المكوّن من ثمانين صفحة من المبادئ، قبل أن نحلّلها، علينا فَهْم أنه شائع في التجمّعات الفلسطينيّة الأخرى القومية بشكل واضح.

إن أفضل مثال معروف ممكن أن يكون حركة حماس، التي ترى، أيضاً، المقاومة ضدّ الاحتلال أحد أشكال الجهاد. الجهاد الإسلامي هو مثال آخر، حيث الأطراف الأخرى الأكثر علمانية في المقاومة الفلسطينية في العديد من الحالات لديها، أيضاً، مراجع دينية في بياناتهم. هكذا، في السياق الفلسطيني، ليس هناك شيء غير عادي، عندما يؤيّد فريق هاكر غزّة استخدام الحرب الإلكترونية (أو بالأحرى الجهاد الإلكتروني) دينياً، من خلال استخدام عدّة آيات من القرآن، أو من خلال أحد الأحاديث (النبوية). على سبيل المثال، واحدة من الآيات الأولى التي استُخدمت هي سورة العنكبوت (٦٩:٢٩): " والذين جاهدوا فينا لنَهْدِيَنّهم سُبُلَنا وإنّ الله لمع المحسنين". (١)

حتّى الآن، لا شيء من شأنه أن يصدمَكَ بشدَّة. هناك عدّة عوامل ومواقف أيديولوجية تُبعد بوضوح ملفّ فريق هاكر غزّة عن حماس الأكثر قومية دينية.

أوّلاً وقبل كل شيء، في فصل عن كيفية أن تكون جهادي إلكتروني، تمّ ذِكْر عدد من الأهداف التي تُلخِّص وتشرح ما هي المواقع المستهدَفَة. من المفاجئ عدم ذِكْر إسرائيل صراحة، بدلاً من ذلك، فإن المواقع اليهودية أو الصهيونية مع مواقع الجماعات الدينية التي "تنحرف" عمّا يُعدّ الإسلام الصحيح هي الأهداف الرئيسة.

بشكل رئيس مواقع الشيعة، الصوفيين، الإباضيين، أتباع الأشعرية، ومواقع (الكُفْر)، والملحدين، و"آخرين"[٢].

علاوة على ذلك، يجدر الذِّكْر أنه يُشارُ إلى الشيعة بالمكذّبين التحقيريين الروافض.

حتّى الآن، فإن الأهداف التي يُدرجها فريق هاكر غزّة دينية على الأغلب. بالإضافة إلى مواقع تحتوي على الغناء، الموسيقى، القمار، السِّحْر، التنجيم، والمواد الإباحية، وذلك على سبيل المثال لا الحصر. بعبارة أخرى، فكرة السلفية للإسلام السّنّيّ المحافظ تبرز بوضوح في النص، مع استخدام الجهاد لنشر "النص الصحيح". كما يوضّح الفريق: "إن الله يأمر أتباعه المُوحِّدين جَمْعَ قواهم وإمكانيّاتهم لإرهاب عدوّ دينه"[٣].

علاوة على ذلك، يُعلن فريق هاكر غزّة صراحةً على أن الهدف من الجّهاد الإلكتروني هو "نشر دين الإسلام، والتبشير (الدعوة) والمساهمة في نشر إصدارات مختلفة من المواقع الجهادية"، و"الدفاع عن النبي محمّد، عليه السلام، وعن شعبه، وكذلك للدفاع عن الإسلام، وفَضْح الصهيونية والخوارج والأعداء المُلحدين"[٤].

ثانياً، هناك فكرة أيديولوجيّة هامة تُبعد فريق هاكر غزّة عن المجموعات السياسية الدينية الأخرى مثل حماس: بينما تستخدم حماس الإسلامَ كمبدأ توجيهي، بما في ذلك طرح قصّة الجّهاد والأمّة، فإنها فقط تقوم بذلك من خلال سرد وطني واضح، وذلك لإضفاء الشرعية على النضال ضدّ الاحتلال، وإقامة دولة إسلامية في فلسطين التاريخية. إنّه صراع طويل الأمد بين القوميات السياسية التاريخية الثلاث في الشرق الأوسط: بين

الوطن (الدولة القوميّة مثل فلسطين وسورية والأردن)، القوميّة (الأمّة العربية متضمّنة العالم العربي كله) والأمّة (الأمّة الإسلامية).

يمكن رؤية فكرة افتراض الوصول إلى وحدة وطنية في العالم العربي في هذه الفقرات بشكل تقليدي. مجموعة من الدول العربية المستقلّة، أمة عربية كبرى واحدة أو أمة إسلامية، تشمل جميع المسلمين، بما في ذلك مَنْ هم خارج العالم العربي، كما هو الحال في إيران وأفغانستان. بالتالي، تجسّد حماس عديداً من التناقضات التاريخيّة والأيديولوجيّة التي توجد في العالم العربي اليوم.

كما تُعلن حماس في ميثاقها، "تعتبر حماس القومية [الوطنية] جزءاً لا يُجتزأ من العقيدة الدينية"[٥] الوطن دولة فلسطين والإسلام لا يشكّلان أيّ تناقض بأيّ حال، بل هما وجهان لعملة واحدة.

في حالة فريق هاكر غزّة، فكرة القوميّة هذه لا وجود لها. حتّى وإن لم تكن نفسها فكرة الوطنية، فإنّ مفهوم العلمانية القومية (القومية العربية) مرفوض باعتباره واحداً من الأيديولوجيات التي يتم استهدافها إلكترونياً[٦]. بدلاً من ذلك، هناك فكرة أن يكون جميع المسلمين متّحدين معاً من خلال الأمة. واحد من الأمثلة على الأهداف الرئيسة للجهادي الإلكتروني هو "إظهاره الولاء والاعتزاز بدينه وأمّته"، وتمثيل الأمة، وتحسين صورتها[٧].

بالطبع، حتّى الآن ينبغي أن نلاحظ أنّ هذه ليست فكرة يحتكرها الجهاديّون، وهذا في حدّ ذاته ليس تطرّفاً. بالتّالي، كيف يمكن أن يكون لفريق هاكر غزّة روابط أيديولوجيّة مع السلفية الجهادية؟ من ناحية، وهم يناضلون من أجل إقامة الأمة. من جهة أخرى، هذا ليس مثيراً للجَدَل

ضمن السياق، كما تمّ وصفه. ولكنْ، هناك استثناءات وتناقضات بارزة تعقّد صورة إيديولوجيّة فريق هاكر غزّة كسلفية جهاديّة - وهي مفهومهم الأيديولوجي للإسرائيليين، كما نوقش في مقدّمة هذا الفصل.

المنطقة H تجمع بدائل لمواقع الإنترنت المخترقة. من بين المواد يمكن دراستها بالتفصيل في مواقعها الإلكترونية[٨] على سبيل المثال، كانت هناك حالات، نشر فيها فريق هاكر غزّة في بضع هجمات على مواقع إسرائيلية، "خيبر، خيبر يا يهود ... جيش محمّد سوف يعود"[٩] - في إشارة إلى غزوة خيبر عام ٦٢٩ عندما انتصر جيش النبي محمّد على اليهود الذين يعيشون في واحة خيبر، والتي استُخدمت من البعض على أنها هتافات معادية للساميّة، للتحريض على الذَّبْح والقتل الجماعي لليهود. على أي حال، هذا هو سبب أهمّيّة مقدّمة الفصل. عندما سألتُ ما إذا كان هناك فرق بين الصهاينة واليهود، السيد ليون، الذي قال إنه كان هو نفسه مؤلّف الوثيقة، أجاب "بالطبع". ثانياً، الفرق بين الناس من الدين اليهودي والصهاينة ليس هو التناقض الوحيد المعقّد فحسب، بل أنه يظهر في نقطة عقدية بين توضيح السيد ليون وما تُصرّح به حقيقةً صيغة مبادئ فريق هاكر غزّة.

"لكنّ رافضة كلمة سيّئة، أليس كذلك؟ "كنتُ وما أزال في حيرة من أمري، حيث لم أكن أعرف بعد كيف أوفّق بين رؤية السيد ليون وفريق هاكر غزّة لليهود والصهاينة، والشيء نفسه ينطبق على أفكارهم عن الشيعة، واستخدامهم لكلمة رافضة، كما سألت السيد ليون لماذا يتم استهداف المواقع الشيعيّة، أجاب "لا، لا، فهي ليست حتّى مذكورة". علّقتُ باقتضاب، في الواقع، جاء ذلك في الصفحة ٨. "لا، هم [الشيعة]

مسلمون، ودیننا مثل دینهم من الإسلام ". بینما في الحقیقة، كان الانقسام بینهما مجرّد خلاف قدیم من زمن الخلافة.

عليّ أن أكون منصفاً، الرافضة كمصطلح تمّ استخدامه بطریقة مُهینة ضدّ الشیعة، لكنْ، كان هناك تغییر عندما أخذ الشیعة هذا المصطلحَ، وتملّكوه. بینما استخدمَهُ المسلمون السّنّة، لأنّهم یعتقدون أنّ الشیعة یرفضون السلطة الإسلامیّة الشرعیة والقیادة. من جهة أخرى، وصف الشیعةُ أنفسَهُم بالتالي بالروافض، كشكل من الفخر، لأنهم تمرّدوا ضدّ ما یعدّونه طغیاناً[١٠].

مرّة أخرى، هناك فرق بین استیلاء جماعات مقهورة على مصطلح محمّل بالسلبیة وتغییر معناه إلى رمز للفخر، بینما تكون نُظُمُها السیاسیة والاقتصادیة و/أو مكانها الاجتماعي في التسلسل الهَرَمي الاجتماعي مؤكّدة على مرّ التاریخ، من جهة، وعندما یستخدم المقهورون المصطلحَ نفسَه، من جهة أخرى. على سبیل المثال، عندما تُخصّص أجزاء معینة من المجتمع الأفرو - أمریكي مفردة "ن"(*)، فإنه سیكون مختلفاً نوعیاً عماّ لو فعل الحزب الجمهوري الأمر نفسه.

هكذا، مع استمرار المناقشة، اتّجه السید لیون بشكل كامل بعیداً عن الوثیقة ومفهوم الجهاد الإلكتروني لنشر الإسلام. بینما ذكر السید لیون أن القرصنة یمكن أن یُنظَرَ إلیها على أنها السیف الإلكتروني، من ناحیة أخرى، ذكر أن الإسلام لا یمكن أن ینتشر عن طریقه[١١]. وبعبارة أخرى، تنص الوثیقة على أن مواقع الیهود والكفّار والشیعة ینبغي أن تُستهدَفَ،

---

*) كلمة "ن": تدلّ على مفردة نیغار (nagger)، وتُستخدَم لتحاشي ذِكْر المفردة الأصلیة التي تُعدّ مُهینة وعنصریة، تُوجَّه إلى ذوي البشرة السوداء.

بين عدّة مواقع أخرى، من أجل نشر نسختهم من الإسلام. مع ذلك، كان هناك تمايز واضح بين الصهيوني والشخص المعتنِق للدِّين اليهودي، واعتبار الشيعة مسلمين أيضاً.

عندما قاد النقاش حول المجموعة السلفية الجهادية إلى وضع الدولة الإسلامية (داعش) في المحور، قال إن: "الدولة الإسلامية (داعش) مُنتَجٌ أمريكيّ وغربيّ لتشويه صورة الإسلام"(١٢). في الواقع، فريق هاكر غزّة لديه أيديولوجيا مرتبطة ارتباطاً وثيقاً مع السلفية الجهادية، والسيد ليون، في مناقشتنا، يشبه بشكل أكبر شخص ينتمي لجماعة الإخوان المسلمين: "اسمعْ، الكلمة الأولى في القرآن الكريم هي ‹اقرأ›. هل القراءة تؤدّي إلى العنف؟"

عندما ناقشنا الإسلامَ السياسي بدأنا نركّز على شبكة الإنترنت كوسيلة لتوسيع نظرته للإسلام، وكيف أنه اكتشف علماء لم يكن قادراً على التعلّم منهم دونها. قد تعتقد أنه ذكَرَ نوعاً من العلماء الجهاديين كمصدر إلهام، ولكنْ، كانوا علماء إسلاميين مثل أحمد ديدات ويوسف إستيس الذين كان يُقدِّرهم(١٣). كان ديدات جنوب أفريقي وإستيس أمريكي تحوّل من المسيحية إلى الإسلام عام ١٩٩١، وعلى حدّ سواء، يمكن اعتبارهم دعاة محافظين ومبشّرين، وهم بالكاد يتوافقون مع التيار الجهادي السلفي، ولكنهم أكثر توافقاً مع جماعة الإخوان المسلمين، بالإضافة إلى المجموعة النرويجية إسلام نت - التي دعت إستيس إلى النرويج عام ٢٠٠٩.

حتّى الآن، يبدو أن السيد ليون أحد أشكال الإنسان النارمائي (Hydratopyranthropos)، وهو الإنسان المكوَّن من ماء ونار، العنصرَيْن الأكثر تناقضاً.(١٤) "على سبيل المثال"، أوضح السيد ليون "انظر إلى تاريخ

يوسف إستيس مع الإسلام! هل هدّده شخصٌ ما؟ هل قام أحد بإجباره؟ هو يتحدّث عن فترة ما قبل الإسلام. حول العنف والعنصرية والكراهية!"

انقســـام مســـتمرّ: أوب إسرائيـــل(*)، أنونغوســـت(**) وأنونيمـــوس العـــرب

كنتُ جالساً أمام جهاز الكمبيوتر الخاص بي في منتصف الليل في محاولة لمتابعة الأحداث الجارية في هاشتاغ #أوب_إسرائيل، وهي عملية سنوية في ٧ إبريل ضدّ إسرائيل حيث تحاول فِرَق الهاكرز من جميع أنحاء العالم اختراقَ بنيتها الإلكترونية التحتية في احتجاج ضدّ الاحتلال.

كان تويتر يفيض بالتغريدات التي تُبلِّغ عن "أحدث الانتهاكات"، بطاقات ائتمان تمّ اختراقها، ومواقع إلكترونية دُمِّرَتْ. كان في الصف الأوّل أراب انونيموس وأنونغوست مع جيش الشرق الأوسط الإلكتروني، وفريق الهاكر التونسي الفلاّقة، الذي أعلن أنه كان مسؤولاً عن الحملة، مع عدّة مجموعات هاكرز أخرى، وهاكرز أفراد انضمّوا إلى العملية. لكنْ، من المثير للاهتمام أن نلاحظ هنا كيف أن الانقسام الأيديولوجي في فريق هاكر غزّة ظهر مرّة أخرى خلال عمليات أوب إسرائيل باستخدام دعاية وفكر داعش.

أنونغوست دون شكّ كانت واحدة من المجموعات الأكثر نشاطاً خلال عملية أوب إسرائيل، حيث قاموا في أثناء اختراق مواقع إسرائيلية، بتعديل صورة تاريخية لجندي من الجيش الأحمر على سطح في برلين إلى مقاتل من داعش يرفع عَلَمَهَا. كان هذا واحداً من الأمثلة الأقلّ بشاعة.

---

*) أوب إسرائيل هو هجوم سيبراني منسّق من قِبَل مُعادي الصهيونية للهجوم على مواقع الويب التي يُنظَر على أنها إسرائيلية.

**) أنونغوست هو فريق من القراصنة/الناشطين المؤيّدين للفلسطينيين، ومقرّهم في أفريقيا والشرق الأوسط وأوروبا.

نشر عدد من أعضاء أنونغوست، من بينهم المستخدم AnonGhostTeamLegend (ungku_nazmi))، صورة لجون الجهادي، الرجل المعروف أنه قَطَعَ رؤوس عدد من الرهائن، بينهم الصحافي جيمس فولي، مع تعليق: "**لقد عدتُ مجدّداً، أيها الكفّار!**" مهاجم موريتانيا (OmarKhattab9541@)، وهو أيضاً عضو أنونغوست، ولديه صورة ملفّ شخصي لجنديَّيْن من داعش على تويتر، اخترق عدّة حسابات فيسبوك إسرائيلية، ونشر صوراً لجون الجهادي، يحمل سكّيناً بوجه الكاميرا على صفحة الضحية، مع تعليق "قادمون لنقتلَكُم، يا يهود". علاوة على ذلك، كتب فوق الصورة "هذه الصفحة [كذا] تمّ اختراقها من قِبَل فريق #أنونغوست، الموت لجميع اليهود".

جاءت الهجمات على حسابات الفيسبوك الإسرائيلية بعد أن دعا الهاكرز العملية بـ "المحرقة الإلكترونية"، ما أدّى إلى ردود فعل متعدّدة. على سبيل المثال، قال مستخدم تويتر تابع لأنونيموس (AnonRRD) ولديه أكثر من ١٥ ألف متابع: "الرجاء إزالة عبارة" المحرقة الإلكترونية، #اوب إسرائيل لا تعني ذلك، معركتنا من أجل الشعب الفلسطيني"[١٥].

أيضاً، حساب تويتر الرَّسْمي أوب إسرائيل (Op_Israel)، أكّد هذا الرأي، مُعلناً، "للتوضيح، نحن في هذا الحساب لا نؤيّد استخدام كلمة المحرقة. نحن لم نأت بـ "المحرقة لإلكترونية في "#أوب إسرائيل"[١٦].

عندما ناقشتُ استخدامهم لمصطلح "المحرقة الإلكترونية" مع بلاك أوبس، الناطق الرَّسْمي باسم أراب انونيموس، ببساطة، رفض مجرّد فكرة أنّ هناك أيّ شيء متطرّف حيال ذلك، وبدلاً من ذلك، يرى أنه تعزيزٌ للهجوم، ولم يكنْ على استعداد لتوضيح السبب. بالإضافة إلى ذلك، ذكر فكرة

السيد ليون نفسها، وهي أن هناك فَرْقَاً نوعياً بين الصهيونية وشخص من الدِّين اليهودي: هناك فَرْقٌ كبيرٌ بين الصهيونية واليهودية.

"اليهودية هي دين اليهود، من نسل أبناء قبيلة يعقوب، عليه السلام وبعده موسى، عليه السلام. الصهيونية [من ناحية أخرى] هي حركة سياسية، عنصرية ومتطرّفة، تسعى لإقامة دولة يهودية في فلسطين ... ونحن لا نهدّد أيّ يهودي خارج حدود فلسطين، ولكن الصهاينة داخل فلسطين هم هدفنا"[١٧].

حاولتُ الحصول على توضيح من بلاك أوبس، لكنْ، انتهت المراسلات فجأةً عندما سألتُهُ عن استخدام شريكه أنونغوست الدعاية لداعش، فتوقّف ببساطة عن الاستجابة.

كانت فرضيّتي في ذلك الوقت حول لماذا تمّ استخدام الدعاية لداعش؟ وقد انتهيتُ بهذه النتيجة، أنّ انونغوست قاموا بكل ذلك لتعزيز عامل الصدمة. دعم داعش وحملتهم الوحشية كان البيان الأكثر استفزازية، وبالتالي كان مثالياً للحصول على الاهتمام الذي تتوق إليه عديد من فِرَق الهاكر. يمكن استنتاج انتماء انونغوست من خلال فيديو في يناير ٢٠١٦ من صُنع انونغوست تمّ تحميله على أرشيف الإنترنت، حيث تعهّدوا فيه بالولاء (البيعة) لداعش، وذكروا أنهم سيتعاونون مع مجموعة جيش الخلافة الإلكتروني[١٨].

تبدأ بنشيد إسلامي شائع غالباً ما يرافق الدعاية الجهادية، لتُقدِّم

نفسها على أنها "صعود أشباح الخلافة". يعقب ذلك فيديوهات مختلفة لاختراقات سابقة، وفيديوهات من "الخلافة" وأطفال جرحى (على الأرجح الفلسطينيين) يبكون في المستشفى، مع عرض تصريح: نحن نتعهّد بالولاء للخليفة أبي بكر بالسَّمْع والطاعة، في العُسْر واليُسْر، ونحن لن نُعارضَ الخلافةَ، ما لم نرَ كُفراً واضحاً وانحرافاً، وبحُكم من الشريعة. نُشهِدُ اللهَ على ذلك. ثمّ ينهون بختامية مع " جيش الخلافة الإلكتروني/الخلافة الإلكترونية/ أشباح الخلافة/نحن الآن #واحد" مع شعار داعش كخلفية.

على المرء ملاحظة الأهمّيّة الكبيرة لأنونيموس في التأثير على بيئة الهاكرز العالمية (حتّى تلك الجهادية)، كما اقتبس انونغوست شعارَهم "نحن جيشٌ، نحن لا نغفرُ، لا ننسى، ترقّبونا" بالقول "نحن مسلمون، ونحن لسنا قليلين. نحبّ التوحيد، ندافعُ عن الإسلام، الحُكم للشريعة".

على حدّ علمي تلك أوّل مرّة في التاريخ يتعهّد فريق قرصنة إلكتروني رسمياً بالولاء لجماعة جهادية، ولكنْ، أتوقّع أنّ ذلك سيُصبح أكثر شيوعاً، حيث أصبحت القرصنة جزءاً طبيعياً من الدعاية والحرب.

قومٌ في الأمة

كيف يمكن ربط هذَيْن التناقضَيْن الواضحَيْن؟ رغم أنها ستكون مهمّة مستحيلة لإعطاء نتيجة قاطعة، ينبغي أن نناقش بعض القضايا.

الشيء الأوّل الذي يجب الإشارة له هو الصِّيَغ المختلفة من الوثيقة ومناقشتي مع السيد ليون. في حين أن الأوّل هو "صيغة مبادئ" مجهول - كتبه السيد ليون - حيث يعرض فريق هاكر غزّة وأيديولوجيّته ككُل على

العالم الخارجي، السيد ليون مسؤول شخصياً عمّا قاله لي في محادثة خاصة. بعبارة أخرى، هناك احتمالٌ أن الخطابَيْن المختلفَيْن نوعياً، يُجبران المُتلقّي على تغيير البيان والرسالة عندما يقوم بطَرْحها، وتقديم نفسه.

من ناحية أخرى، على مستوى أعلى إيديولوجياً، تأتي مسألة الهوية مقابل الممارسة العملية. بما أنّ للوثيقة ملامح جهادية سلفية واضحة، يمكن اعتبارها الأيديولوجيا التي يقوم الأعضاء أنفسَهم بتحديد هويّتهم من خلالها والحركة التي يريدون أن يكونوا جزءاً منها. ويمكن، أيضاً، أن تكون الوثيقة أداةَ توكيد للذات وتسويق، حيث يحاولون تسويق أنفسهم على أنهم "الأكثر حزماً، الأقوى والأكثر صلابة". إذا تمّ توجيه الوثيقة إلى الهاكرز الآخرين، قد يكون تصويرهم لأنفسهم والبيان الذي يستخدمونه مُصمَّماً بهَدَف إقناع الآخرين للانضمام إليهم. كما يشير الأستاذ في جامعة أوسلو برينغر ليا في مقاله "الدولة الإسلامية وهمجيّتها المنشورة إعلامياً"[١٩]، هناك منافسة شرسة بين جماعات مختلفة لاهتمام وسائل الإعلام - كما هو الحال في حالة "الحرب الأهلية" بين قيادة القاعدة والدولة الإسلامية - وأن "مجموعات جديدة تُصمِّم رسائلَهَا الأيديولوجيّة بوضوح لإرضاء الجهات المانحة"[٢٠].

هذا لا يعني أن فريق هاكر غزّة لديه أيّ مانحين، وليس هناك ما يدلّ على ذلك. ومع ذلك، فإن بيان وصورة المجموعة المقنّعة تُعطيها الشرعية والشعبية حيث إنّ هناك حاجة ماسة لذلك عند الانخراط في عمليات ضدّ جماعات مختلفة، مُنظّمات وحكومات.

رغم أنه لم يردْ ذِكْر القومية - كما هو الحال مع إسرائيل - في الوثيقة، وهو تناقض، يظهر بشكل واضح كما نرى (في فصل "المواقع الإسرائيلية

الأهمّ التي اخترُقت من قِبَل فريق هاكر غزّة") أن غالبية المواقع الإلكترونية التي يُدرجها فريق هاكر غزّة على أنها الأكثر أهمّيّة للاختراق هي، في الواقع، إسرائيلية.

رغم ذِكْرهم مئات المواقع الإلكترونية الإسرائيلية التي تمّ الاستيلاء عليها، إلا أن ثلاثة أمثلة فقط قُدِّمَتْ، تُناسب سرد فريق هاكر غزّة على أنّهم هاكرز من أجل الإسلام.

ومن الأمثلة على كيفية محاولة السيد ليون دَمْج سرد الوثيقة للأمّة، والسمات الجهادية السلفية والممارسات القومية (من خلال اختراق مواقع إسرائيلية في الغالب)، هو استخدام ابن خطّاب في فريق هاكر غزّة. ابن خطّاب (ثامر صالح عبد الله السويلم)، السعودي الذي أخذ شهرتَهُ في الحرب الأهلية الطاجيكية، ثمّ أصبح قائداً عسكرياً في الحرب الشيشانية الأولى والثانية، وأصبح رمزاً هاماً من رموز الجهادية السلفية - على قَدَمِ المساواة مع أسامة بن لادن وأبي مصعب الزرقاوي. بمساعدة من مظهره الحَسَن والنمط المشابه لحَدٍّ كبير لنمط تشي غيفارا، وأشرطة الفيديو المؤثّرة له في الشيشان، تظهر الهجمات المُسلّحة على القوات الروسية، يمكن أن يكون ابن خطّاب أسطورة حية (ولاحقاً ميتة)، وأحد أهم رموز الجهادية الكلاسيكية[٢١] عندما سُئل السيد ليون لماذا أحد الأعضاء، الهاكر TKL، استخدم ابن خطّاب كصورة شخصية له، أجاب:

> *"يجب أن تكون الأمة مثل جسد واحد وكيان واحد. إذا كان هناك هجوم على جزء من الدولة، فإن سكّان المدينة المُحتَلَّة سوف يقاومون ويدافعون. إذا لم يكونوا قادرين*

على وَقْف الاحتلال، فهناك التزام للأمة بأكملها بالمقاومة إلى جانبهم، ودَعْمهم في حربهم." (٢٢)

هكذا، السيد ليون، من خلال مثال ابن خطّاب، استبعد التباين في القتال من أجل الأمّة والنضال الوطني من أجل تحرير فلسطين. لم يكن المنظور الوطني والنضال للدفاع عن الأمّة متعارضَينْ. بل، يشكِّل الأوّل جزءاً من هذا الأخير.

ومع ذلك، فإن هذا الأمر لا ينطبق إلا عندما يكون السيد ليون ممثّلاً حصرياً لفريق هاكر غزّة. يبيّن آخر من الأعضاء الثلاثة في قيادة المجموعة، كاسبر، أن هذا التناقض الأيديولوجي لا يوجد فقط في الفريق ككُلّ، ولكنْ، داخل القيادة نفسها.

على سبيل المثال، ذكر السيد ليون أن الدولة الإسلامية كانت صناعة أمريكية وغربية لتشويه صورة الإسلام، ويبدو أنها تتناسب عموماً مع أيديولوجيا الإخوان المسلمين.

مع ذلك، في الوقت نفسه، نرى - إذا بحثنا في منتدى فريق هاكر غزّة - أن كاسبر يتبع بشكل أكثر اتّساقاً أيديولوجيا وثيقة بالمجموعة. أفضل مثال على ذلك هو توقيعه الذي يتبع جميع منشوراته في المنتدى، الذي يتألّف من اقتباس من عبد الله عزّام[٢٣].

باعتباره معلّماً ومرشداً لأسامة بن لادن، وضع عزّام نظرية الجهاد، حيث كان لفكرته أن ساعة في طريق الجهاد أفضل من سبعين عاماً من الصلاة في المنزل تأثير كبير على الحركة الجهادية العالمية. هذا هو الخطّ الأيديولوجي الذي يتكرّر في عديد من منشورات كاسبر في المنتدى.

مثال آخر هو منشور بتاريخ ١ نوفمبر ٢٠١١ عندما نشر رابط لخطاب، ألقاه الناطق الرسمي باسم تنظيم الدولة الإسلامية أبو محمّد العدناني، ويشير إليه بوصفه الشيخ المجاهد[٢٤]. علاوة على ذلك، في منشورٍ آخر وضع كاسبر روابط بالعديد من الخطب التي ألقاها أبو حمزة المهاجر (المعروف، أيضاً، باسم أبي أيوب المصري)، الذي كان من كبار مساعدي زعيم تنظيم القاعدة في العراق أبي مصعب الزرقاوي، قبل أن يصبح قائداً فعلياً لتنظيم الدولة الإسلامية في العراق[٢٥]. يمكن ذِكْر عديد من الأمثلة الأخرى، ولكنّ غايتي هي إظهار عدم وجود أيديولوجيا موحّدة داخل قيادة فريق هاكر في غزّة.

بينما بدأ السيد ليون على ما يبدو يسأم مع جميع أسئلتي، سألتُ عن الاختلاف بين إيديولوجيّته وأيديولوجية كاسبر.

قال باقتضاب: "هناك حُرّيّة رأي في المنتدى، وهناك اختلافات في الرأي حول كل قضية"[٢٦].

يمكن القول بأن الهيكل التنظيمي يشبه الهيكل التنظيمي لأنونيموس، دون أيّ مقارنة على خلاف ذلك، حيث يتّحد الهاكرز من أيّ طيف سياسي وأيديولوجي من خلال وسائل فريق هاكر غزّة وأهدافه. قالت جابرييلا كولمان، في بحثها حول أنونيموس إن ضرورة الأسماء المستعارة والصورة الرمزية واستخدامها على الإنترنت يساعد على تنمية الأداء العالمي:

> *من خلال إخفاء المميّزات الشخصية، مثل العِرق والطبقة والعمر، يتمّ فتح جميع أنواع الاحتمالات المختلفة. تؤكّد الدراسات أننا نميل إلى السعي إلى أولئك المألوفين (أو*

الذين يشبهوننا)، والألفة عن طريق الهوية المشتركة أمر لا يُستهان به، ولا يمكن إلغاؤه. ومع ذلك، من الهام، أيضاً، خَلْق تجارب في أماكن تخفي علامات الفئة، والعمر، والخلفية للمساعدة في تكوين اتّصالات قد لا تتمّ بدون ذلك(٢٧).

لعلّه ليس من المستغرب جداً أن يتّحد الأعضاء والمشاركون في المنتدى بما يبدو قاسمهم المشترك، الإسلام - أو بالأحرى الإسلام السياسي.

الأهداف العلمانية للمجاهد الإلكتروني

نوقشت التناقضات الأيديولوجية المختلفة لفريق هاكر غزّة في إطار الدِّين والمقاومة، ولكنْ، يجب علينا أن نُركّز أكثر على البنية الفقهية للسلفية الجهادية الدِّينية.

هذه المرّة سنُركّز على تمثيلهم لأنفسهم على صفحتهم الرئيسة/ المنتدى حيث هناك التأكيد نفسه على المعركة الدِّينية بدلاً من المقاومة العلمانية. على سبيل المثال، يختارون عدم استخدام المصطلح العلماني "المقاومة الإلكترونية"، بل يستخدمون "الجهاد الإلكتروني". علاوة على ذلك، فإن أعضاء هذا المنتدى يشكّلون (الشبكة الإسلامية) - كما هو الحال في وثيقتهم.

لا يقتصر المنتدى على مناقشة مسائل مثل الأمن، أو الاختراقات السابقة والمستقبلية، أو المسائل التقنية، ولكنْ، هناك، أيضاً، منتدى منفصل للقضايا الإسلامية (الأقسام الإسلامية) (٢٨).

مثال على ذلك، مع العديد من المواقع الإسرائيلية التي اختُرقت في آب / أغسطس ٢٠١٢، كانت الاختراقات من خلال عرض آيات دينية و"بسم الله، ربّ المجاهدين والشهداء" وسورة التوبة (٩:١٤)[٢٩]. من خلال الجَمْع بين هذه النصوص، كما حدث في يوليو ٢٠١٢، حين وضعوا صوراً لرجال ملثّمين، يحملون العَلَمَ الأسود مع الإقرار الإسلامي للإيمان (الشهادة)[٣٠]، والتي تُستخدَم عادة من قِبَل الجماعات الجهادية الأخرى مثل جبهة النصرة والدولة الإسلامية[٣١]، يبدو أنهم يحاولون خَلْق سَرْد عن معركة سياسية دينية لتحرير فلسطين. محاولة لخَلْق صورة لأنفسهم، ليس فقط كمقاتلين مُسلّحين، وإنما محاربين إلكترونيين مقدّسين.

هناك عدد كبير من الأمثلة الإضافية التي يمكن طَرْحها، ولكنّ ما يثير الاهتمام هو مقارنة شكل الاختراقات مع المحتوى الفعلي: أهداف ومطالب مجموعة المناضلين الإلكترونيين. إذا فسّرنا المحتوى في السياق السياسي، حيث لا يتمّ نَبْذُ فريق هاكر غزّة على أنهم مجرّد إرهابيين أو متعصّبين، يصبح من الواضح أن الغالبية العُظمى من أهدافهم، ومطالبهم هي، في الواقع، قومية علمانية وتكتيكية، كما هو الحال مع حماس. إن مثال استخدام سورة التوبة والله ربّ المجاهدين والشهداء، لإظهار السّرد الجهادي لفريق هاكر غزّة كان في الواقع احتجاجاً لوَقْف انتهاكات الأماكن المقدّسة في فلسطين. من الأمثلة الأخرى احتجاجات ضدّ وفاة عرفات جرادات في السجن في إسرائيل عام ٢٠١٢[٣٢]، والتضامن والاحتجاج على معاملة السجناء الفلسطينيين في الإضراب عن الطعام، ومع عضو الجهاد الإسلامي الفلسطيني خضر عدنان بشكل خاص[٣٣]، أو احتجاجاً على عملية عمود السحاب في غزّة عام ٢٠١٢[٣٤].

من الواضح أن هذه الأمثلة تحتوي على ظلال رمادية، فيما يتعلق بالعلمانية الفعلية - خاصة عندما يتعلّق الأمر بوَقْف انتهاكات الأماكن المقدّسة. قد يجادل البعض، وبحقّ، أن ذلك يُشكِّل جانباً دينيّاً، يتجاوز الحدود الوطنية لفلسطين، في الوقت نفسه الذي ينبغي اعتباره مطلباً يتقاطع مع خطوط التقسيم الدِّيني المألوفة. على سبيل المثال، رغم أن المسجد الأقصى هو موقع مقدّس للمسلمين، فإنه من الصعب أن نعتقد أن الفلسطينيين العلمانيين والمسيحيين قد يكونون غير مبالين بهذه المسألة. ولكنها المطالب والأهداف التي وضعوها لأنفسهم عندما يرسلون رسالة إلى الإسرائيليين على أنهم قوميّون فلسطينيون.

كما توصّل علماء آخرون، فإن ظاهرة الجماعات الإسلامية ذات الأهداف العلمانية القومية ليست ظاهرة جديدة، بل طبيعية أكثر ممّا قد يفكّر فيه المرء. ومن الأمثلة على ذلك، حماس والجهاد الإسلامي اللذان يبرّران جهادهما من الناحية الدِّينية، فقط للوصول إلى ما يمكن أن يُصنّف كأهداف علمانية قوميّة. وكما يقول روبرت بيب في دراسته عن الهجمات الانتحارية في الفترة من ١٩٨٠ حتّى ٢٠٠٥:

> *إن البحث في هذه القضايا الحاسمة (حملات التفجير الانتحاري التي شنّها الجهاد الإسلامي وحماس في التسعينيات) تدلّ على أن الجماعات الإرهابية توصّلت إلى نتيجة، مفادها "أن الهجمات الانتحارية قد عجّلت في انسحاب إسرائيل في كلا الحالتين. رغم أن اتّفاقات أوسلو ألزمت إسرائيل رسمياً بسحب جيش الدفاع الإسرائيلي من غزّة والضّفّة الغربية، إلا أن إسرائيل فوّتت بشكل روتيني*

المواعيد النهائية الرئيسة، في كثير من الأحيان، شهوراً عديدة، واعتقد الإرهابيون بأن إسرائيل لم تكن لتنسحب عندما فعلت ذلك لولا العمليات الانتحارية"[٢٥].

علاوة على ذلك، يؤكد بيب على ما يلي:

"إن جميع الهجمات الإرهابية الانتحارية عموماً لديها هدف علماني واستراتيجي محدّد: إرغام الديمقراطيات الحديثة على سحب القوات العسكرية من الأراضي التي يعدّها الإرهابيون وطنهم. ونادراً ما يكون الدِّين السبب الجذري، رغم أنه غالباً ما يُستخدَم كأداة من قِبَل المُنظّمات الإرهابية في التجنيد، وفي جهود أخرى لخدمة الهدف الاستراتيجي الأوسع[٢٦]*"*.

رغم أن هناك معاداة للسامية في الأراضي الفلسطينية، إلا أنها لا تعطي تفسيراً مرضياً للهجمات على إسرائيل. وهذا ما أكّده فريق هاكر غزّة عندما تمّ التأكيد في رسالة مشتركة في أثناء عمليات الاختراق الإلكتروني على أن "الحرب مستمرّة حتّى آخر صهيوني على أرض فلسطين الحبيبة"[٢٧].

كما سبق ذِكْره، فإن المجموعة، أو على الأقلّ، السيد ليون، يعتقد أن هناك في الواقع فرقاً بين الصهاينة وأصحاب العقيدة اليهودية، وبالتالي فإن الرسالة لا تعني، بالضرورة، طَرْدَ اليهود الإسرائيليين.

كما تمّ التميز بين اليهود والصهاينة في فيديو يوتيوب مسمّى "رسالة للعدوّ الصهيوني"[٢٨]، حيث لم يكن هناك ذِكْر للمسؤولية اليهودية، أو

الدولة اليهودية، أو أيّ شيء مشابه، وإنما "العدوّ الصهيوني"، " مواقع إسرائيلية صهيونية "، وكانت الحكومة الإسرائيلية والبرلمان، الكنيست، هي المهدَّدة بالاختراق. كان التهديد، أيضاً، هذه المرّة مطلباً قومياً علمانياً صريحاً: نهاية المعاملة الوحشية لسمير العيساوي، وأنه لا يجب فعل شيء ضدّه[٣٩].

حتّى لو أخذنا اسمهم، فريق هاكر غزّة في الاعتبار، لا يوجد هناك أيّ شيء جهادي إطلاقاً على وجه الخصوص. على سبيل المثال، غالبية الجماعات السلفية الجهادية تنص صراحة على انتماءاتها السياسية - الدِّينية، والتزامها بأسمائها، مثل جماعة أبي مصعب الزرقاوي، (جماعة التوحيد والجهاد)، أو جماعة أنصار السّنّة، وهي جماعة عراقية متمرّدة أخرى، حيث إن الكلمة الأولى "أنصار" لها صلة واضحة مع أنصار النبي محمّد الذين ساعدوه على الفرار من مكّة عندما واجه الاضطهاد(*).

كان أسامة بن لادن، لهذا السبب نفسه، منزعجاً عندما اختصرت وسائل الإعلام الغربية الاسم الكامل لمُنظّمته قاعدة الجهاد إلى القاعدة، لأن كلمة "القاعدة" وحدها ليس لها دلالة على الإسلام[٤٠]. وبحُكم اسمها، يبدو أن فريق هاكر غزّة يمكن تعريفه على أنَه روح الشعب أكثر من روح الجهادية السلفية.

مع ذلك، يجب ذِكْر استثناء هامٍّ. تذهب الأهداف العلمانية لفريق هاكر غزّة فقط إلى حدّ مقاومة الاحتلال، ومهاجمة المواقع الإسرائيلية. مع ذلك، كانت هناك مناسبات، وسّعوا فيها نموذجهم للمقاومة من مفهوم

---

*) الأنصار: في التاريخ الإسلامي هم أهل يثرب (المدينة المنورة) الذين ناصروا محمد رسول الإسلام وأصحابه، واستقبلوهم في بيوتهم بعد تعرضهم للاضطهاد والتعذيب على يد قريش في مكة (المكرمة). (المترجم)

الوطن إلى مفهوم الأمة، الأمة الإسلامية تتجاوز حدود الوطن. تمّ التأكيد على ذلك في بداية المقابلات مع فريق هاكر غزّة عندما أعلنوا صراحةً أنهم لم يحدّوا من نشاطاتهم الاختراقية للإسرائيليين، وأن أهدافهم كانت: "المواقع الصهيونية، من هم ضدّ الإسلام ومواقع الإلحاد"(٤١).

من الأمثلة على ذلك الهجوم على موقع وزارة التعليم والرياضة في أوغندا، من بين مواقع أخرى. على سبيل المثال، في عام ٢٠١٢، عندما لم يتمّ ذِكْر الاحتلال الإسرائيلي، ولا حتّى الحصار المفروض على غزّة. كان الاختراق قد تمّ بالفعل لإظهار ما يُسمّونه "رسالة الإسلام الحقيقية"، والتعبير عن التضامن مع "الإخوة المسلمين المضطهدين سياسياً"، مع صلات بعدّة مواقع إسلامية مثل مفتاح الإسلام وطريق الإسلام(٤٢). المواقع الإلكترونية لا تمثّل الأيديولوجية نفسها مثل الجهادية السلفية، ولكنها تشبه، إلى حدّ بعيد، تلك التي من الممكن أن تكون شائعة في مجموعات مرتبطة إيديولوجياً مع جماعة الإخوان المسلمين(٤٣).

من الأمثلة الأخرى على ذلك، موقع وزارة الإعلام في بورما الذي تمّ الاستيلاء عليه خلال أحداث الشغب التي وقعت في ولاية راخين عام ٢٠١٢، وهو صراع كان أساساً بين بوذيّي راخين ومسلمي الروهينجا، وقُتل عدّة أشخاص - ممّا أدى، أيضاً، إلى عمليات اعتقال تعسّفية وقَتْل وفصل بين الروهينجا، تلاها عقود من التمييز ضدّ الأقلّيّة المسلمة(٤٤). أعلن فريق هاكر غزّة أن موقع الحكومة قد تعرّض للاختراق احتجاجاً على "جرائمكم ضدّ المسلمين في بورما" ويطالبون "بحُرّيّة المسلمين في بورما"(٤٥). إذا لم ينتهِ الاضطهاد، كما قال فريق هاكر غزّة، سيدفع البورميون حياتهم، ويظهر لقطة من مقطع فيديو للقاعدة.

مرّة أخرى، نرى فريقاً تنبثق فيه التناقضات الأيديولوجية من الإسلام المعتدل سياسياً إلى الجهادية السلفية. مع ذلك، هذه المواقع التي تمّ الاستيلاء عليها، بالعودة إلى التحليل الأوّلي لفريق هاكر غزّة، يشكّل هذان المثالان استثناءَيْن، والصورة العامة للمجموعة هي فريق نضال إلكتروني، له أهداف ومطالب علمانية قومية: إنهاء الاحتلال الإسرائيلي، وإيقاف قَتْل الفلسطينيين.

بالتالي، فإن مشكلة تعريف فريق هاكر غزّة من الناحية الإيديولوجيّة قد تكمن في استخدام تصنيفات صارمة للغاية. الإسلاموية من المعتدلة إلى المتطرّفة أيديولوجياً مع الانقسام بين العنف واللاعنف، هي ظاهرة هجينة بوضوح، كما أكد توماس هيغامر، مدير بحوث الإرهاب في مؤسّسة الأبحاث الدفاعية النرويجية، على المشاكل في التصوّر المتجانس للسلفية الجهادية:

> *أوّلاً، من الصعب جداً تفعيل مفهوم التّطرّف أو التّعنّت. عند أيّ مستوى من التّطرّف، تنتزع صفة الجهادي السلفي عن الفاعل؟ ... ثانياً، ليس من الواضح على الإطلاق مدى فعالية فكر السلفية الإخواني [الإخوان المسلمين] في عالم الإسلاموية المتشدّدة المعاصرة*[٤٦].

في الواقع، لا ينبغي النّظَر إلى المفاهيم المتباينة والتعبيرات والتناقضات لفريق هاكر غزّة وتصنيفاتهم على أنها صناديق معزولة، وأن واحداً منها فقط يمكنه احتواؤها، بل يجب النَّظَر إليها على أنها تراكيب متداخلة[٤٧]. على سبيل المثال، حقيقة أن فريق هاكر غزّة يريد استخدام

السيف لنشر الإسلام " تُخبرنا القليل حول أولوياتهم السياسية الفعلية، تماماً مثل أهداف الأحزاب السياسية الغربية[٤٨] المتمثّلة في خَلْق "عالم أفضل. الشعارات الإسلامية لفريق هاكر غزّة غامضة جداً في معانٍ كثيرة، ولا تُقدّم فَهْماً كاملاً عن السلوك السياسي المتوقّع للمجموعة على المدى القصير والمتوسط.

٧

الجهاد الإسلامي وحماس
الكتائب السيبرانية الفلسطينية

بينما كان أعضاء حماس يُدقّقون في جواز سَفَري، قدّموا لي الشاي والطعام. كان الحديث معهم في البداية عن بلدي، حيث عشتُ، وما الذي كنت أفعله في النرويج قبل عملي حول النضال البرمجي الفلسطيني. لو عرفتُ حينها ما أعرفه الآن، كنتُ أكثر ظرفاً، ربّما يمكن لهيئة الأمن القومي النرويجية أن تتعلّم شيئاً من حماس عندما يتعلّق الأمر بالعلاقات العامة، وأن تكون لطيفة، رغم الحاجة إلى "الأمن".

حماس: "الحاجة أمُّ الاختراع"

"بدأت المقاومة الشعبية منذ ٢٥ عاماً مع الانتفاضة، ولم نُحقّق أي شيء بسبب اليهود. نحن، المقاومة الشعبية، نرمي بالحجارة، وهم يُلقون القنابل المسيلة للدموع علينا، وهلم جراً. نتظاهر ٣٠ دقيقة، ثمّ نغادر"[1].

كان عضوا حماس اللذان التقيتُهما يشعران بخيبة الأمل تجاه أساليب

المقاومة الشعبية، كما يتضح من الاقتباس أعلاه. مع ذلك، قالا إنهما يؤيّدان أيّ شكل للمقاومة يضرّ بالاحتلال، بما فيه أحدث سلسلة من الهجمات في القدس في خريف عام ٢٠١٢. رغم أنهما نأيا بنفسَيْهما عن قتل الأطفال والمدنيين. تضمّن دَعْمُهُما للمقاومة الفلسطينية، أيضاً، جوانبَ الحرب الإلكترونية.

من وجهة نظر حمساوي (نسبة إلى حركة حماس) نعيش في عالم من التطوّر التكنولوجي المستمرّ والحسابات الرَّقْمية المصرفية والإعلام، ووسائل الإعلام والحرب النَّفْسية الحديثة، لذلك توجّب على المقاومة مواكبة العالم الافتراضي. كما قال أحد أعضاء حركة حماس: "الحاجة أمّ الاختراع"[٢].

أما الاختبار الحاسم، والضرورة الحتمية، فهي إن كانت إجراءات المقاومة تؤذي الاحتلال ودولة إسرائيل.

تمّ تطبيق هذا الدعم لكل جزء من المقاومة، أيضاً، للمقاومة الإلكترونية التي يُنظَر إلى قدرتها على الإضرار بدولة إسرائيل اقتصادياً، عن طريق قرصنة الحسابات المصرفية، وإضعاف السَّرْد الإعلامي للاحتلال خلال الحرب الإعلامية، أو حتّى مباشرة، ولكنْ، نظرياً، في الحرب وقرصنة الأسلحة الإسرائيلية (تمّ استخدام قرصنة الصواريخ كمثال).

كان هناك، أيضاً، وفقاً لمَنْ قابلتُهم عديداً من المزايا للمقاومة الإلكترونية مثل تجنّب المواجهة أو التّعرّض للأذى أو القَتْل من قِبَل الجنود الإسرائيليين - على النقيض من العمليات المُسلّحة والمظاهرات. مع ذلك، كان الجانب المادّيّ ("العالم الحقيقي") واضحاً، بالإضافة إلى مفهوم العمليات الاستشهادية:

"كيف تريد أن تُحرِّر نفسَكَ؟ نعم، تُحرِّر نفسَكَ بالدم، وبالتضحيات. كيف تريد التّخلّص من هذا الجدار، ونقطة التفتيش هذه؟ يجب أن تكون التضحيات بالدم، التضحيات بالمال والروح حتّى يمكنكَ التّخلّص من هذا الحاجز، من هذا الاحتلال، وهكذا. الأسلوب الإلكتروني ... بينما تجلس في المنزل وحدكَ ... ولكنْ، في الوقت نفسه، أنا على الأرض، ولا بد لي من المقاومة بجسدي، لأن هذا هو الواقع الذي نعيش فيه[٣]".

بالعودة إلى البيانات التجريبية والأمثلة المحدّدة للقرصنة والقرصنة المضادّة بين حماس وإسرائيل، يمكننا القول إنه رغم إمكانية تسميتها بالحرب السيبرانية، إلا أنه هناك الاختراقات التي تنطوي على شيء من الكوميديا السوداء. على سبيل المثال، في مارس ٢٠٠١، تمّ اختراق موقع حماس، بحيث ينتقل زوّار الموقع إلى "نُزُل العاهرات الجنسيات الساخنات، وهو موقعٌ، لا يَعتقد كُثُرٌ أن مؤيّدي حماس قد يستمتعون به.

لم يكن أحمد ياسين، (زعيم حركة حماس الذي قتلتْه قوات الاحتلال في كرسيّه المتحرّك عام ٢٠٠٤) سعيداً جداً بذلك، وذكر أنه سوف يستخدم أيّ وسيلة مُتاحة، بما فيه شبكة الإنترنت، للجهاد ضدّ إسرائيل[٤]. أثبت التاريخ أنه كان على حقّ. قال مسؤول أمني فلسطيني عام ٢٠١٥:

"نجحت الأجهزة الأمنية في غزّة بالكَشْف عن هويات عشرات الجواسيس الذين جنّدتْهم المخابرات الإسرائيلية من خلال موقع إلكتروني. تحقّق ذلك عندما اخترق خبراء

التكنولوجيا الفلسطيني خوادم وكالة الأمن الإسرائيلية، وحصلوا على قائمة العملاء"[٥].

أكّد المسؤول الأمني الفلسطيني ما يعرفه الجميع: طوّرت حماس وحدات دفاع إلكترونية، بما فيه قراصنة داخل الحركة. ليس هذا مستغرَباً بالنَّظَر إلى أن لدى إسرائيل عديداً من القراصنة في صفوفها، بل وتستخدم وسائل الإعلام الاجتماعية أيضاً، ورقابة الإنترنت وما شابه لتحديد الفلسطينيين القابلين للتجنيد.

لا يُشترط أن تكون قابلاً للتجنيد، يكفي، فقط، أن تكون غير حَذِرٍ في استخدامكَ الإنترنت، كما ثبت عام ٢٠١٤ عندما اغتالت إسرائيل أحد قادة الجناح العسكري لحركة حماس (حمزة أبو الهيجا)، بعد تحديد موقعه من خلال حسابه الشخصي على فيسبوك[٦]. هذا مستوى آخر لمخاطر الفيسبوك في الأراضي المحتلّة.

ما يجب علينا ملاحظتُهُ هو أنه في كل مواجهة على الأرض بين الفلسطينيين والإسرائيليين، هناك تكثيفٌ طبيعيٌّ مقابل على الإنترنت. كما هو الحال في أثناء قصف قطاع غزّة في ٢٠٠٨/٢٠٠٩ و٢٠١٢ و٢٠١٤ أو انتفاضات القدس، حيث تعرّضت إسرائيل إلى تصاعد في الهجمات الإلكترونية من الداخل والخارج. اخترقَ، على سبيل المثال، القرصانُ "كولد زيرو" ألفَي موقع إلكتروني إسرائيلي بمفرده، ٨٠٠ منها خلال مذبحة عام ٢٠٠٨ في غزّة، من بينها الموقع الإلكتروني لحزب الليكود السياسي الإسرائيلي. عندما أُلقي القبض عليه من قِبَل السلطات الإسرائيلية، وجدوا أنه فلسطيني إسرائيلي، عمره ١٧ عاماً. كما طوّر القرصان "نيمو العراق"

المؤيّد لحماس أداة هجمات حرمان الخدمة، أسماها "الدّرّة" وكانت خاصة بأحداث عام ٢٠٠٨[٧].

بالطبع، يمكن وصف هذه الأشكال من القرصنة وعمليات القرصنة المضادة بين حماس وأنصارها وإسرائيل بأنها لا تنتهي. يعزو باولو شاكريان ويانا شاكريان وأندرو رويف الهجمات إلى اشتداد الحرب الإعلامية بين الفلسطينيين وإسرائيل، ونظراً إلى أن الهجمات لا تقتصر على كونها مجرّد أداة، بل هي جزء من التأثير على السرد في وسائل الإعلام[٨].

تخضع غزّة لحصار كامل، وتختفي خلف جدران كبيرة مع حصار بَحْري، ولا يمكن لها إزعاج أيّ من الإسرائيليين الذين يعيشون حياتهم اليومية على الجانب الآخر. تجسّد الحرب الإعلامية وقرصنة المواقع الإسرائيلية: " شئتُم أم أبيتُم، نحن هنا، مهما ادّعيتُم أنكم لا ترونا"[٩].

الجهاد الإسلامي: الجهاد الإلكتروني لن يكون عَلَنياً

عندما كنتُ أستعدّ للعمل الميداني من أجل هذا الكتاب، لم يكن هدفي مناقشة قضية الجهاد الإلكتروني لدى حركة الجهاد الاسلامي في فلسطين. هناك عديد من المقالات عن القراصنة في حماس، ولكنْ، هناك عدد أقلّ بكثير من المقالات حول الهجمات الإلكترونية لحركة الجهاد الإسلامي. مع ذلك، يملك الجهاد الإسلامي وحدة إلكترونية في سرايا القدس، واسمها لواء القدس، التي أسّست عام ٢٠٠٨ وفقاً لموقع أخبار "منصّات" الجديد الذي يغطّي منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا[١٠]. لكنْ، لم يبدُ أنهم فعّالون بقدر قراصنة حماس.

عندما كنا نناقش قراصنة لواء عزّ الدِّين القسّام، غيّر عضوا حماس الحديثَ عدّة مرّات إلى قراصنة لحركة الجهاد الإسلامي، على الأرجح، بسبب عدم رغبتهم في مناقشة الهياكل الداخلية والتكتيكات الخاصة بهم.

كان ممثّل حركة الجهاد الإسلامي الرئيس هادئاً وودوداً وورعاً. قال إنه لا يدخّن بسبب قناعاته الدِّينية، وحاول تقليص كمّيّة القهوة للسبب نفسه.

بينما كنا نتحدّث عن حركة الجهاد الإسلامي، وعملها في الجهاد الإلكتروني، طرح عديداً من الأفكار نفسها التي تحدّثت عنها حماس، وفي المقام الأوّل فكرة أن أيّ نوع من المقاومة للاحتلال يجب دَعْمه. مثل حماس، أكد أن الابتكارات التكنولوجية أجبرتْهم على القيام بتغييرات لمواكبة الإسرائيليين، لأنهم أكثر تقدّماً من الناحية التكنولوجية. أضاف أن الجهاد الإسلامي اتّخذت "خطوات أولى" لـ "الإسراع في إنهاء الاحتلال"، وأكّد أن هناك "وحدة متخصّصة في لواء القدس تابعة للجهاد العسكري، وأخرى تابعة للجهاد السياسي، وهناك كيانات مَدَنية تُمارس عملها إلى حدّ كبير في قطاع غزّة"[١١].

لخّص أهداف الحرب الإلكترونية، في ثلاث نقاط رئيسة:

١. منع الهجمات الإلكترونية من إسرائيل.

٢. منع التجسّس والمراقبة.

٣. نشر القضية الفلسطينية في العالم ووسائل الإعلام الدولية.

تشير النقطتان الأوّليتان (منع الهجمات الإلكترونية والتجسّس والمراقبة) إلى الاحتياجات الرئيسة لحركة الجهاد الإسلامي ككَائن ذي

طبيعة دفاعية. هذه الفكرة اختلفت عن أفكار فريق هاكر غزّة وحماس عن النضال البرمجي والمقاومة الإلكترونية كأداة أساسية هجومية لشنّ هجمات على البنية التحتية الإسرائيلية للإنترنت. بدلاً من ذلك، كان الجهاد الإلكتروني ضرورة في لجعل المُنظّمة وجناحها المُسلّح أكثر فعالية وأمناً، و"خصوصاً، في البحث والرَّصْد وعمليات التشويش، مثل رصد خطوط الهاتف، وتشويشها".

مع ذلك، لم تكن مهامّ اللواء الإلكتروني في حركة الجهاد الإسلامي مقتصرة على هذه التدابير الدفاعية، ولكنْ، تجاوزتْها إلى عمليات أكثر هجومية ضدّ البنية التحتية السيبرانية الإسرائيلية.

طرح مثال قرصنة لواء القدس لموقع حكومي إسرائيلي وحصوله على عناوين البريد الإلكتروني لنحو ٢٠ ألف جندي إسرائيلي. بعد الاختراق، تلقّى الجنود الإسرائيليين تهديدات عبر رسائل بريد إلكتروني، وهو نموذج للحرب النَّفْسية لغَرْس الخوف، أسماه لواء القدس حرب الأعصاب[١٢].

ينبغي الإشارة إلى أن رَقْم ٢٠ ألف مرتفع جداً، ولكنه أشار على الأرجح إلى القرصنة المضادة التي نفّذتها حركة الجهاد الإسلامي خلال عملية عمود السحاب الإسرائيلية في ١٧ تشرين الثاني ٢٠١٢، التي كانت في ذلك الوقت أحدث هجومٍ ضدّ السكان في قطاع غزّة.

إذا أردنا أن نُصدِّق المقالات الإخبارية عن قرصنة حركة الجهاد الاسلامي لموقع حكومي إسرائيلي، فالرَّقْم كان "محدوداً"، ٥٠٠٠ جندي إسرائيلي. نتيجة للاختراق، تلقّى الجنود رسالة بالعبرية[١٣] بالبريد الإلكتروني تقول: "غزّة ستكون مقبرة جنودِكُم، وتل أبيب ستصبح كُرة من النار".

بعد يومَينْ من هذه القرصنة (حرب الأعصاب) في ١٩ تشرين الثاني، ضربت غارة جوّيّة إسرائيلية مبنى من ١٥ طابقاً في مدينة غزّة، فقُتِل رامز حرب فوراً[١٤]، أحد المُسلّحين في المبنى، الذي كان رئيساً لعمليات وسائل الإعلام في حركة الجهاد الإسلامي، والمسؤول عن الجهد الإعلامي وفقاً لإسرائيل.

قبل أربع سنوات، تبنّى الجهاد الإسلامي المسؤولية عام ٢٠٠٨ عن عدّة اختراقات لمواقع إسرائيلية في أعقاب مقتل حسن زياد شقورة، الرئيس السابق لفرع الإعلام للحركة. ليس هناك شك في أن إسرائيل ترى التدابير الدعائية للجماعات الفلسطينية تهديداً.

لا يعني هذا أن حرب الأعصاب تعمل دائماً كما هو مُخطَّط لها. تعرّضت حماس، أو على الأقلّ، المتعاطفون معها من ذوي الخبرة إلى تجربة مؤلمة عام ٢٠١٤ خلال عملية الجرف الصامد - قصف غزّة خلال صيف عام ٢٠١٤. عندما سجّل شخص زيارة لصفحة فيسبوك دومينوز بيتزا إسرائيل، ولم يكن المحتوى المعتاد هو الذي ظهر. بدلاً من ذلك، تغيّرت صورة الترويسة إلى صورة لناشط فلسطيني، كتب معها "كتائب عزّ الدِّين القسّام/الجناح الإلكتروني" لمدّة ساعة. علاوة على ذلك، لم تنشر صحفة دومينوز شيئاً عن البيتزا، ولكنْ، نشرت "اليوم سنضرب عمق إسرائيل وتل أبيب وحيفا والقدس وعسقلان وأشدود بأكثر من ٢٠٠٠ صاروخ. سنبدأ الساعة السابعة، ونبدأ العَدّ التنازلي نحو نهاية إسرائيل. احذروا"[١٥].

كان من المفترض أن تكون رسالة تهديد من شأنها زرع الخوف في قلوب الإسرائيليين. لكن الأمور لم تجر كما هو مُخطَّط لها. سَخِرَ زوّار الموقع الإسرائيليون من القراصنة، وتحوّل الأمر إلى مسابقة كتابة أطرف تعليق.

كان أحد الردود على الصفحة على سبيل المثال، "مهلاً، أريد صاروخاً بالفليفلة الحدّة والزيتون الأخضر وجبن إضافي وفطر. لذيكَ عنواني. أخبر صبيّ التسليم أن ينشِّط الإنذار عندما يصل، كي أرتدي سروالي"(١٦).

عندما نشر القراصنة صورة لإسرائيليين يحتمون في أنابيب الصرف الصّحّي مع تعليق: "المكان الصحيح لكلّ إسرائيلي [كذا] - أنابيب الصرف الصّحّي، هاهاها"، أجاب إسرائيلي: "هل تعرف مَنْ يعيش في المجاري؟ وماذا يأكل؟ "، ونشر صورة لسلاحف نينجا، تتناول البيتزا(١٧).

لم يبدُ أن كثيراً من الإسرائيليين كانوا خائفين.

بالعودة إلى قضية قراصنة حركة الجهاد الإسلامي: فنّد الممثّل الرئيس للحركة فكرة أن قراصنة الجهاد الإسلامي كانوا ظاهرة جديدة نسبياً، وأنها موجودة فقط منذ عام ٢٠٠٨ وفقاً لموقع منصّات، وأكد أن العمل مستمرّ منذ عام ١٩٩٩، بعد قرار سياسي من قيادة الحركة بدمج اللواء الإلكتروني مع لواء القدس والجهاد الإسلامي، وأنها "تطوّرت بشكل كبير" منذ ذلك الحين. كان الممثّل الرئيس يؤكد على استخدام القراصنة لمَنْع عمليات التّنصّت والتجسّس من قِبَل قوات الاحتلال، إلا أن العمليات الهجومية كانت حديثة نسبياً، كما أن التدابير الوقائية الإلكترونية في الحركة وُجِدَت منذ أكثر من عشر سنوات.

ذكر الممثّل الرئيس لحركة الجهاد الإسلامي أن قراصنتهم لم يُعلنوا عن كل هجماتهم.

بالنسبة لهم، كان الأمر الأكثر أهمّيّة هو تحقيق انتصارات عسكرية واستراتيجية، وليس الدعاية في وسائل الإعلام: "نحن نعمل في صمت

وهدوء، من أجل تحقيق أهدافنا، ودَحْر الاحتلال"[١٨]. إذنْ، الثورة ليست الشيء الوحيد الذي لم يحصلْ على تغطية إعلامية على ما يبدو، حسب جيل سكوت هيرون[١٩].

استيراد الجهاد الإلكتروني

كان تصريح أعضاء حركة حماس أنهم حصلوا على مساعدة من الخارج لتطوير المحاربين السيبرانين في لواء عزّ الدِّين القسّام هاماً ومثيراً: "لا نُنكر أن بعض البلدان ساعدتْنا في هذا، أتفهم ذلك؟"[٢٠]. عندما سألتُ عمّا إذا كان الوضع مختلفاً بالنسبة لحركة الجهاد الإسلامي، قال الممثّل الرئيس لحركة الجهاد الإسلامي:

> *"لا، بالطبع، حصل هذا الجيش على المساعدة والتعليم والتدريب من جهات مختلفة، تدعم القضية الفلسطينية. يوجد مختصون محليون وأجانب في هذا المجال. نسعى جميعاً لهدف واحد، وتلقّينا أجهزة حديثة من خلال وكالات مختلفة أصدقاء للشعب الفلسطيني، وهناك، أيضاً، أجزاء أخرى، اشتريناها من السوق المحلي والسوق السوداء لمواصلة التنمية لدينا[٢١].*

عندما سُئِلَ إذا جاءت مساعدة من إيران، قال بصراحة إنه لم يكن لديه "معلومات كافية" حول هذا الموضوع، ولم يكن هذا مفاجئاً. مع ذلك، لا يُعدّ تسليط الضوء على عمل إيران خارج السياق، عندما يتعلّق الأمر

بتطوير الكتائب السيبرانية في العالم العربي، من بين أمور أخرى، بسبب صلاتهم الأيديولوجية الوثيقة، نظراً إلى أن الممثّل الرئيس لحركة الجهاد الإسلامي عَدّ الثورة الإيرانية والخميني مصدر إلهام للحركة.

ذكر باسم أبو أحمد، الناطق باسم لواء القدس المُسلّح، وفقاً لموقع المونيتور: "لسنا الجماعة الفلسطينية المُسلّحة الوحيدة التي تتلقّى الدَّعْمَ الإيراني، ولكننا نعترف بذلك عَلَنَاً، نشعر أن هذا الامتنان لا مفرّ منه"[٢٢]. هذا بالإضافة إلى المعرفة التي لدينا اليوم عن إيران، على أنها واحدة من الدول المتقدّمة في تكنولوجيا الإنترنت (كثيرا ما تُذكَر إلى جانب روسيا والصين)، كما وصفها المعهد الوطني لدراسات الأمن أنها واحدة من "أنشط اللاعبين في الساحة الإلكترونية الدولية"[٢٣].

في كتابه "الحرب ضدّ الشعب"، يسأل ناشط السلام الإسرائيلي جيف هالبر كيف يمكن لإسرائيل أن تتهرّب "من ذلك كله". يلوم كثيرون اللوبي الإسرائيلي الأمريكي (إيباك)، لكننا نميل إلى نسيان لوبي الأسلحة الأميركي، وشركات مثل شركة نورثروب غرومان وشركة لوكهيد مارتن وبقية أثرياء الحرب الذين يتفوّقون على إيباك عندما يتعلّق الأمر بتمويل السياسيين الأمريكيين[٢٤]. خاضت إسرائيل صراعاً مستمرّاً منذ تأسيسها، خلال أربع حروب تقليدية وسبع حروب غير متكافئة أو غير تقليدية[٢٥]، وهناك حاجة في الوقت نفسه لتهدئة الفلسطينيين، مع الرأي القائل بأن الاحتلال لن تنتهي أبداً. يمكن مقارنة الاحتلال الإسرائيلي في كثير من النواحي بـ "الحرب على الإرهاب": هل يعتقد أحدٌ حقاً أنها حرب منتصرة؟

عندما يتعلّق الأمر بتهدئة الفلسطينيين، فهو، أيضاً، أرضية مثالية لتجارب الأسلحة – وهو ما وصفه هالبر بـ "مختبر" الفلسطينيين. على

سبيل المثال، يُروّج لصناعة الأسلحة الإسرائيلية بأنها مختبرة في "بيئات واقعية"، وهو أمرٌ على قدر بالغ من الأهمّيّة بالنسبة لمنتجي الأسلحة الأمريكية، كما أنه، أيضاً، مختبر للأسلحة والمعدّات الأميركية. على سبيل المثال، خلال عملية الجرف الصامد استخدم جيش الدفاع الإسرائيلي، واختبر بندقية قنّاصة من نوع HTR ٢٠٠٠، إتش آر ٢٠٠٠، التي تُنتجها شركة إتش إس بريسيجن (H-S Precision) في الولايات المتحدة[٢٦]. كما صرّح وزير الدفاع الإسرائيلي السابق بنيامين بن اليعازر أن "الناس يحبّون شراء الأشياء التي تمّ اختبارها. فالأسلحة التي تبيعها إسرائيل مُجرَّبة، وتمّ اختبارها. يمكننا القول إننا استخدمنا هذا السلاح ١٠ سنوات أو ١٥ سنة"[٢٧].

من ناحية أخرى، يمكن النَّظَر إلى هذا الأمر من جهة مقابلة، وخاصة فيما يتعلّق بالقدرات السيبرانية لحماس والجماعات الفلسطينية الأخرى في غزّة. هناك صراع مستمرّ بين الدول العربية لتحقيق الهيمنة الإقليمية، وعلى وجه الخصوص بين دول الخليج نفسها وضدّ إيران، وتُعدّ غزّة، أيضاً، مختبراً لمنتجاتها. وفقاً لأفيعاد دادون من شركة آدور غروب الإسرائيلية للأمن السيبراني، استثمرت قطر الملايين في القدرات الدفاعية والهجومية السيبرانية المستخدَمَة في غزّة. ليس ذلك فحسب، فوفقاً للمصدر نفسه، درّبوا، أيضاً، عدداً من أعضاء حماس على كيفية استخدام المعدّات "المتطوّرة" مثل أنظمة الكاميرات الحديثة في نظام الأنفاق لدى حماس[٢٨].

قال هنري كيسنجر مرّة إنه ليس لأمريكا أصدقاء أو أعداء دائمون، بل لديها مصالح دائمة، والتعاون بين قطر وحماس ليس مختلفاً في الواقع[٢٩]. بما أن قطر ترى المملكة العربية السعودية باعتبارها تهديداً، فإنها تستخدم

غزّة لإثبات ضمان أن استثماراتها في السيبرانية البنية التحتية قد أتت أكلها: "يتعلّمون الدروس من أداء المعدّات الإلكترونية، وسوف يقومون بتحسينها للحرب القادمة، والتي ستكون في المجال السيبراني أكثر من الآن"[٣٠].

يُضاف الادّعاء بأن قطر تمُوِّل حماس إلى مزاعم تقديم المال والمعدّات من دول أخرى، من بينها إيران وتركيا والسعودية. بالتالي، من المنطقي الاعتقاد أن الجهاد الإسلامي وحماس تلقّيا دعماً حكومياً لتطوير قدراتهما في القرصنة، كما أنهما حصلا على دعم من الدول نفسها في مجالات تكنولوجية أخرى.

مع ذلك، حتّى الآن لم أذكرْ في هذا الكتاب فريق القراصنة الفلسطينيين أو وحدة الحرب الإلكترونية في الضّفّة الغربية. لماذا؟ وما خصوصية غزّة عندما يتعلّق الأمر بالجهاد الإلكتروني؟

لماذا غزّة؟

مع أسماء مثل هاكر غزّة فريق، أو مع التسريبات الأخيرة بأن أعضاء فريق KDMS كي دي إم إس، كما سنرى في هذا الكتاب، هم من سكّان قطاع غزّة[٣١]، يشير كل شيء أن غالبية فِرَق القراصنة الفلسطينية، وقراصنة حماس، والجهاد الإسلامي، يعيشون ويعملون في قطاع غزّة، في حين لا توجد فِرَق معروفة في الضّفّة الغربية. أكّد هذا النقص في فِرَق القراصنة أو العمليات من الضّفّة الغربية السيد ليون الذي صرّح بأنه "لا توجد فِرَق في الضّفّة الغربية" وأن الفريق الوحيد الذي كان هناك هو فريق "غضب فلسطين"، الذي انسحب أعضاؤه لمتابعة حياتهم الاجتماعية[٣٢].

كيف، إذنْ، تنتشر فِرَق وعمليات القرصنة في غزّة، في حين لا توجد فِرَق معروفة أو فعّالة في الضّفّة الغربية؟ قد يكمن التفسير في حقيقة أن الوَضْع في الضّفّة الغربية وقطاع غزّة مختلف تماماً. ليس فقط من حيث ظروف المعيشة والعمل والتعليم، ولكنْ، أيضاً، وبشكل رئيس، من حيث الاختلاف النوع لوسائل السيطرة المستخدَمَة من قِبَل الإسرائيليين.

يقبع قطاع غزّة تحت الحصار، مع رقابة صارمة على السلع الخارجة والداخلة، وطائرات بدون طيّار وتفجيرات كثيرة. أكد السيد ليون أن هناك عديداً من الصعوبات - وخاصة خلال عملية الجرف الصامد صيف عام ٢٠١٤، عندما انطلق هاشتاغ #OpSaveGaza ، #أنقذوا_غزّة، مثل انقطاع التيار الكهربائي، وانقطاع أو تباطؤ الإنترنت، وأجهزة الكمبيوتر والمعدات التالفة أو التي عفا عليها الزمن، بالإضافة إلى قصف عديد من منازل الأعضاء. أدّت هذه الأمور إلى اعتراف السيد ليون بأن "هجماتنا كانت ضعيفة حقاً هذا الصيف"[٢٢]. يمكن أن نفترض بسهولة أن قطاع غزّة سيكون أقلّ الأمكنة تأهيلاً لمواصلة النضال البرمجي أو المقاومة الإلكترونية، على عكس الوضع في الضّفّة الغربية، حيث مستوى التّوتّر مرتفع، ولكنْ، هناك فرص أفضل للوصول إلى اتّصال إنترنت وكهرباء أكثر استقراراً. من ناحية أخرى، هنالك أحد العوامل الهامّة التي قد تكون حاسمة: لا يوجد جنود إسرائيليون على الأرض في غزّة، كي يقوموا بإجراء مداهمات واعتقالات - باستثناء فترات غير عادية في أثناء التصعيد. قد تكون السيطرة المفروضة على الحركة في الضّفّة الغربية أقلّ - إلى درجة معينة، وهذا يتوقّف على التركيز - ولكنْ، أيضاً، تعاني الضّفّة أكثر من الاعتقالات اليومية والمداهمات ليلاً في القرى الفلسطينية، وهدم المنازل الفلسطينية. بالإضافة إلى ذلك، على المرء أن يأخذ المراقبة المستمرّة

لهواتف وأجهزة الكمبيوتر للفلسطينيين بعين الاعتبار، حيث يمكن استخدام معظم جوانب حياتك ضدك:

> *"في شهادات ومقابلات مع وسائل الإعلام، بيّنت وحدة المحاربين القدامى العسكرية الإسرائيلية (الوحدة ٨٢٠٠) أنه تمّ جَمْع بيانات عن توجّهات الفلسطينيين الجنسية والخيانات والمشاكل المالية والظروف العائلية والطّبّيّة ومسائل خاصة أخرى، يمكن استخدامها للضغط على الفلسطينيين، كي يصبحوا متعاونين أو لخَلْق انقسامات في المجتمع."*[٣٤]

نتيجة لهذا الأمر، قد يفرض الفلسطينيون لا إرادياً قيوداً ذاتية في مجال المقاومة، بالإضافة إلى العواقب التي قد يتعرّضون لها جرّاء أفعالهم.

هكذا، فإن فرص النضال البرمجي قد تكون أقلّ، على عكس الوَضْع في قطاع غزّة، حيث - رغم الحصار - قد يشعر السكّان أنهم في مأمن من اقتحام الجنود الإسرائيليين لأبوابهم.

أكّد هذه الفرضية الممثّل الرئيس لحركة الجهاد الإسلامي الفلسطينية في الضّفّة الغربية كما أنه أكّد - بشكل مستقلّ من مصادر أخرى - عدم وجود قراصنة فلسطينيين خارج غزّة. علاوة على ذلك، أوضح الممثّل أن التنمية غير المتوازنة نتيجة لما وصفه بالاحتلال "مباشر" للضّفّة الغربية، وبالتالي ضمناً "الاحتلال غير المباشر" لقطاع غزّة، وهو ما كان أكثر ملاءمة لمتابعة المقاومة الإلكترونية خاصة فيما يتعلّق بالسيطرة الإسرائيلية على

البنية التحتية مثل خطوط الهاتف ومزوّدي خدمات الإنترنت وشركات الإنترنت. علاوة على ذلك، أشار إلى عامل حاسم آخر: دور تعاون السلطة الفلسطينية مع الإسرائيليين حول القضايا الأمنية، حيث يُسجَنُ مَنْ يخالف التعليمات، ويُسلَّمون إلى الجيش الإسرائيلي، أو أسوأ من ذلك، قد يتعرّضون للتعذيب أو للقَتْل. عَدّ ممثّلو حماس وحملة أوقفوا الجدار - إلى حد ما – أن السلطة الفلسطينية تشكّل تهديداً أكبر للمقاومة من القوات الإسرائيلية نفسها. صرّح ممثّل الجهاد الإسلامي بما يلي:

"أدت هذه الاعتبارات الثلاثة إلى حالة عدم وجود قراصنة بالشكل المطلوب في الضّفّة الغربية. هناك فقط متصفّحيو إنترنت، ولكنْ، ليسوا مختصّين في هذا المجال. مع ذلك، ظهرت هناك بعض الأسماء التي لها دور، ولكنها ليست مُنظّمة، وتعمل بشكل فردي عندما تهاجم الشبكات والمواقع الإسرائيلية. في الواقع، كنتُ في السجن مع واحد منهم." [٢٥]

لا يجب النَّظَر فقط إلى التعاون الأمني بين السلطة الفلسطينية وقوات الاحتلال، فحكومة حماس ببساطة لا وجود لها عندما يتعلّق الأمر بمكافحة الجريمة الإلكترونية. يوفّر هذا الغياب للمقاومة الإلكترونية ذات الدوافع السياسية، بالإضافة إلى جرائم الإنترنت الفلسطينية. على سبيل المثال وفي أثناء الحصار المفروض على غزّة والعزلة الناجمة عن ذلك، اخترق مبرمجٌ فلسطينيٌّ شبكة الهاتف للاتصال بعائلته خارج فلسطين مجاناً[٢٦]. وهو ما كان يحدث في الولايات المتحدة أواخر خمسينيات القرن الماضي في إعادة تدوير الاتّصالات الهاتفية لإجراء مكالمات مجانية. كان أحدهم ستيف جوبز.

الوضع في غزّة سخيف جداً (لعدم وجود كلمة أفضل). حوكم طالب فلسطيني في الجزائر لانخراطه في القرصنة من قِبَل السلطات الجزائرية. عاد إلى منزله في مدينة رفح، وشعر أخيراً بالأمان، لأن القانون الفلسطيني الذي يعود تاريخه إلى عام ١٩٣٦، لم يتطرّق إلى التكنولوجيا[٣٧].

مع ذلك، لا ينبغي لنا وصف الوضع القضائي في غزّة أنه نتيجة لـ "تخلّف العرب"، فالحكومة الفلبينية مثلاً وجدت نفسها في الوضع نفسه عام ٢٠٠٠ فيما يتعلّق بالبرمجية الخبيثة ILOVEYOU "أحبك" التي تسبّبت بأضرار[٣٨]، تُقدّر بأكثر من ١٥ مليار دولار. لم يكن هناك قوانين في الفلبين ضدّ البرمجيات الخبيثة في ذلك الوقت، حتّى إنه قد أُطلق سراح المسؤولين عنها ريونيل رامونس وأونيل دي غوزمان، وأُسقِطت كلّ التُّهم عنهما.

لا تُعدّ مجموعَتَي القراصنة الفلسطينيين ذوي الدوافع السياسية ومجرمي الإنترنت في غزّة مختلفتين بالضرورة، بل يبدو أنهما متداخلتان. قال إسلام شهوان، المتحدّث باسم وزارة الداخلية في غزّة، بخصوص جرائم الإنترنت: "القراصنة الفلسطينيين الذين يقومون بتزوير بطاقات الائتمان، ويفعلون أموراً أخرى غير مشروعة، لهم سُمعة جيدة في قطاع غزّة، لأنهم لا يستخدمون علْمهم لإثراء أنفسهم فقط، ولكنْ، يعملون، أيضاً، ضدّ الاحتلال الإسرائيلي، بالتالي هم جزء من المقاومة"[٣٩].

يجسّد قراصنة غزّة أطروحة إريك هوبسباوم عن "قطّاع الطُّرُق الاجتماعيين"، فهم يسرقون وينهبون، ثمّ يُقدّمون من قِبَل عامّة الناس كأبطال وجزء من المقاومة.[٤٠] هل يمكن اعتبار قراصنة غزّة النسخة الفلسطينية عن الثوري المكسيكي بانشو فيلا، أو الخارج عن القانون الهنغاري ساندور روجا؟

يبدو أن غزّة أصبحت ملاذاً للقراصنة، ولكنْ، تمّ اتّخاذ تدابير، كما ذكر قراصنة فلسطينيون في غزّة أن هناك مخاطر من التّعرّض للاعتقال من قِبَل حكومة حماس. ليس بسبب القرصنة نفسها، ولكنْ، لتعرّضهم للشبهة عند اختراق موقع على شبكة الإنترنت تابع للحكومة. نفت حماس هذه المزاعم، وقالت إنها تؤيّد عمليات النضال الإلكتروني الفلسطيني ضدّ إسرائيل[٤١].

قدّم فريق هاكر غزّة تفسيراً هاماً عندما سُئِلوا عن قضية النضال البرمجي (أو بالأحرى عدم وجوده) في الضّفّة الغربية: "نحن نساعد عموماً جميع القراصنة العرب، من خلال دروس ودورات لتطوير مهارات القرصنة، وتطوير أساليب جديدة"[٤٢]. رغم أننا لا نستطيع الجزم، إلا أننا رأينا أن عدم وجود نضال إليكتروني فلسطيني في الضّفّة الغربية هو ما أدّى إلى إبقاء الحال هناك كذلك. من ناحية أخرى، أدّى وجود قراصنة فلسطينيين في قطاع غزّة إلى تطوّر هذه الظاهرة، ونشوء عديد من الفِرَق المستقلّة والفعّالة.

قال طالبٌ تخرّج في الجامعة الإسلامية في غزّة في مقابلة مع المونيتور:

> *"لم أعدْ أرغب بالعمل مباشرة في خلايا القرصنة ... أنا أفضّل العملَ على تطوير البرامج التي تُسهِّل عملية القرصنة، ثمّ بَيْعها للقراصنة في غزّة. أسعار برمجيات القرصنة تختلف حسب العميل، وهذا يتوقّف على قدرته على الدَّفْع فضلاً عن طبيعة البرمجيات."* [٤٣]

هذا يُعزّز فرضية أن عديداً من قراصنة غزّة غير محترفين. من الضروري

أن أُعلّق على قضية أمان قطاع غزّة، باعتباره ملاذاً للقراصنة الفلسطينيين. قد يكون قطاع غزّة "مصيدة"[٤٤] مُحتَمَلَة. يعني هذا أنه قد يكون هناك قراصنة يقيمون في غزّة، ولكنهم ليسوا بالضرورة مَنْ يقوم بالعمل. هذه المصيدة قد تُثير انتباهَ التهديدات المُحتَمَلَة، مثل القراصنة الإسرائيليين أو أجهزة المخابرات، بعيداً عن القراصنة "الحقيقيين". رغم أنه لا يمكن استبعاد هذا الاحتمال إلا بشكل ضعيف، مع تأكيد جميع المصادر، بمَنْ فيهم قراصنة حماس والجهاد الإسلامي - المستقلّين عن بعضهم البعض - أن قطاع غزّة هو المكان.

كما هو الحال مع استخدام برمجيات "إكستريم رات" الخبيثة التي انتشرت فيه شبكة كمبيوتر الشرطة الإسرائيلية، خلص باحثون نرويجيون إلى أن "المهاجمين استخدموا اسم المجال لمقدّمي الخدمات لتحويل عناوين الإنترنت عن شبكات تحت سيطرتهم، وإلى أن هذا هذه العناوين تنتهي في شبكات في غزّة مخصّصة لاستضافة مزوّد خدمات إنترنت في رام الله بالضّفّة الغربية"[٤٥].

تدعم حماس والجهاد الإسلامي الجهادَ الإلكتروني، وأدرجت هاتان الحركان السياسيتان وحدةً للقراصنة والتكنولوجيا في الألوية المُسلّحة. يستند هذا الدَّعْم إلى فكرة أن أيّ نوع من المقاومة هامّ ومرغوب فيه، طالما أنه يؤذي الاحتلال. مع ذلك، رأينا أن استخدامهم للتكنولوجيا لا يعني، بالضرورة، أنه يجب استخدامها لأغراض هجومية، كما أنه يمكن استخدامها بالقدر نفسه لدعم الجنود في ساحة المعركة، من خلال تشفير البنية التحتية والتشويش على وسائل الاتصال للإسرائيليين.

رغم أنه ليس لدينا تفسير واضح عن سبب ظهور هذه الوحدات، بسبب

تداخل عوامل مختلفة على الأرجح، إلا أننا نعرف من خلال المقابلات أنها ظهرت، بشكل جزئي، لمواكبة التّطوّر التكنولوجي لدى الإسرائيليين. علاوة على ذلك، أُنشِئَتْ الوحدات الإلكترونية في حماس والجهاد الإسلامي بمساعدة حكومية من دول عربية.

٨

هل المادّة هامّة حقاً؟

التناقض الفلسطيني حول الجهاد الإلكتروني

يُعدّ النضالُ البرمجيُّ الفلسطينيُّ جزءاً من تحالف أكبر من الجماعات والاستراتيجيات والأهداف التي تُشكِّل المقاومة الفلسطينية. قدمتْ أجزاء مختلفة من بيئة القراصنة الفلسطينيين، ويبدو أنه هناك دَعْماً مطلقاً لهذه الظاهرة، كما لو كان النضال البرمجيّ، أو الجهاد الإلكترونيّ، ليس إيجابياً، بحدّ ذاته فقط، بل كوسيلة ناجعة للتغيير.

لا بد من الإشارة إلى أن النضال البرمجي قد يُعدّ اختراقاً في المجال السياسي الفلسطيني، لكن هذا لا يعني أنه اخترق جوانب المجتمع كله. على العكس من ذلك، هناك عديد من الأطراف التي لم تتّخذ موقفاً واضحاً من هذه المسألة، لأنها قد لا تكون لهم حاجة إلى ذلك، أو ليس لهم علاقة به ببساطة.

أظهرت مقابلاتي مع ناشط من كتائب شهداء الأقصى وسياسي من الجبهة الشعبية في المجلس التشريعي الفلسطيني، أنهم لا يكترثون بالنضال البرمجي الفلسطيني وحسب، بل ربّما يعارضونه إلى حدّ ما.

هذا لا يعني أن المُسلّحين والسياسيين من الجبهة الشعبية ممثّلون

عن فصيل مُسلّح أو حزبهم. يوضّح هذا الفَصْل أنهم لا يمثّلون بعض وجهات النَّظَر لدى الفلسطينيين، ويجب تقديم ذلك من أجل التوضيح أن النضال البرمجي الفلسطيني لا يدعمه الفلسطينيون كلهم. على العكس من ذلك، هناك بعض الفلسطينيين الذين يعدّون ذلك تهديداً لصورة المقاومة الفلسطينية.

النضال البرمجي والمقاومة العلمانية:
"ما هي إلا دفعة معنوية"

كنتُ أجلس في مكتب بأحد مخيّمات اللاجئين في الضّفّة الغربية، والتقيتُ مقاتلاً فلسطينياً من كتائب شهداء الأقصى، أُطلق سراحه عام ٢٠١٠ من سجن إسرائيلي بعد أن قضى ستّ سنوات بتهمة صُنع قنابل، ولكنْ، في الغالب، لأنه عضو في لواء[١].

خلال المقابلة وفي فترة فشل المفاوضات بين السلطة الفلسطينية وإسرائيل، أكّد الناشط على أهمّيّة المقاومة التي تظهر أنها حضارية، وتتصرّف بـ "الطريق الصحيحة". أكثر التحديات أهمّيّة بالنسبة للمقاومة اليوم هو كيفية تصوير وسائل الإعلام لها اليوم، فقد تعلّموا الدَّرْسَ من خبرتهم في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي، وفقاً له.

في أثناء شرحه وجهة نَظَره في النضال البرمجي، كان من الواضح تماماً أن الهجمات النضال البرمجي الفلسطيني لا تُناسب صورته للمقاومة السليمة. قال:

"مع كل الاحترام الواجب، يحاول القراصنة اختراق

المواقع الإسرائيلية مثلما تحاول جماعات دولية اختراق مواقع دولة محترمة مسالمة. أنا لا أدعم هذا الأسلوب. أو بالأحرى ... نحن لا نؤيّد هذه الطريقة، لأنها تجلب سمعة سيّئة لمقاومتنا. نريد حضارة مسالمة"(٢).

أتبَعَ حديثه بفكرة أن القراصنة دفعوا "الأمريكيين وبقية العالم للنَّظَر إلينا جميعاً كإرهابيين"(٣).

علاوة على ذلك، أضاف أنه حتّى لو اندرجت أنشطة القراصنة في سرد المقاومة السِّلْمِيّة، فليس لديها أيّ أهمّيّة باستثناء تقديم دفعة معنوية للشعب الفلسطيني، لأنه ليس لديها القدرة على تغيير القرارات السياسية الإسرائيلية على الأرض:

"عندما تكتب وسائل الإعلام الإسرائيلية عمّا كُتب في هجمات القرصنة، [على الموقع المخترق] وما حدث، فذلك يُشكّل دفعة معنوية فقط. لن تجدَ أيّ معلومات حقيقية، من شأنها تعزيز المقاومة أو فائدتها"(٤).

رغم أنه ربط المقاومة الإلكترونية بضرورة جَمْع المعلومات من داخل إسرائيل، قال إنه يفضّل استخدام مصادر أخرى كمُخبرين. بالإضافة إلى ذلك، لمّح أنهم كانوا يتنصّتون على الكنيست الإسرائيلي، وأنهم حصلوا على معلومات مسبقة حول عملية عسكرية في قرية عين عريك، خارج رام الله، خلال الانتفاضة الثانية. مع ذلك، أودّ أن أشير إلى أن ادّعاءه بعيد الاحتمال، خصوصاً فيما يتعلّق بالقدرات المعروفة لكتائب شهداء الأقصى.

رغم أنه ذكر أنه واللواء لم يرفضوا الكفاح المُسلّح، وأكّد أكثر من مرّة

على أهمّيّة القرارات السياسية داخل الحزب (حركة فَتْح)، لكنه عَدّ أن أهمّ أداة للمقاومة كانت مقاطعة المنتجات الإسرائيلية.

قارنَ القراصنة مع حركة المقاطعة الدولية: "نشكر الغرب والأجانب الذين يقاطعون المنتجات الإسرائيلية، وهي وسيلة أفضل من القرصنة"[٥].

قدّمت عضو الجبهة الشعبية والمجلس التشريعي الفلسطيني التي قابلتُها وجهاتِ نَظَر كتائب شهداء الأقصى. رفضت التفاوض كأداة للتحرير، ولكنها ذكرت أن المقاومة كانت متعدّدة الأوجه، وتتألّف من وسائل مختلفة، مثل عناصر كتائب شهداء الأقصى، رغم أنها ليست ضدّ النضال البرمجي، إلا أنها رفضت عَدّه جزءاً رئيساً من المقاومة. فصلت بوضوح بين المجال الماديّ والرَّقْمي:

> *" أوّلاً، وقبل كل شيء، المجال الرَّقْمي هو عالم رَقْمي، ومن الهامّ أن نعرف ذلك. ثانياً، هناك التّطوّر التكنولوجي في العالم، وبالتالي، يُطوّر أنصار الشعب الفلسطيني أدواتهم، ليُظهروا للعالم ما يقوم به الاحتلال. إنها ظاهرة جديدة، ولكنها لا يمكن أن تحلّ محلّ الوضع على الأرض"*[٦].

أثبت هذا الفَصْلُ أنه حاسم في بناء طريقتها لتحليل احتياجات وتأثير المقاومة الإلكترونية وفِرَق النضال الإلكتروني، وليس فقط للمقاومة بشكل عامّ، ولكنْ، في المكاسب التي يمكن تحقيقها باستخدامها من الناحية النَّظَرية. من الهامّ ملاحظة أنها كانت أكثر إيجابية تجاه الظاهرة من مقاتلي كتائب شهداء الأقصى". عندما سُئلَتْ عمّا إذا كانت تعتقد

أن النضال البرمجي أداة جيدة، أجابت بشكل إيجابي. مع ذلك، كما يظهر في الاقتباس أعلاه، فإن المسألة لم تكنْ بالنسبة لها موضوع حديث عن الإيجابية أو السلبية، بل واحدة من الأولويات. في حين أن الصراع على الأرض - التي وصفته بأنه "حقيقي" - هو الأداة المفضّلة للتغيير، تقتصر المقاومة الإلكترونية على كونها "نهجاً" من بين عدّة.

بما أن المقاومة الإلكترونية، بالنسبة لها،، كانت رَقْمية، فإنها لا يمكن أن تعكس ما يحدث على أرض الواقع، وبالتالي فإنه لا يمكن أن تكون حقيقية، أو بديلاً عن المظاهرات والمقاطعة والكفاح المُسلّح، على سبيل المثال لا الحصر. بما أن الاحتلال له وجود فعلي من خلال نقاط التفتيش والجدران وقوات الاحتلال، فعلى المقاومة بالضرورة أن تعبّر عن نفسها مادياً.

شاركَهَا الرأيَ مُسلَّحٌ من كتائب الأقصى، شكّكَ في "تحقيق مكاسب حقيقية" للمقاومة الإلكترونية:

"العالم الرَّقْمي لن يُقدِّم لنا أيّ شيء على أرض الواقع. لا فائدة من الولوج إلى شبكة الإنترنت، واختراق موقع القناة العبرية الثانية، والقول إن كتائب الأقصى تُرحِّب بكم. بطبيعة الحال، هذا لا يفيدنا على الأرض. نريد العمل على أرض الواقع، لنُجبر الإسرائيليين على الرحيل من أرضنا"[٧].

رغم أن عضو الجبهة الشعبية تعتقد أن هجوم القراصنة على أجهزة الكمبيوتر الإسرائيلية شيء جيد، إلا أنها رفضت الفكرة القائلة بأن القرصنة الإلكترونية للبنية التحتية الإسرائيلية أدّت إلى خسائر كبيرة للاحتلال، قائلة: "حسناً، إنها وسيلة لإزعاج الاحتلال"[٨].

سأناقش هذا الجانب المادّيّ أبعد من ذلك عندما يتمّ تقييم النزاع الأيديولوجي بين الأحزاب العلمانية والإسلامية في هذا الفصل. في الوقت الراهن، تجدر الإشارة إلى أن جزءاً من المقاومة العلمانية التي أجريتُ مقابلات معهم، كان لديهم وجهة نَظَر مختلفة في تعاملهم مع هذه الظاهرة. عَدّوها غير هامّة، بالمقارنة مع المقاومة الموجودة بالفعل على أرض الواقع (الجبهة الشعبية)، أو باعتبارها تهديداً محتملاً لصورة النضال كمقاومة مشروعة (كتائب شهداء الأقصى).

تدعم الأحزاب الإسلامية مثل حماس والجهاد الإسلامي المقاومة الإلكترونية، ولديها ألوية إلكترونية متكاملة في وحداتهم العسكرية مثل "كتائب الشهيد عزّ الدِّين القسّام" ولواء القدس.

علاوة على ذلك، هناك عديد من فِرَق النضال البرمجي مثل فريق هاكر غزّة. من ناحية أخرى، تُعارضها الأحزاب العلمانية مثل الجبهة الشعبية وفتح/كتائب شهداء الأقصى، أو ترى أنها غير هامّة للنضال. يمكن النَّظَر لهذا الأمر على أنها انقسام بين الأحزاب العلمانية والدِّينية، ومع ذلك، هو تناقض جوهري في المقاومة الفلسطينية يعود إلى أواخر ثمانينيات القرن الماضي، مع ظهور حماس واتّفاق أوسلو. بالإضافة إلى ذلك، هو مسألة "الواقع" وتصوّر المادية.

الجانب المادي: العلمانية مقابل الدِّين

كانت مسألة المادية - أي الانقسام بين العالم الافتراضي والجسدي - واضحة، ليس فقط داخل الجماعات العلمانية، ولكنْ، أيضاً، لدرجة معينة داخل حماس، فمن الضروري التأكيد على أن هذا النقاش ليس جديداً

بشكل خاص. السؤال الرئيس هو: هل يمكن اعتبار الكيانات المادية التي يمكن لمسها أو رؤيتها فقط "حقيقية"؟

كيف يمكننا على سبيل المثال وصف ماهية "ميغا بايت" في الواقع، أو كيف تبدو؟ ليس مادياً بالتأكيد، ولكنْ، في الوقت نفسه، هل يُعدّ حقيقياً؟ لفَهْم هذه المسألة، من الضروري شرح المادية ورسوخ الضرورة المادية في طريقة تفكيرنا، كوسيلة لتنظيم الحياة اليومية، وكيف يمكننا تصوّر وتفسير ذلك. وصف العلماء عبر التاريخ التنظيم المادي للإنتاج، وكيفية إدخال وسائل جديدة للإنتاج (تغييرات في الأُساس المجتمعي) لا تُغيِّر طريقة الإنتاج فحسب، بل ديناميات وعلاقات القوّة في مكان العمل، أيضاً، على سبيل المثال.

لو بحثنا عن مفردة "شيء" في قاموس كامبردج، نجد تعريفاً ضيّقاً للمصطلح كشيء ملموس: "شيء يمكنك رؤيته أو لمسه، ولكنْ، لا يُعدّ، عادة، حيواناً حياً، أو نباتاً، أو شخصاً: شيء مادي صلب"[٩]. مع ذلك، يُعدّ النقاش في مسألة المادية أكثر تعقيداً.

قدّم بول ليوناردي مثالاً من خلال تقييم المادية الافتراضية، يشير إلى أن المسألة المادية للأشياء لا تعرف بالضرورة المادية نفسها، وإنما من خلال ما تستطيع إنجازه، وقدّم أمثلة عن علماء لا يستخدمون مفردة "المادية"، ولكن الصفة منها "مادي"، واصفين الأشياء غير الملموسة مثل "البرمجيات". استخدم واندا أورليكوسكي على سبيل المثال "مادي" لوصف تحديثات برامج المجاميع عندما تجسّد التكنولوجيا خصائصَ رمزيةً وماديةً معيّنة. علاوة على ذلك، والأكثر أهمّيّة هو أن جميع هذه البرنامج التي يشير ليها ليوناردي بصفة "مادي" لها خصائص تكنولوجية قادرة على

إجراء المعاملات المالية، والمكالمات الهاتفية الافتراضية، وقراءة الصحف، أي أن: "بتعبير آخر، الاتصال بشيء مادي يؤكد على قابليته للتحقق، وهو ما يجعل الناس قادرين على تحقيق أهدافهم"(١٠).

لا تُعدّ المادية بالضرورة ثنائية بين الملموس وغير الملموس، بل بالأحرى شيء، يمكن تعريفه اعتماداً على استخدام الكائن. أداء هذا الكائن في الوقت نفسه لا يقتصر على غير المادي مثل البرمجيات (حاولْ لمسَ بريدٍ إلكترونيٍّ، إذا استطعتَ)، ولكنْ، يمكن تفسيره من خلال ما وصفه ماركس بأنه ضرورة قيمة الاستخدام. مادة الطاولة أو المطرقة ليست ذات أهمّيّة قبل استخدامها داخل سياق العمل الإنساني. يطرح ليوناردي هذه الفكرة أيضاً، فيقول مسألة المادية الرَّقْمية:

> *مناقشة إمكانيات الفعل تدفعنا للتساؤل عمّا إذا كان للمسألة المادية أهمّيّة حقاً. إن كان ما يهمّ بخصوص المسألة "المادية" هي الطريقة التي ينظر بها إليها واستخدامها مقابل مادتها الأصلية. كما أن استخدام صفة "مادي" للدلالة على أن الجسم لديه مادة، يبدو غير هام نسبياً لشرح الخطوط العريضة للتفاعل الاجتماعي .... وهكذا، عندما يصف هؤلاء الباحثين التُّحفَ الرَّقْمية بأنها "مادة"، لها خصائص أو جوانب أو ميزات، يمكننا القول بكل ثقة أن ما يجعل منها "مادياً" هو أنها تُوفّر القدرات التي تفيد أو تقيّد العمل(١١).*

يمكن الكتابة عن هذا الموضوع كثيراً، ولكن الفكرة هي تسليط الضوء على مفهوم المادية، وما إذا كان يُفسَّر وفقاً للتعريف الواسع أو الضّيّق

للمصطلح. وهو ما يُتيحُ لنا شرح وجهات النَّظَر المتضاربة للجبهة الشعبية والأحزاب الإسلامية بشأن المقاومة الإلكترونية والنضال البرمجي.

يظهر الاحتلال إلى حدّ كبير أنه في حدّ ذاته عائقاً مادياً، مع سيطرة الإسرائيليين على السّكّان الفلسطينيين، من خلال مجموعة متنوّعة من الأدوات، مثل الحواجز العسكرية والجدران والمعسكرات والجنود على الأرض في أنحاء الضّفّة الغربية جميعها، والحصار المادي لقطاع غزّة. تطوّرت العلاقة الجدلية بين شكل الاحتلال المادي ومقاومته، وتفاعلت. كانت المقاومة تاريخياً مادية إلى حدّ كبير: التخريب والإضرابات العمّالية والمظاهرات والحملات العسكرية. استهدفَ بعضها الاحتلال بشكل عام، والبعض الآخر على المدى القصير والتكتيكي، مثل تظاهرات الجمعة التي غالبا ما تقتصر على قضية الجدار.

يبدو أن ذلك شكّل فكرة الجبهة الشعبية للمقاومة "الحقيقية". لا يُعدّ النضال البرمجي والنشاط على الإنترنت واستخدام عالم التكنولوجيا الرَّقْمية سيّئاً في الأساس، ولكنه منفصل عن العالم الحقيقي، بحسب ممثّلة الجبهة الشعبية: "العالم الرَّقْمي رَقْمي، ومن الهام أن نعرف ذلك. تدخل المقاومة الإلكترونية في إطار العالم الرَّقْمي، وذلك من خلال جهاز الكمبيوتر، وليس على أرض الواقع"(١٢).

ميّزت الممثّلة بوضوح بين مادية" العالم الحقيقي ولامادية "العالم الرَّقْمي".

بما أن الاحتلال يتجسّد في العقبات والإجراءات المادية، يجب أن تكون المقاومة بالطريقة نفسها.

من ناحية أخرى، تَعدّ الأحزابُ الإسلاميةُ أن المقاومةَ الإلكترونيةَ مفيدةٌ، مع إمكانية اختراق البنية السيبرانية التحتية الإسرائيلية. نتيجة لذلك، فإن استخدامها لاختراق الحسابات المصرفية وإغلاق المواقع الإسرائيلية، ومنع التّنصّت على المكالمات الهاتفية والتجسّس ونشر القضية الفلسطينية إلى بقية العالم يزيل الحدود بين الملموس وغير الملموس، ويصبح مادياً رغم عدم ماديته.

يمكن الإضافة بشأن فكرة الواقعية والمادية، وما هو حقيقي أن ممثّلة الجبهة الشعبية لا تعدّ القراصنةَ كائناتٍ نشطةً، بل معزولةً ومحصورةً داخل حدود جغرافية، وفي هذه الحالة تكون غرفة القرصان أو منزله، أيْ ليس في الشوارع. العقبة المادية الممثّلة بجدران المنزل هي الشيء الذي لا يستطيع القراصنة تجاوزه، من أجل التأثير على العالم المادي، حيث تدور رحى الصراع "الحقيقي". بالتالي، يُعدّ القرصان كائناً مفرداً ومعزولاً، فرداً معزولاً تماماً، ويخضع فقط لقوانينه الخاصة. ليس للقراصنة كينونة مادية، أو طابع مكاني، أو قدرة على تجاوز الحدود بين العوالم الرَّقْمية والمادية أبداً. كيف تقاوم؟ هذه هي المسألة.

لا يقتصر موضوع دَعْم النضال البرمجي والمقاومة الإلكترونية على أهمّيّة عالم التكنولوجيا الرَّقْمية. وهو أمر يجب وضعه في سياق زمني، تعمل فيه المجموعات المختلفة في المقاومة الفلسطينية.

كما لاحظت في وقت سابق بشأن تطوير واستخدام التكنولوجيا الرَّقْمية في المقاومة الفلسطينية، فهي تواجه نقطة تحوّل في فترة مفاوضات فاشلة، وتعاوُن أمني الذي بين السلطة الفلسطينية وإسرائيل لا يَحظى بشعبية عالية، ودبلوماسية دولية للاعتراف بفلسطين كدولة، على سبيل

المثال لا الحصر. خَلَقَ هذا، بالطبع، انقساماً بين الأحزاب السياسية والجماعات التي تدعم المقاومة غير العنيفة والمفاوضات، وتلك التي لا تعترف بإسرائيل، والتي تتمسك بالمواجهة والمقاومة المُسلّحة كوسيلة لتحرير الوطن.

أشار عضو كتائب شهداء الأقصى إلى" قرارات سياسية "داخل الحركة أربع عشرة مرّة على الأقلّ، وهو ما كان لافتاً للنَّظَر. بما أن الكتائب هي الجناح المُسلّح لحركة فتح، يجب النَّظَر إليها في سياق فترة، لا تُرفض فيه المفاوضات كتكتيك، بالإضافة إلى تصريح محمود عبّاس أنه لن يكون هناك أيّ انتفاضة طالما هو الزعيم، مع إنزال كتائب شهداء الأقصى أسلحتهم في الضّفّة الغربية[١٣]. إذا كان الوضع يجب أن يتغيّر بانتفاضة عفوية، يمكن قيام قيادة فلسطينية جديدة في الضّفّة الغربية، أو قيادة ناتجة عن عملية توحيد ناجحة بين حماس وفتح، ويمكن بذلك تغيير فكرة المقاومة الإلكترونية: "لن يثني جدار الفصل العنصري أو الحواجز العسكرية التي هي هناك الآن أيّ شخص من المقاتلين عن الهجوم. ولن توقّفنا أبداً. الشيء الوحيد هو قرار سياسي فلسطيني"[١٤]. أكّد على ذلك أحد المقاتلين حين قال إنه على الجميع الرضوخ للقرارات السياسية (داخل الحركة)، وذكر في نهاية المقابلة: "إذا توصّلنا إلى قرار سياسي للحرب الإلكترونية سنفعل ذلك، إن نظروا في الحرب الإلكترونية أو الجهاد الإلكتروني[١٥].

من الواضح أن الاعتراضات على القرصنة ليست أيديولوجية بالضرورة، وإنما هي فكرة تكتيكية في إطار الوضع الحالي لحركة فتح وجناحها المُسلّح. بالنسبة لحماس والجهاد الإسلامي وغيرها من التّجمّعات التي رفضتْ اتّفاق أوسلو والمفاوضات كوسيلة لتحقيق التحرير، فإن الوضع مختلف تماماً.

مع ذلك، الخطّ الفاصل ليس أيديولوجياً وحسب، بل جغرافياً أيضاً. على سبيل المثال، كتائب شهداء الأقصى ليست موحّدة عبر الحدود الجغرافية بين الضّفّة الغربية وقطاع غزّة. استمرّ الجناح المُسلّح لحركة فتح في قطاع غزّة مع العمليات المُسلّحة ضدّ إسرائيل في الوقت نفسه الذي كان نظير في الضّفّة الغربية ساكناً. أحدث مثال كان خلال التصعيد صيف عام ٢٠١٤. حاول الفيلم الوثائقي "في قلب الحصار: قوّة هاكر" أن يظهر مجموعة متنوّعة من جماعات القراصنة في قطاع غزّة. تضمّن الفيلمُ مقابلةً مع القرصان (أبو ياسر)، من كتائب شهداء الأقصى:

> *"لدينا فريق خاصّ يتابع الشؤون الإسرائيلية بما في ذلك وحدة المقاومة الإلكترونية. يحاول هذا الفريق اختراق المواقع الإسرائيلية، ويجمع المعلومات عن العدوّ، يحاول إضعاف معنويات الصهاينة، ويوجّه الرسائل.*
>
> *تهاجم المجموعة، أيضاً، مواقعَهُم، وتُغيّرها، مثل تغيير الصفحة الرئيسة، ووضع شعار فلسطين أو صورة لطفلة قُتلت على يد الجيش الإسرائيلي، وجملة: "إننا قادمون إليكم"*[١٦].

بعبارة أخرى، وجهة النَّظَر المتشدّدة لا تُشكّل، بالضرورة، وجهة نَظَر الكتائب كَكُل، وإنما تُصوِّر الوضع في الضّفّة الغربية. كتائب شهداء الأقصى ليست جبهة موحّدة، ولم تكن كذلك أبداً. الخطّ الأيديولوجي للنضال البرمجي الذي يقسم كتائب شهداء الأقصى في الضّفّة الغربية ونظيرتها في قطاع غزّة هو خطّ العودة إلى اتّفاقات أوسلو وشرعيتها.

بالتالي، لا تَنتج وجهات النَّظَر المختلفة حول تأثير وجدوى النضال

البرمجي، بسبب الانقسامات السياسية الدِّينية، ولكنْ، تعتمد بدلاً من ذلك على المواقف لصالح أو ضدّ المقاومة بشكل عامّ. هذا هو بالضبط التقسيم الذي جعل الأطراف الفلسطينية المختلفة تنمو، وتتقلّص.

على سبيل المثال، في حين أن حماس كانت موجودة منذ عدّة عقود دون أيّ نُموّ كبير، مع بداية اتفاق أوسلو وتَرْك مُنظّمة التحرير الفلسطينية المقاومة، استطاعت الحركة ملءَ هذا الفراغ. من ناحية أخرى، يؤمن حزب التحرير الإسلامي بالهدف نفسه المتمثّل في إقامة مجتمع إسلامي، ولكنْ، بدقة، من خلال ممارسة الدعوة، وبالتالي فشل في الحصول على قاعدة شعبية كبيرة[١٧].

سوف نرى أن المفاهيم المتباينة بشأن النضال البرمجي ليست قضية متعلّقة بالإسلام أو العلمانية الفلسطينية، عندما أُقيّم وجهات نَظَر مُنظّمة المقاومة الشعبية "حملة أوقفوا الجدار" التي تتألّف في معظمها من أعضاء من العلمانيين من حزب الشعب السابق، وهو الحزب الشيوعي الفلسطيني السابق. يتمّ هذا التقييم لسببَيْن: أوّلاً، لتقديم آراء بعض أجزاء من المقاومة الشعبية الفلسطينية. ثانياً، تبيان أن المُنظّمات الفلسطينية العلمانية تدعم النضال البرمجي الفلسطيني في الواقع.

النضال البرمجي والمقاومة الشعبية

تُعدّ حملة أوقفوا الجدار من أكبر المُنظّمات الشعبية العاملة على الأرض ضدّ الاحتلال الإسرائيلي، أو أكثرها نشاطاً، على الأقلّ، ومُثّلت في أنحاء الضّفّة الغربية جميعها، من قِبَل لجان مختلفة. أجريتُ مقابلةً مع المنسّق الرئيس جمال جُمعة لفَهْم نظرتهم إلى المقاومة الإلكترونية. كان الأمر مختلفاً بشكل واضح عن الجبهة الشعبية وكتائب شهداء الأقصى/فتح.

بالنسبة لجمعة والحملة، تُعدّ المقاومة الشعبية - التي تتكوّن من جميع الفصائل الشعبية مثل النقابات والأحزاب السياسية والجامعات والمُنظّمات الشعبية - هي الأداة الأكثر فعالية لإنهاء الاحتلال.

قد يبدو من خلال هذا السّرد للمقاومة أن لا دورَ للقراصنة كجزء من المقاومة المُسلّحة. مع ذلك، أيّد جمعة أعمالهم، ولكنْ، من خلال إطار مختلف:

> *"أعدّ هذا جزءاً من المقاومة الشعبية. كما هو الحال لدى الناس ... من المَدَنيين غير المُسلّحين، والذين لديهم مجالات تخصّص. لذلك هم يقومون بعملهم من وجهة نَظَرهم، وانطلاقاً من الطريقة التي يفهمون بها المقاومة. لذلك هم جزء من المقاومة الشعبية، وهم جزء من إيذاء الاحتلال"*(١٨).

شارك الرأي نفسه، مع الأطراف التي يمكن أن تُعدّ مؤيّدة للمقاومة، مشيراً إلى أن النضال البرمجي استكمالاً للمقاومة، كما شكّل القرصنة جزءاً أصغر ضمن كُلٍّ أكبر مثل حركة مقاطعة البضائع الإسرائيلية. مع ذلك، استند هذا الرأي على التعريف الضّيّق لما تنطوي عليه المقاومة المُسلّحة: أخذ في المقام الأوّل حمل السلاح ضدّ جنود إسرائيليين، والكمبيوتر وفقاً لجمعة، ليس في حدّ ذاته سلاح، وبما أن القراصنة لا يستخدمون السلاح، فهم مَدَنيون منخرطون في النضال الشعبي في سياق التكنولوجيا الرَّقْمية. بالإضافة إلى حقيقة أن النضال البرمجي لا يؤذي بدنياً.

لا يقتصر النضال البرمجي بالضرورة على كونه أداة لإيذاء الاحتلال -

اقتصادياً على سبيل المثال - ولكنْ، أيضاً من أجل نشر المعلومات وتعبئة المجتمع الدولي. بالنسبة لجمعة القرصنة أداة أساسية لكسب اهتمام بقية العالم، في حين أظهرت العمليات أن الفلسطينيين لم يكونوا شعباً متخلّفاً، لا يملك أيّ خبرة في مجال التكنولوجيا الحديثة:

> *"يحصلون على اهتمامهم [العالم الغربي] بشكل كبير، ويظهر، أيضاً، أن الفلسطينيين ليسوا بدائيين، وأنهم على مستوى عال من التعليم، ويواكبون التّطوّر العالمي، ويُطوّرون أنفسهم في المجال السيبراني، بحيث أصبح لديهم موهبة ذكية جداً، من خلال عملهم لمثل هذه الأشياء"*[١٩].

عبّر عن رأيه أن للنضال البرمجي فعالية مذهلة، وأنه ميزة، ويضيف قيمة للمقاومة الفلسطينية أو تاريخ الشعب الفلسطيني في المقاومة[٢٠].

عندما كنّا نناقش تاريخ النضال البرمجي والتجارب السابقة، مثل تعاون الحركات الشعبية مع القراصنة (كما هو الحال في سياتل عام ١٩٩٩ خلال احتجاجات ضدّ مُنظّمة التجارة العالمية عندما حاولت إلكتروهبيز Electrohippies إبطاء شبكات مؤتمر مُنظّمة التجارة العالمية، وفي الوقت نفسه تجمّع المتظاهرون في الشوارع، قال إنه يحافظ على نظرته إلى الاستقلال السياسي والتنظيمي للقراصنة، باعتباره أمراً هاماً. كمنت روعة الاختراق في عفويته وقدرته على اختراق البنية السيبرانية التحتية الإسرائيلية، من وجهة نَظَر القراصنة. لا ينبغي أن تقتصر كقوّة على الأحزاب أو المُنظّمات السياسية.

علاوة على ذلك، عند حديثنا عن دَعْم النضال البرمجي في المقاومة

التقليدية والنزاع بين الأحزاب الإسلامية والعلمانية، أعرب عن شعوره بالإحباط من المجموعة الأخيرة:

"أتعلم؟ أعتقد أن هناك ما يتعلّق بكيفية إدارة الأحزاب لنفسها ومدى إدراكها للاحتلال. يبدو أن الوضع داخل حركة فتح والأحزاب العلمانية أكثر استرخاء من الأطراف التي تتعرّض للهجوم - للهجوم الخطير"[٢١].

مع ذلك، أشار جمعة إلى أن استخدام الوسائل الإلكترونية مثل القرصنة لا يتعلّق فقط بالنزاع الأيديولوجي بين الأحزاب العلمانية والإسلامية، ولكنْ، كان نتيجة، أيضاً، للأوضاع المختلفة تماماً التي يعيشون فيها. تتعرّض الأحزاب الإسلامية كحماس والجهاد الإسلامي لمزيد من الضغوط أكثر من فتح مثلاً، لذلك كان عليهم إيجاد وسائل مختلفة من المقاومة من شأنها عدم تعريض عملياتهم للخطر.

الجزء الثالث
عندما تصمت الأسلحة

٩
استمرار الضربة المُسلّحة؟

كتبتُ عن فريق هاكر غزّة، والجهاد الإسلامي وحماس وما يفعلونه، وما الأدوات التي يقومون باستخدامها، ولماذا لا نزال بحاجة إلى مناقشة أكثر تفصيلاً حول طبيعة النضال الإلكتروني الفلسطيني، أي ما إذا كان فريق هاكر غزّة محقّاً في القول بأن النضال الإلكتروني هو استمرار للنضال المُسلّح. كي لا يُصنّف الجهاد الإلكتروني بشكل خادع، على أنه إرهاب إلكتروني، أو تخريب الإلكتروني، أو جريمة إلكترونية، أو خَلْق انقسام ثنائي، لا معنى له بين الاختراق والقرصنة الوطنية، كما فعل مايكل داهان[1] (الذي تمّ توضيحه لاحقاً في هذا الفصل)، نحتاج إلى مناقشة دوره في المقاومة الفلسطينية.

على سبيل المثال، هل فريق هاكر غزّة هو استمرار للنضال المُسلّح، كما يعلنون؟ وهل الطابع السياسي للوسائل والأفعال، والإطار الذي يعمل به فريق هاكر غزّة، نوعياً هو ذاته لدى حماس والجهاد الإسلامي؟

في الجزء الأوّل من هذا الكتاب، نُوقشت التّطوّرات والبيان والخطاب المتغيّر والوسائل المستخدمة من أجل توضيح تطوّر وسياق الجهاد الإلكتروني الفلسطيني: من الرغبة الأوّلية في هزيمة إسرائيل عسكرياً، وفي الوقت نفسه، مواجهة العنف الرمزي الذي نَتَجَ عن الصراع في البداية، عبر الانتفاضَتَيْن الأولى والثانية، إلى الوَضْع الراهن.

مع ذلك، خطفت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وغيرها من الجماعات الفلسطينية الطائرات لإظهار أن هناك قضية فلسطينية، كما أن ضرورة الحصول على الاهتمام العالمي لا تزال واضحة اليوم. ليس هناك ما يبرّر عدم حصولها على هذا الاهتمام؟ المشكلة الرئيسة، الموضّحة بمثال المقاومة غير العنيفة، تبدو كأداء مسرحي: "اللاعنف"، يقول أروندانتي روي، "هو قطعة من المسرح. تحتاج إلى جمهور. ماذا يمكن أن تفعل عندما يكون لديكَ جمهور؟"[٢] وهكذا، فإن ضرورة العمل لجعل العالم يفهم الوَضْع على أرض الواقع في فلسطين، لم يقتصرْ على اختطاف الطائرات. على سبيل المثال، أحد الأهداف الرئيسة للحركات الشعبية الفلسطينية هو جَعْل العالم على بيّنة من وَضْع الفلسطينيين تحت الاحتلال. ونُطبّق الشيءَ نفسَهُ على المظاهرات، والإضرابات العامة، والمشاركة في مُنظّمات التضامن الدولي، وكتابة المقالات والروايات، وإنشاء المُدوّنات، وحتّى عملية رَشْق الحجارة - وإن كان القَصْد منها لا يُعبّر عنه صراحة دائماً.

إن ضرورة توجيه رسالة للمجتمع الدولي، أو بالأحرى نداء، هو أمر يتجاوز الحدود المادية/الرَّقْمية بين المظاهرات والعمل المباشر في المجال المادي والنضال الإلكتروني الفلسطيني في المجال الرَّقْمي.

اسمحوا لي أن أوضح من خلال استخدام مجموعة النضال الإلكتروني الفلسطينية فريق هاكر KDMS كمثال، ثمّ الانتقال في وقت لاحق، إلى فريق هاكر غزّة.

رَفْع مستوى الانتباه العالمي: فريق هاكر KDMS

رغم أن فريق هاكر غزّة أحد أشهر فِرَق النضال الإلكتروني، وأكثرهم

نشاطاً، إلا أن هناك عديداً من الفِرَق الفلسطينية الأخرى التي تصدّرت الأخبار - ليس فقط في فلسطين وفي إسرائيل، ولكنْ، أيضاً، على الصعيد العالمي. بعضُهم كان نشطاً لفترة أقصر، ثمّ انتهى – وهي سمة غالبة للعديد من فِرَق النضال الإلكتروني، وغالباً ما تُواصلُ عملَها تحت اسم مختلف، أو تنضمّ إلى فريق مختلف.

عندما كان فريق KDMSالفلسطيني يتصدّر الأخبار في جميع أنحاء العالم عام ٢٠١٣، كانت أهدافهم تختلف نوعياً عن تلك الخاصة بفريق هاكر غزّة. في حين أن غالبية اختراقات فريق هاكر غزّة كانت موجّهة نحو البنية التحتية السيبرانية لإسرائيل، كانت جميع المواقع التي اخترقها فريق KDMS أجنبية. هذا ربّما أحد الأسباب التي جعلت الفريق يحصل على كثير من الاهتمام في المقام الأوّل - مع تغطية الحملة على الإنترنت، بواسطة صحف مثل إنترناشونال برنس تايمز وشبيغل[٣].

بالإضافة إلى ذلك، لم يتمّ اختراق أي مواقع غير ذي صلة، بل المواقع الإلكترونية للشركات الكبرى مثل واتساب (خدمة الرسائل متعدّدة المنصّة المملوكة من قِبَل الفيسبوك)، أليكسا (تابعة لأمازون، وتوفّر بيانات حركة المرور على شبكة الإنترنت التجارية)، أفيرا، بتديفيندر وآ في جي (وهي شركات برامج مكافحة الفيروسات) على سبيل المثال لا الحصر - كل ذلك خلال الفترة من ٨ إلى ١٢ تشرين الأوّل/أكتوبر ٢٠١٣.

غير أن أنشطتها لم تدمْ طويلاً، ولم تعد المجموعة موجودة رسمياً بعد نيسان/أبريل ٢٠١٤، على الأقلّ، من حيث النشاط الكبير. السبب الرئيس لانخفاض نشاطها قد يكون هاكر القبعة الرمادية الأمريكي (ذي جيستر)[٤]، المعروف، أيضاً، باسمه الحقيقي مارك ووكر. هو ناشط إلكتروني

أمريكي يستهدف، غالباً، المواقع والمجموعات الإلكترونية الإسلامية، ولكنْ، ليس على سبيل الحصر، مدفوعاً بـ "الوطنية الأمريكية" على حدّ تعبيره. شملت أهدافه فريق KDMS، حيث قام باختراقه بعد استهداف الأخير المواقع الدولية[٥]. نشر مارك هويات وأسماء أعضاء محتملين في الفريق، وكثير منهم يقيمون في غزّة، على موقع بيست بين، على شبكة الإنترنت، وهو تطبيق على شبكة الإنترنت، يمكن لأي شخص تخزين نص عادي فيه، وأداة عامة يقوم الهاكر بتخزين معلومات فيها دون تحمّل أيّ مسؤولية عنها.

لا يوجد سبب لتلقّي هذه المعلومات على أنها سطحية، بسبب أسلوبه الجدلي، في هذه الحالة بالنَّظَر إلى نشاط تويتر، وكما أثبتتْ طُرُق البحث السابقة بقدرتها على تحديد أشخاص، لم يكن لديهم أيّ ارتباط بالمجموعات المستهدَفَة. اتّصلتُ مع فريق غزّة هاكر، واستطعتُ الحصول على حساباتهم الخاصة في عملياتهم، والأيديولوجية والهيكل التنظيمي، وحاولتُ فعل الشيء نفسه مع فريق KDMS. لكنهم أكدوا أن كل أعضاء الفريق فلسطينيون[٦] عبر مراسلاتنا. لم يتراجعْ عملهم وفقاً لهم بسبب محاولة جيستر تقفّي أثرهم، ولكنْ، لأنهم "يعملون سراً لمصالح شخصية"[٧]. أيضاً، والأهمّ من ذلك، ذكروا " نقوم بالقرصنة منذ فترة طويلة تحت أسماء مختلفة"[٨].

بالإضافة إلى ذلك، لم يكن لديهم، مثل فريق غزّة هاكر، أي انتماءات إلى أي حزب سياسي، ولم يُصدروا أيَّ بيانات سياسية في شكل إعلان. مع ذلك، اختلفوا في أمر واحد هامّ. في حين رأى فريق هاكر غزّة أنه ليس لديهم أيّ دَعْم من أيّ فصيل سياسي، أجاب فريق KDMS : "كل الشعب

الفلسطيني يدعم المقاومة بكلّ أشكالها"[٩]. كانت المقاومة الإلكترونية إلى حدّ كبير جزءاً من المقاومة التقليدية - أي أن كل فلسطيني يقاوم بالطريقة التي يقدر عليها، سواء في المجال الرَّقْمي أو المادي. اختلفت أفكار فريق KDMS وفريق هاكر غزّة حول الحملات الإلكترونية كنضال مُسلّح أو شعبي.

انقسم فريق هاكر غزّة وفريق KDMS حول قضية النضال ضدّ الاحتلال ليس بشأن الأهداف وحسب، ولكنْ، من خلال تكتيكاتهم، وهي المواقع الجغرافية لمواقعهم المختَرَقَة، بينما كان المحتوى السياسي لاختراقاتهم متماثلاً. في حين سلّط فريق هاكر غزّة الضوءَ على القضايا السياسية مثل السجناء الفلسطينيين في أثناء إضراب عن الطعام أو الهجمات الأخيرة على قطاع غزّة، ركّز فريق KDMS على القضية الفلسطينية بكاملها. حيث قالوا: "نحن نهاجم المواقع العالمية، وليس المواقع المحلية"[١٠]. مع ذلك، يمكن النَّظَر لكثير من عمليات الاختراق التي قام بها فريق هاكر غزّة، يمكن على أنها تهديد، كان هدف فريق KDMS نشر الوعي حول ما يجري لبقية العالم.

بالتالي، قد نُقارنُ عملية اختطاف الطائرات (لتوعية العالم بوجود القضية الفلسطينية)، أو مقارنة أرونداتي روي اللاعنف بالمسرح بحملات فريق KDMS ضدّ المواقع المختلفة. على سبيل المثال، ما كتبوه بعد اختراق موقع بتديفيندر كان مثالاً للحملات الفلسطينية للتوعية بالقضية الفلسطينية:

"هناك أرض تُسمّى فلسطين على الأرض/وقد سُرقت

هذه الأرض من قبل الصهيونية/هل تعرفون ذلك؟/ للشعب الفلسطيني الحقّ بالعيش في سلام/ يستحقّ تحرير أرضه، والإفراج عن جميع السجناء من السجون الإسرائيلية/نحن نريد السلام/.

وأضافوا خرائط تبيّن التّطوّر الديمغرافي في فلسطين وإسرائيل، واستيلاء الإسرائيليين على الأراضي الفلسطينية أكثر من أيّ وقت مضى، وأنهوا رسالتهم: "تعيش فلسطين" وشعار يحمل العلم الفلسطيني[١١]. كما أعربوا أنفسهم في المقابلة: "نحن نخترق المواقع الأجنبية لتوجيه رسالة إلى العالم"[١٢].

هكذا، وبحُكم تصريحاتهم الخاصة حول الرغبة في توجيه رسالة إلى العالم، يبدو أن مضمون اختراقاهم حتّى الآن، هو جزء من تقليد فلسطيني أقدم من التصدي للعنف الرمزي، كما هو موضح بالفعل. من خلال اختراق المواقع الدولية وخَلْق وعي دولي بما يجري، يحاول فريق KDMS تحفيز الدعم للقضية الفلسطينية.

رغم أنني سأعود لاحقاً إلى طبيعة اختراقات فريق KDMS ، يمكننا أن نسأل كم كان فريق KDMS مُؤهَّلاً وبارعاً. من الواضح أنه كان مُحرِجاً للشركات الكبيرة لمكافحة الفيروسات مثل AVG آ في جي، ولكنْ، هل كان الاختراق نتيجة لأدوات متطوّرة وقرصنة من الطراز العالمي؟ قد يقول البعض لا.

مع محاولة مواقع مختلفة استعادة السيطرة على مجالاتها تحت الهجوم، أصبح من الواضح على نحو متزايد أنه لم يتمّ اختراق أيّ من

معلومات العملاء أو البيانات الحسّاسة. بدلاً من ذلك، ما قام به فريق KDMS كان اختطاف نظام أسماء النطاقات(*).(١٢)

اسم النطاق بشكل مختصر هو شيء يقوم بتحويل أيّ عنوان بروتوكول في الإنترنت (يتكوّن من أرقام فقط، مثل "١٩٢,٠,٤٣,١٠") إلى عنوان الويب الذي تراه في المتصفّح الخاص بكَ، على سبيل المثال "www.google.com". بعبارة أخرى، لم يتمكّن فريق KDMS من الوصول إلى قاعدة بيانات AVG نفسها، بل أعاد توجيه حركة مرور AVG إلى موقع آخر، حيث تمّ عرض الرسالة.

هناك طريقتان، يمكن القيام بهما: أوّلاً، يمكن لفريق KDMS ببساطة تخمين كلمات المرور من مواقع مختلفة، وتسجيل الدخول كمديرين إلا هذا الأمر مستبعد جداً. ثانياً، قد يكونون خدعوا الشبكة - حيث تتمّ إدارة سجلات نظام أسماء النطاقات - في تغيير كلمات المرور للموقع. هكذا، يمكن للمرء مناقشة درجة تعقيد عمليات الاختراق لدى فريق KDMS في الواقع ودرجة احترافية الأعضاء، ولكنْ، من ناحية أخرى، عند أداء المهمّة، لماذا يختارون الطريقة الصعبة؟

ترجمة مبادئ العمل المباشر إلى الواقع الافتراضي: فريق هاكر غزّة

في ١٦ تشرين الأوّل/أكتوبر ٢٠١٢، جلست مجموعة من الناشطين الفلسطينيين وأغلقوا الطريق ٤٤٣، الواصل بين تل أبيب والقدس. تمكّنت

---

*) عملية لإفساد عمل نظام اسم المجال، أو للتحكّم به. ويمكن تحقيق عملية الاختطاف هذه عبر برامج ضارّة malware يمكنها من تجاوز إعدادات حزمة بروتوكولات الإنترنت الخاصة بالكمبيوتر، وتحويل مسار اسم المجال الطبيعي إلى اسم المجال المختطف عبر المختطفين، أو من خلال تعديل بيانات نظام أسماء النطاقات إلى بيانات لا تتوافق مع معايير الإنترنت. (ويكيبيديا/المترجم).

المجموعة لمدة ثلاثين دقيقة من إغلاق الطريق حتّى قام رجال الشرطة الإسرائيلية بإزاحتهم.

الحملة ذات قيمة لسَبَبَيْن: أوّلاً، وقبل كل شيء، من خلال الجلوس في منتصف الطريق، نجح النشطاء في مَنْع وصول السائقين والركّاب إلى الأماكن العامّة، وخاصة تل أبيب والقدس وأية محطّة أخرى على الطريق. وهكذا، هناك بلا شكّ أوجه تشابه مع هجمات الحرمان من الخدمات في المجال الرَّقْمي، كما أوجزتُ سابقاً، لأن كليهما: الحرمان من الخدمات في المجال الرَّقْمي ومظاهرة الاعتصام تعيق الوصول إلى موقع مادي أو رَقْمي معين. سواء كان ذلك هو حسابكَ المصرفي عبر الإنترنت الذي لا يمكنكَ الوصول إليه، لأن الموقع الإلكتروني للبنك قد اخترقَهُ الهاكرز، أو أنكَ غير قادر على الوصول إلى البنك في مظهره المادي، لأنكَ، ببساطة، لا يمكنكَ المرور بسبب إغلاق الطريق، وهذه في جوهرها إجراءات متطابقة نوعياً.

ثانيا، عندما أُلقي القبض على المتظاهرين بعد عرقلة الطريق ٤٤٣، ذكر أحد المُنظّمين أنه ما دام الفلسطينيون يعانون من الاحتلال، فإن الحياة اليومية الإسرائيلية لن تستمر كالمعتاد[١٤]. يبدو أنه محاكاة للعنف الذي يتعرّض له الفلسطينيون، حيث أن كَسْرَ الحياة اليومية الطبيعية للإسرائيليين هو سمة من سمات المقاومة الفلسطينية التي لا تقتصر على مجموعة واحدة من الوسائل مثل التفجيرات الانتحارية أو هاكرز يقومون باختراق موقع على شبكة الإنترنت بشكل عام، أو حساب شخصي، على وجه الخصوص، كما لا تنحصر محاكاة العنف على عرقلة طريق إسرائيلي عن طريق العمل المباشر في المجال المادي.

إذا اختار المرء تقييم المقاومة الفلسطينية بأنها تستخدم الوسائل

المختلفة ضدّ الاحتلال الإسرائيلي، والتي تحدّدها ظروف تاريخية معينة، فإننا نرى أن النضال الإلكتروني يتناسب ضمنياً مع سردها وتاريخها ودلالاتها. يعني هذا أن النضال الإلكتروني للفلسطينيين وسيلة لتحدّي الاحتلال والمُحتَلّ في المجال الرَّقْمي، إمّا عن طريق رفع مستوى الوعي لدى المجتمع الدولي، أو عن طريق الإخلال بالحياة اليومية الإسرائيلية.

حتّى عندما يتعلّق الأمر بهدف فرض ضغوط اقتصادية على المحتلّ (برنامج مبادئ فريق هاكر غزّة)، فإننا نرى أوجه تشابه مع العمل الشعبي الفلسطيني. فعلى سبيل المثال، أعرب المتظاهرون المشاركون في مظاهرات الجمعة عن هدف رَفْع تكاليف الاحتلال إلى مستوى، لا يمكن تحمّله(١٥).

يعمل النضال الإلكتروني الفلسطيني على تعطيل وإزعاج الاحتلال، بهدف إنهاء الوَضْع على الأرض في فلسطين المحتلّة. علاوة على ذلك، وكما ذكرنا، يمكن مقارنة اختراق المواقع الإلكترونية بالكتابات السياسية، وهي وثيقة الصلة بالموضوع، حيث إن هذا الأخير قد تمّ توثيقه على أنه ينطوي على اعتراض على علاقات السلطة القائمة بين الاحتلال والشعب الخاضع للاحتلال(١٦).

لا تقتصر أوجه التشابه على التعديلات المرئية للصفحة أو الموقع الإلكتروني، ولكنْ، أيضاً، يتدخّل النشطاء الإلكترونيون في الواقع عَمْدَاً في الأماكن الأجنبية والغريبة تماماً، كما يفعل الفنّانون في الكتابة والرَّسْم على الجدران في المجال المادي.

على سبيل المثال، تُجسِّد حملات فريق هاكر غزّة بالضبط نوع المقاومة

الشعبية التي يصفها مصطلح درويش وريجبي بـ "المقاومة الجبرية"، "نعارض المحتلّ من خلال التعبير عن الاحتجاج، ومحاولة تشجيع الآخرين على ضرورة الحفاظ على النضال"، بمعنى أن الدعم الأخلاقي لمُسلّحي كتائب شهداء الأقصى يمكن نَفْيه بسهولة[١٧].

هذا الاختلاف الذي يبدو أن مايكل داهان، من كُلّيّة سابير الإسرائيلية، لم يكن قادراً على وصفه عندما حاول أن يفصل بين مصطلح "الناشط الإلكتروني" وما يصفه " الهاكر الوطني"، مع إشارات صريحة إلى الصراع الإسرائيلي/الفلسطيني. استخدم إسرائيل و "العالم الإسلامي" كمثال، وقال إنه يتبع التعريف نفسه للنضال الإلكتروني، كما هو مُطبَّق في هذا الكتاب، وبحقّ، لا يمكن استخدام هذا التعريف لوصف الهاكرز الفلسطينيين (من بين آخرين) لأن "الهاكر الوطني"، حسب داهان "يتمتع بمجموعة مختلفة من الدوافع من تلك المذكورة أعلاه، التي أقرب ما تكون في طبيعتها إلى المجرم الإلكتروني، أو الإرهابي الإلكتروني".

علاوة على ذلك، "بعكس الهاكر والناشط الإلكتروني، فإن الأيديولوجيا السياسية تميل نحو النزعة المحافظة والوطنية"[١٨].

يقول داهان إن مصطلح "النضال الإلكتروني" كان يعني في البداية الإشارة إلى استخدام التكنولوجيا للنهوض بحقوق الإنسان، ما يسمّى القرصنة الوطنية - والذي برأيه، من الواضح أن فريق هاكر غزّة جزء منه - ويجب، بالضرورة، أن يستبعد "النهوض بالقضايا السياسية" من النضال إلكتروني، ويبقى في مجال القرصنة الوطنية، أي "الدفاع عن الوطن"[١٩].

من الصعب النَّظَر إلى هذه الثنائيات المتبادلة المتعلّقة بتحرير الأراضي

على أنها ليست قضية سياسية - بل قضية تقدّمية، لأنها تعمل من أجل إعمال حقوق الإنسان لمَنْ هم تحت الحكم العسكري. سيكون هذا مثل الادّعاء أن العجّة لا يمكن أن تكون مصنوعة من البيض، لأن البَيض هو عنصر في صُنع الكعك.

رغم أن مقاومة الاحتلال من خلال وسائل القرصنة لها هدف مختلف عن حُرّيّة التعبير على شبكة الإنترنت، إلا أنها نوعياً الأمر نفسه. لنشطاء الحركة النسوية اليوم أهداف مختلفة، ويقومون بحملات سياسية مختلفة عن مطالبتهم بحقّ الانتخاب، إلا أنهم لا يزالون جزءاً من الحركة التاريخية نفسها.

على سبيل المثال، كما أشرتُ، فإن فريق هاكر غزّة ومجموعات فلسطينية أخرى لناشطين إلكترونيين، مثل فريق KDMS، لهم في الواقع كثير من القواسم المشتركة مع النضال الشعبي الفلسطيني على أرض الواقع من حيث الأهداف والوسائل. من الصعب أن نرى مصطلح "الهاكر الوطني" أنه أقلّ نزعاً للشرعية من مصطلح "الإرهابي الإلكتروني"، كما يقول داهان نفسه بشكل زائف إن الهاكر الوطني "يميل بأن يكون أقرب بطبيعته إلى مجرمي الإنترنت أو الإرهابيين الإلكترونيين"[٢٠]. يبدو أنه ليس ما تفعله، ولكنْ، ما تعمل من أجله يُحدِّد مَنْ أنت. حتّى لو كان هذا العمل هو إنهاء الاحتلال الإسرائيلي.

لعلّ ما يفشل داهان في فَهْمه هو ما يصفه جيجك كجدال للوضع القائم بالفعل وتوقّعاته (رغم أنه يجب أن أذكر أن جيجك استخدم الديالكتيكات في أثناء مناقشة التّوقّعات المثالية للسوفيتية الستالينية[٢١])، أي الفراغ والمحتوى الإيجابي الذي يملؤه. من الواضح أن داهان على حقّ

عندما يشير إلى أن مجموعات مثل فريق هاكر غزّة اليمينية، كتقييم محتمل للمحتوى السياسي - الديني المتناقض لفريق هاكر غزّة) عندما ننظر إلى شعاراتهم وخطاباتهم وتمثيلهم الذاتي في فراغ سياسي.

رغم ذلك، علينا أن نعود مرّة أخرى إلى محتوى تعابيرهم، من جهة، وجوهرها، من جهة أخرى. في حين أنهم يستخدمون في الواقع ما يمكن اعتباره لغة ومرجعاً للمتطرّفين، فإنهم يفتحون في الوقت نفسه مساحة من التّوقّعات المثالية كالحقوق الكاملة والسيادة والكرامة للفلسطينيين بعد أن ينتهي الاحتلال.

نستنتج أن النضال الإلكتروني لفريق هاكر غزّة هو اتّجاه جديد في المقاومة الفلسطينية، وبالضرورة جزء منه – مهتمّ بالتّطوّر التكنولوجي على الصعيد العالمي والإقليمي والمحلي. إن أشكال النضال الإلكتروني والوسائل التي يستخدمها كأمثلة في هذا الجزء تُظهر أن هناك في الواقع تماثلاً واضحاً بينها وبين النضال الشعبي غير العنيف رغم أن فريق هاكر غزّة يدّعي أنه يماثل الكفاح المُسلّح.

يترجم فريق هاكر غزّة إغلاق المتظاهرين الفلسطينيين الطريق ٤٤٣، كعمل مباشر إلى المجال الرَّقْمي عن طريق مَنْع الوصول إلى مواقع إلكترونية معينة. بينما يعترض كتّاب الجدران الفلسطينيين على علاقات السلطة القائمة بين الاحتلال والشعب المحتلّ عن طريق الكتابة على الجدران، فإن فريق هاكر غزّة وفريق KDMS والفِرَق الفلسطينية الأخرى الناشطة إلكترونياً تُترجم هذه المبادئ إلى المجال الرَّقْمي، من خلال الاختراقات، وبثّ الرسائل. بما أن هؤلاء الناشطين يستخدمون هذه الوسائل في المجال المادي، من أجل توعية بقية العالم بالفلسطينيين، ورَفْع تكاليف الاحتلال،

أو فرض محاكاة العنف، نرى أن فِرَقَ الهاكرز الفلسطينية لديها الأهداف نفسها بالضبط عند تطبيق الجهاد الإلكتروني.

نستنتج أن فريق هاكر غزّة غير محقّ في القول بأن الجهاد الإلكتروني هو استمرار للنضال المُسلّح، وأن فريق KDMS محقّ في تعريف أنفسهم ضمن النضال الشعبي. بفضل أفعالهم، يترجم هذان الفريقان المبادئَ الفلسطينية للاحتجاجات الشعبية إلى المجال الرَّقْمي، وليس التكتيكات العسكرية للجماعات الفلسطينية المُسلّحة.

قد يكون من الضروري العودة بإيجاز إلى تحليل رَمْي الفلسطينيين للحجارة - أي أنه ليس بالضرورة غير عنيف (وأيضاً غير مُسلّح في آن واحد)، وإنما كوسيلة للعمل المباشر. كما يشير جوردان وتايلور "مفهوم العنف في الفضاء الإلكتروني ينطوي على تعقيدات، إن لم يكن في بعض الأحيان عبثياً، لأن مفهوم اللاعنف السائد في الحركات الاجتماعية ينطوي على حسّيّة متأصّلة غائبة في الفضاء الإلكتروني"[٢٢]. خلصوا إلى أنه من الأكثر ملائمة التركيز على العمل المباشر والجهاد الإلكتروني بدلاً من العمل المباشر غير العنيف، بشكل كُلّيّ[٢٣].

على سبيل المثال، فيما يتعلّق بمسألة قانونية العمل المباشر، يجب أن يكون واضحاً أن اختراق المواقع الإسرائيلية غير قانوني وفقاً للقوانين القائمة اليوم، ولكنْ، يمكن تجاهل القوانين أو تجاوزها. على سبيل المثال طريقة عمل العصيان المَدَني، هي تجاهل القوانين الظالمة، و "العمل المباشر ليس، فقط، سلوك النشطاء في الميدان، بل هو، أيضاً، التأثيرات التي من المُفترَض أن تَنتج عن هذه الأعمال"[٢٤]. إذا كان لي أن أعيدَ صياغة الناشط من منطقة الولجة في الفصل الثاني: إن اختراق المواقع الإسرائيلية

ليس عنيفاً، بل هو جزء من المقاومة الشعبية. نحن نسمّيها المقاومة الشعبية، وليس المقاومة السِّلْمِيّة، لذلك فهي تشمل النضال الإلكتروني.

مع ذلك، قد يعتمد تعريف النضال الإلكتروني كشكل من أشكال النضال المُسلّح أو غير ذلك، على وجهة نَظَر الشخص. على سبيل المثال، تحدّثتُ مسبقاً عن رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو والحكومة الإسرائيلية واعتبارهما التهديد الإلكتروني كقضية للجيش الإسرائيلي، وبالتالي ضمناً كشكل من أشكال المقاومة المُسلّحة. لكنْ، في عام ١٩٩٨ عندما قام الهاكر الإسرائيلي إيهود تيننباوم (أنالايزر) باختراق أجهزة الكمبيوتر في ناسا والبنتاغون والقوات الجوية الأمريكية والبَحْرِيّة الأمريكية "اتّخذت الشخصيات العامّة الإسرائيلية موقفاً أكثر تصالحية تجاه أنشطة تيننباوم وآثارها"[٢٥]. كان أوّل تعليق لرئيس الوزراء نتنياهو هو أن أنالايزر "جيد جداً" (رغم أنه أضاف أنه يمكن أن يكون "خطيراً جداً أيضاً")[٢٦].

لذلك، رغم أن فريق هاكر غزّة لا يُشكّل استمراراً للنضال المُسلّح، هل يعني، بالضرورة، أنه لا توجد أشكال من القرصنة الفلسطينية تُشكّل جزءاً من عسكرة الإنترنت، وضمنياً استمرار الكفاح المُسلّح الفلسطيني؟ أقول إنه قد يوجد نعم، ولكنْ، من أجل وصف تلك الظاهرة الخاصة علينا أن ننتقل إلى حماس والجهاد الإسلامي الفلسطيني.

حماس والجهاد الإسلامي وعسكرة الإنترنت

وصلنا اليوم إلى وضع يتعارض تماماً مع الوَضْع الذي توقّعه المتفائلون في مجال التكنولوجيا المذكور في المقدمة. ستوكسنيت وفليم ودوكو هي

جزء صغير فقط منه، ويظهر جزء صغير من آثاره. في حين أن فريق هاكر غزّة ليس جزءاً من عسكرة الإنترنت كاستمرار للمقاومة الفلسطينية المُسلّحة، سأناقش أن الكتائب الإلكترونية لحماس وللجهاد الإسلامي الفلسطيني تُشكّل هذا الجزء. كيف يمكن أن يكون لذلك أيّ معنى؟

أوّلاً وقبل كلّ شيء، إذا أردنا أن نضع فريق هاكر غزّة في فئة عسكرة الإنترنت، يجب أن يكون له، بالضرورة، بعض الآثار على الوسائل الموازية المُستخدَمَة في المجال العام المادي الذي نُوقِشَ أعلاه. على سبيل المثال، إذا كانت هجمات الحرمان من الخدمات تُشكِّل عسكرة للإنترنت عندما تُستخدَم ضدّ حكومة إسرائيل وشركاتها ووكالاتها، ألا يعني ذلك، بالضرورة، أن مظاهرات الاعتصام واللوحات الجدارية الفلسطينية تُشكِّل عسكرة الجمهور في المجال المادي؟ النشطاء والمتظاهرون يُنكرون ذلك.

الشيء نفسه ينطبق على تسريب المعلومات، كما كان الحال مع تسريب إدوارد سنودن من وكالة الأمن القومي الأمريكية. بالطبع، هناك جدل دائم حول ما إذا كانت أعمال سنودن شرعية أم لا، ولكنْ، ما من داع للقول إن هذه التسريبات لم تُشكِّل عسكرة في المجال المادي العام. لم يكن من المُستغرَب بالتحديد أن رؤساء برامج المراقبة الوطنية في الغرب ذكروا أن سنودن قدّم لـ "الإرهابيين" مجهولي الهوية هدية[٢٧].

عندما يتعلّق الأمر بعَسْكَرَة الإنترنت، فمن السخرية، إلى حدّ ما، أن أولئك الذين هم جزء منها ومسؤولون عن عسكرتها، يتّهمون إدوارد سنودن والمتظاهرين مثل حركة احتلال وول ستريت وبقية المشتبه بهم على أنهم مساعدون للإرهابيين (في أحسن الأحوال). على سبيل المثال أوّلاً وقبل كل شيء يفكّر المسؤولون العسكريون بشكل متزايد في الإنترنت كمنصّة

أخرى للحرب[28]، كما قال اللواء الإسرائيلي أفيف كوفاتشي إن "الإنترنت، في رأيي المتواضع، سيكشف عمّا قريب بأنه أكبر ثورة في الحرب، أكثر من البارود، واستخدام القوّة الجوية في القرن الماضي"[29].

أحد ملامح العسكرة على سبيل المثال هو زيادة مراقبة الجميع إلى حدّ كبير. إن منطق اليوم ليس أنكَ بريء حتّى يثبتَ العكس، بل في الواقع أن كل شخص مُذنب حتّى يثبتَ العكسُ. يصف رونالد جي ديبرت، الأستاذ بجامعة تورونتو، "عَسْكَرَةَ" الإنترنت بأنها "حرب معلومات هجومية" مع تطوير "أدوات الحرب الإلكترونية". واستخدم مثال "قراصنة الكمبيوتر، ... برمجيات أحصنة طروادة، الفيروسات، برمجيات الديدان، في الجيش الأمريكي الذي استخدم تقنيات الدعاية الإلكترونية بما أدّى للصراع في العراق "[30].

رغم أن ديبرت كَتَبَ تحليلَهُ لعَسْكَرَةَ الإنترنت عام ٢٠٠٢، فإننا نرى أنه لا يزال له أهمّيّة اليوم. فيما يتعلّق بالديدان والبرمجيات الخبيثة التي تستخدمها وكالات الدول، واجهنا أمثلةً مثل ستوكسنيت الإسرائيلية الأمريكية، ودوكو وفليم في وقت سابق.

أصبح قراصنة الكمبيوتر الذين يستخدمون ديبيرت معروفين الآن، وأعلنت الحكومة الإسرائيلية في حزيران/يونيو ٢٠١٥ أنها ستخلق "فرعاً إلكترونياً" داخل الجيش الإسرائيلي لتوحيد جميع قدراتها الإلكترونية. سيشمل ذلك الحرب الإلكترونية الدفاعية والهجومية، وجمع المعلومات الاستخباراتية[31].

هناك، أيضاً، حالات يتلاشى فيها الخطّ الفاصل بين المجالين

المادي والرَّقْمي، كما هو الحال مع القنابل التي يبلغ وزنها مليون طن، والتي تزعم إسرائيل أنها (مع التأكيد على زعمها) تمتلك قنبلة النبضة الكهرمغنطيسية). يستخدم هالبر إيران كمثال، ويوضح كيف أن القنبلة يمكن أن تفجَّر على ارتفاع ٤٠٠ كيلومتر فوق البلاد، وتترافق بهجمات إلكترونية، وتعطيل شبكة الكهرباء والاتصالات ومصافي النفط والنقل، نتيجة لذلك تنفد الإمدادات الغذائية، ويتحطّم الاقتصاد[٢٢]. من الواضح أن هذا السيناريو أسوأ، ولكنْ؛ مع التركيز العام على تهديد الإرهاب الإلكتروني، ينبغي أن يكون هناك بعض القلق الإضافي بشأن الإرهاب الإلكتروني المحتمل للدولة.

يُشكِّل استخدام الدعاية الإلكترونية جزءاً من عَسْكَرَة الإنترنت - التي ينبغي أن أشير إلى أنه تم استخدامها من جانب الطرفَيْن في الصراع الإسرائيلي الفلسطيني. استخدم دارا كير من سي نت، على سبيل المثال، مصطلح "تسليح" وسائل الإعلام الاجتماعية، إشارة إلى الجهود التي يبذلها كلا الطَّرَفَيْن لنقل رسائلهم على شبكة الإنترنت[٢٣].

ينشط الجيش الإسرائيلي بشكل مفرط على وسائل التواصل الاجتماعي مثل فيسبوك وتويتر ويوتيوب، حيث يقوم بنشر تحديثات ومقاطع فيديو عن تصفية وتشويه وإصابة الفلسطينيين الذين يعدّونهم "تهديداً".

على سبيل المثال، يُوثّق كير، بعد اغتيال الزعيم العسكري لحركة حماس أحمد الجعبري عام ٢٠١٢، حين حمّل الجيش الإسرائيلي فيديو "موجزاً، صامتاً، بالأسود والأبيض" على يوتيوب للغارة الجوية مع تعليق: "أحمد الجعبري: تمّ إنهاؤه". وهو مثال نموذجي لتوثيق تمزيق بشر حقيقيين إلى قِطَع ترافق مع نغمة من لعبة "نداء الواجب" الإلكترونية. وجّه لواء عزّ

الدِّين القسّام رسالته الخاصة على تويتر قائلاً: "إن أيدينا المباركة ستصل إلى قادتِكُم أينما كنتُم (فتحتُم أبواب الجحيم على أنفسكم")[٢٤].

لم تقتصر حرب وسائل التواصل الاجتماعي على التصعيد في عام ٢٠١٢ وفي عام ٢٠١٣، وثّقت صحيفة هآرتس الإسرائيلية كيف قام مكتب رئيس الوزراء الإسرائيلي بتجنيد الطلاب الذين سينشرون "النسخة الإسرائيلية" على وسائل التواصل الاجتماعي. رغم أنهم لن يعرفّوا عن أنفسهم كموظّفين حكوميين، قد يكونون جزءاً من مكتب الدبلوماسية العامة لرئيس الوزراء[٢٥]. هذا هو ما يُطلق عليه الإسرائيليون "حسبارا"، الكلمة العبرية "للتفسير" – رغم أن مفردة "دعاية" المتداولة أكثر ملاءمة.

نأتي إلى الوحدات السيبرانية في حماس والجهاد الإسلامي الفلسطينية، التي تجد نفسها على التوالي في كتائب عزّ الدِّين القسّام وكتائب القدس. نعم، فريق هاكر غزّة يستخدم بعض الوسائل نفسها مثل حماس والجهاد الإسلامي، إلا أن الطريقة التي قدّمها الممثّل الرئيس للجهاد الإسلامي في استخدام التكنولوجيا، وأنها أساساً دفاعية، تبدو معاكسة لقضية فريق هاكر غزّة. رغم ذلك علينا ملاحظة استخدام ديبرت لمصطلح "العَسْكَرَة"، عند دراسته للاستخدام العسكري للتكنولوجيا[٢٦].

من أجل التوضيح، يتعلّق الأمر بالإطار الذي تمارس فيه أفعالكَ، وفي حالة حماس والجهاد الإسلامي فإن وحداتها السيبرانية تعمل بشكل صارم ضمن إطار من الكتائب المُسلّحة. لا يخترقون من أجل الاختراق نفسه أو للشهرة التي يمكن الحصول عليها، ولكنْ، كامتداد وتكملة لميدان المعركة الحديثة التي أصبحت الإلكترونيات جزءاً متأصّلاً منها. بعبارة أخرى، لا يمكن اعتبار الوحدات الإلكترونية لحماس والجهاد الإسلامي

جزء منعزلاً خارج كتائبها المُسلّحة، وبالتالي تُشكّل استمراراً - أو بالأحرى تحديثاً - للنضال المُسلّح الفلسطيني. يقومون بذلك بتسهيل عمل الجنود الفلسطينيين من خلال توفير المعلومات، وتشفير البنية التحتية السيبرانية الخاصة بهم، وتشويش خطوط الاتصالات، على سبيل المثال لا الحصر. يختلف هذا نوعياً عن أنشطة فريق هاكر غزّة وفريق KDMS على سبيل المثال.

فريق هاكر غزّة وأعضائه نشطاء بالمعنى التقليدي للمصطلح - رغم أنهم يقومون بحملاتهم في المجال الرَّقْمي - في حين أن قراصنة الجهاد الإسلامي جزء من ساحة معركة مستمرّة ومترابطة ومتطوّرة.

ما يقوم به قراصنة فريق هاكر غزّة يفعلونه في وقت فراغهم، كجزء من نشاط شبابي جماعي، كي يساهموا بالطريقة التي يُتقنونها.

تعبير "نشاط القرصنة" هو مزج بين "النشاط" و "القرصنة"، لذلك يمكن استبعاد الجهاد الإسلامي وحماس، ومن هذا التعريف من خلال تفسير ضيّق للكلمة. فنشاط القرصنة، في حدّ ذاته الذي يقوم بها ناشطون تقليديون، لا يمكن اعتباره عَسْكَرَة، ولكنْ، كتطوّر مواز للاحتجاجات في العصر الرَّقْمي.

١٠
أفكار أخيرة

كظاهرة جديدة نسبياً، فإنني لا أتجرأ على أن أقول ما هو الأثر الذي سيتركه نشاط القرصنة الفلسطيني والجهاد الإلكتروني على الكفاح الفلسطيني ضدّ الاحتلال الإسرائيلي على المدى الطويل. فعندما وصل ريتشارد نيكسون إلى الصين عام ١٩٧٢ ورحّب به رئيس الوزراء الصيني تشو إنلاي، سأله نيكسون كما يزعم عن التأثير التاريخي للثورة الفرنسية، أجابه تشو: "هذا أمر مبكر جداً".

مع ذلك، ينبغي أن نتطرّق، إلى حدّ ما، إلى الآثار المترتّبة على الاختراق الفلسطيني، وأن نحدّد بعض السمات التي لم يتمّ التّطرّق إليها حتّى الآن. والقرائن التي أشير إليها هي تدويل النضال الفلسطيني وتجاوُز الحدود.

هل الطريقة التي يتشكّل بها النشاط الإلكتروني الفلسطيني، بالضرورة، إيجابية حصراً؟

النشاط الإلكتروني كمؤشّر على الهوية

في حين أن مختلف المجموعات الاختراقية مثل فريق هاكر غزّة تحاول

أن تلعبَ دورها في المجال الرَّقْمي ضدّ الاحتلال، فإنها، في الوقت ذاته، تُروِّج لنفسها بالضرورة، من خلال استخدام الصور والشعارات التي يختبئون خلفها، لعدم الكَشْف عن هوياتهم. على سبيل المثال، يعرف فريق هاكر غزّة وغيرهم من القراصنة باستخدام أسماء جذّابة وشجاعة، مثل "مقاتل الحُرّيّة" و"ملك القدر". يُعدّ النشاط الإلكتروني عاملاً دالاً على الهوية، بقَدْر ما يعمل على التغيير النوعي.

من خلال العمل مع عدم الكشف عن الهوية واستخدام الصور الافتراضية، ينشأ مجال، يصبح فيه الشباب محاربين رَقْميين، مع استخدام صور ابن خطاب، ورجال يحملون الأسلحة، ويصبح استمراراً للذات الافتراضية كوسيلة لتحقيق الذات، وبالتالي الترويج الذاتي.

علاوة على ذلك، وبالتوازي مع بناء المثل الأعلى، لا يبدو أن هناك أيّ نيّة للعمل جنباً إلى جنب مع بقية المجتمع المَدَني الفلسطيني في تحالف ضدّ الاحتلال. هكذا يصبح مظهر نشاط فريق هاكر غزّة مجالاً مغلقاً محفوظاً لأعضائه.

على الجانب الآخر من الميدان، تتكوّن حركات اجتماعية من جماهير مجهولة، تقوم بعمل قَذِر للقضية المشتركة. بطبيعة الحال، لا أنوي تنميق الحركة الاجتماعية، كما لو كانت نوعاً من الطليعة الثورية الرومانتيكية، بل أريد أن ألمّح إلى أن بعض السمات "القديمة" في طريق التنظيم السياسي لها مزايا، يبدو أنها فُقدت.

من الواضح أن الاعتراضات الواردة أعلاه تتضمّن بعض الظلال الرمادية. لستُ ساذجاً فيما يتعلّق بضرورة عدم الكَشْف عن الهوية عندما يتعلّق

الأمر بالإجراءات التي يقوم بها فريق هاكر غزّة، أو أيّ فِرَق قراصنة فلسطينية أخرى. عدم الكشف عن الهوية ضروري بلا شكّ في لعبة القطّ والفأر بين المقاومة والاحتلال الإسرائيلي.

علاوة على ذلك، إذا تجاوزْنا الواقعَ الافتراضيَّ البطوليَ كرمز للشباب الذُّكُور الذين سوف يكبرون في نهاية المطاف، يجب أن نسأل أنفسنا إذا كان يمكن تحليل تمثيل الذات من خلال مفهوم لاكانيان "الشيء المسبّب للرغبة".

على سبيل المثال، هل يمكن النَّظَر إلى الطريقة التي يصف بها القراصنة الفلسطينيون أنفسهم في السياق الفلسطيني الذي يشمل قلّة فرص عمل أو الحصول على دَخْل مُستدام؟ هذا يعني، بالطبع، أن الزواج سيكون أصعب. تؤثّر هذه العوامل على مشاعر الذُّكُورة والقيمة الذاتية والاستقلالية، بالإضافة إلى الظروف المعيشية الرهيبة في غزّة.

بعد ذلك، يمكننا تحليل الواقع الافتراضي البطولي والقرصنة الفلسطينية وإعادة تعريف أنفسهم كمحاربين سيبرانيين كأعراض كامنة، حيث الهدف من الرغبة هو "ثغرة" في المجال الرَّقْمي، حيث إنهم (لفترة قصيرة من الزمن) يمكن أن يتخلّصوا من قواعد الاحتلال. لم يعودوا ضحايا للاحتلال في الفضاء السيبراني، ويصبحون المقابل الجهادي لتشي غيفارا: ابن خطاب.

قد يعترض البعض ليقول إن العمل في إطار مجموعات سرّيّة أو حركات غير هَرَمِيّة مثل أنونيموس هو من صميم النشاط الإلكتروني، حيث يستطيع مَنْ يريد أن يصبح مجهولاً. وربّما يعترضون على أساس أنها تعمل خارج

حدود الأحزاب السياسية الفلسطينية، وأنها مفتوحة للجميع. يجب أن أعترفَ بأن هذا أحدَ معالمها الديمقراطية. إلا أن الجهاد الإلكتروني يتطلّب تِقْنِيَّة معرفيّة، تتجاوز إعادة تشغيل جهاز الكمبيوتر الخاص بكَ لإصلاح المشكلة. بعد ذلك، يصبح النشاط الإلكتروني (مرّة أخرى) مساحة أجنبية، تقتصر على القسم الأكثر تعليماً من السّكّان الفلسطينيين.

من ناحية أخرى، تتطلّب المشاكل المختلفة نوعياً حلولاً مختلفة نوعياً. ما من شك في أن النشاط الإلكتروني، بما فيه الفلسطيني، هو نتيجة خَلْق الإنترنت لحيّز جديد من إمكانيات العمل، وهو الذي أصبح ممكناً من الناحية التكنولوجية الآن. مع تطوّر وسائل الإنتاج الجديدة والبنى التحتية السيبرانية الجديدة اختلفت طُرُق التجارة والحوار والترفيه على سبيل المثال. هل يعني الاختراق أن علينا أن نرمي الطُّرُقَ القديمة لتنظيم أنفسنا سياسياً، أو على الأقل أجزاء منها، في مزبلة التاريخ؟

علينا، بالضرورة، أن نكتشف كيف يمكن تجاوُز هذه الخطوط بالنَّظَر إلى أنه هناك سابقة تاريخية للتعاون على صعيد الحركة الاجتماعية مع النشاط الإلكتروني. من الأمثلة التي يمكن أن نتعلّمها، الاحتجاجات ضدّ مُنظّمة التجارة العالمية في سياتل عام ١٩٩٩، عندما تحالف القراصنة والحركة المناهضة للعولمة: فكلاهما طرفان، يهدفان إلى تعطيل مؤتمر مُنظّمة التجارة العالمية. نظّم المتظاهرون والناشطون في المجال المادي مظاهرات جماهيرية وأعمال عصيان مَدَني من أجل عرقلة الشوارع لإظهار معارضتهم. وفي الوقت نفسه، استهدفت مجموعة القراصنة التي تُدعى (إي هيبيز) شبكةَ الحاسوب التي تخدم اجتماع مُنظّمة التجارة العالمية. علاوة على ذلك، لم تكن مجرّد مجموعة صغيرة من القراصنة متحالفة مع

حركة أكبر، بل كانوا نحو ٤٥٠ ألف شخص (أو جهاز كمبيوتر)، وشاركوا على مدى خمسة أيام في "كوليكتيف ٢٠٠٠"[١].

يبدو أنه حتّى اليوم لا حركة النشاط الإلكتروني الفلسطينية في المجال الرَّقْمي أو الحركات الشعبية الاجتماعية الفلسطينية في المجال المادي مهتمّة بفعل أمر مماثل.

النضال الإلكتروني الفلسطيني واختراق الحدود

عندما ظهرت عملية أوب إسرائيل رداً على الهجوم الإسرائيلي على قطاع غزّة، المسمّاة عملية عامود السحاب، نُشر فيديو من قِبَل المُستخدم هيلوكسانون على موقع يوتيوب، ١٧ نوفمبر ٢٠١٢، حيث أعلنت أنونيموس أنها ستُطلق العملية رداً على التّصرّفات الإسرائيلية[٢]. استخدمت الحملة التي بدأت في نيسان/أبريل ٢٠١٣، من بين أمور أخرى، هجمات دوس وقواعد البيانات، وتسريبات المعلومات والتعطيل. من بين المواقع الإسرائيلية التي استهدفتْها قوات الدفاع الإسرائيلية ووزارة الدفاع الإسرائيلية ورئيس الوزراء الإسرائيلي[٣]. فيما يتعلّق بالنشاط الإلكتروني والاختراقات الحدودية، استخدموا شعارات "أنونيموس" الغربي: "توقّعونا"، وظهر شعارها أوب إسرائيل في مجموعة كبيرة من مجموعات النشاط الإلكتروني العربية مثل فريق القراصنة الموريتاني والمغربي، وفريق غزّة هاكر وفريق غزّة الأمني، وجيش التحرير الإسلامي، والقراصنة الجزائريين، على سبيل المثال لا الحصر[٤]. هناك عدّة أمثلة، حيث انضم قراصنة في أنحاء العالم جميعه معاً عبر الحدود في عمليات مشتركة، مثل أنونيموس مع أعضاء من

أوروبا وأمريكا اللاتينية والولايات المتحدة وبقية العالم. كانت هذ العملية ضدّ إسرائيل استمراراً لهذا التطوّر، حيث لم يتمّ تنفيذها من قِبَل القراصنة العرب فقط، أو القراصنة الغربيين فقط، بل من قِبَل المجموعَتَيْن كلتَيْهما اللتَيْن تعاونتا عبر الحدود والقارات ضدّ إسرائيل. بالتالي، هناك أمثلة واضحة تُبيّن أن الإنترنت بشكل عام وحملات الاختراق على وجه الخصوص تجاوزت الحدود، رغم الاختلافات النوعية من حيث الجغرافيا والأيديولوجيا والمعتقدات، ورغم ذلك يتمّ التعاون على ما يعدّونه قضايا مشتركة.

حتّى فريق غزّة هاكر، مع أعضائه (أو بالأحرى المرتبطين به) بمَنْ فيهم مجموعة واسعة من الجنسيات، يجسّد اختراق الحدود: بالنَّظَر إلى المشاركين في الاختراق للتضامن مع خضر عدنان من حركة الجهاد الإسلامي، كان إلى جانب القيادة الفلسطينية لفريق هاكر غزّة، ثلاثة عشر قرصاناً آخرين. من الأمثلة على أولئك القراصنة "تي كي إل" من الجزائر (مع صورة رمزية لابن خطاب)[٥]، "إيهابنيو" من مصر[٦]، " مستر آنارشي - ت" من تونس[٧]، و" مستر ستالين" من المملكة العربية السعودية[٨].

يبدو أن القراصنة الثلاثة المشار إليهم كانوا من المشاركين المنتظمين الذين التحقوا أيضاً بحملة الاحتجاج ضدّ طريقة التعامل في المسجد الأقصى[٩]، بالإضافة إلى قراصنة غير فلسطينيين آخرين مثل " روز" من مصر (الذي ألّف كتاباً عن كيفية إجراء حقن إس كيو إل)[١٠]، و "ذا إم إكس" من الأردن[١١]، و"هانين "من لبنان[١٢]، و"ميشا"[١٣] و"زارادوشت"[١٤] من الجزائر و "أيوانفيكتوري"[١٥] و"لورد "[١٦] من المغرب. هكذا، من الواضح أن هناك تعاوناً فعلياً ومستمرّاً بين القراصنة الفلسطينيين وغير فلسطينيين، حيث يُسهم غير الفلسطينيين في المقاومة الفلسطينية ضدّ إسرائيل في الفضاء السيبراني. جميع القراصنة العرب أعلاه، باستثناء "لورد" و"أيوانفيكتوري"

و" مستر ستالين" كانوا إمّا أعضاء أو مشرفين في منتدى فريق هاكر غزّة على الإنترنت.

كما علّق مستر ليون بنفسه: "إذا كان هناك أيّ شيء مؤكّد، فهو أن الإنترنت جعلت العالمَ قريةً صغيرةً[١٧]، ولكن الجانب الأكثر أهمّيّة هو أن [الإنترنت] جمعت القراصنة العرب والعالميين في الهدف، والاستفادة من خبراتهم في هجماتنا، ومن ثمّ، توجيه الرسالة"[١٨].

تدفعنا عولمةُ النشاط الإلكتروني للتساؤل عمّا إذا كان الجهاد الإلكتروني أكثر عمومية من الظاهرة الفلسطينية. على سبيل المثال، ذكرت أن أنونغوست والجيش السوري الإلكتروني وأوكس عمر اخترقوا البنية التحتية السيبرانية الإسرائيلية من الخارج، وليس هناك شك في أن القومية العربية أو الإسلام عموماً لعب دوراً. إلا أنه لا يُلقي بظلاله على حقيقة ظهور فِرَق نشاط إلكتروني فلسطينية صرف، تقوم بالقرصنة كفلسطينيين، ومن وجهة نَظَر فلسطينية قومية. أدّى عدم انتظام الحدود الذي مكّنَتْه شبكة الإنترنت، مع تعاون عديد من الفِرَق الدولية خلال أحداث مثل عملية أوب إسرائيل، إلى تضييق هذه الانقسامات، ولكنْ، لم يتمّ طمسها.

ما الذي يعنيه تجاوُز النشاط الإلكتروني والحملات للحدود؟ أوّلاً، وقبل كل شيء، كان للقرصنة في إسرائيل آثار سياسية دينية، كما ذكر سويدان في المقدّمة. مع ازدياد عدد الشباب العرب، ليس فقط المهتمين، بل أيضاً المنخرطين بشكل مباشر في مجال الجهاد الإلكتروني، أصبح هذا الأمر ذا أهمّيّة بالنسبة للعلماء والسلطات الدِّينية، في عديد من البلدان العربية. نَمَتْ هذه الظاهرة إلى حدّ أنهم اضطرّوا إلى النَّظَر في شرعية الوسائل الرَّقْمية.

لا يوجد إجماعٌ، ولكن أغلبية الآراء إيجابية. على سبيل المثال، في عام ٢٠٠٨، مع زيادة نشاط القراصنة ضدّ إسرائيل والولايات المتحدة والمواقع الإلكترونية التي عُدَّت مسيئة للإسلام، ذكرت لجنة فتوى الأزهر المصرية أن "المجاهد لديه القدرة على الدفاع ضدّ العدوان، وضبط المجرمين والظالمين. بالتالي، ما ظهر عبر الإنترنت هو ما يُسمّى "الجهاد الإلكتروني" الذي يجوز في الإسلام"[١٩].

وصلت القضية، أيضاً، إلى المغرب والمؤسّسة الدِّينية هناك، حيث قامت مجموعة من القراصنة تُطلق على نفسها "قناصة مغاربة" باختراق عديد من المواقع الإلكترونية الإسرائيلية، ووَضَعَتْ صور الأطفال الفلسطينيين القَتْلى احتجاجاً على عملية الرصاص المصبوب.

صرّح العلماء المغربيون أن الهجمات على المواقع الإلكترونية الإسرائيلية مباحة في الشريعة الإسلامية وجزء من الجهاد الإلكتروني[٢٠]. قال الشيخ بن سالم باشا، أحد العلماء المغاربة: "هذا جهاد حقيقي"، وقال الإمام المغربي أبو زيد: "صحيح أن هناك قوانين تحظر القرصنة، وتحظر الهجمات على مواقع الإنترنت، ولكنهم يجدون أنفسهم في حالة حرب ضدّ إسرائيل، ومن حقّ المسلمين استخدام كلّ الوسائل القانونية أو غير القانونية للرّدّ على العدوّ"[٢١].

هذا لا يعني أن كلّ باحث إسلامي يدعم الجهادَ الإلكتروني بشكل عامّ أو اختراق المواقع الإسرائيلية على وجه الخصوص، كما كان واضحاً عند الباحث السعودي الشيخ صالح الفوزان عندما سألَهُ أحدُ طلابه عن جواز القرصنة الإلكترونية[٢٢]:

"سماحة الشيخ، بعض المسلمين يخترقون مواقع أعداء الله بين اليهود والمسيحيين وغيرهم، ثمّ يُدمّرونها إلكترونياً، ويضرّون المحتوى الإلكتروني الذي يؤدّي إلى أضرار مادية ومعنوية وإصابات لأصحاب هذه المواقع، عن طريق استخدام الجهاد الإلكتروني. ما هو رأيكَ؟"

كان رأي صالح الفوزان هو:

"هذا لا يؤثّر على الكفّار، لأن لديهم القدرة والوسائل والابتكارات لإصلاح ما يحصل من خلالها، وبعد ذلك سوف يذهبون ويَقتلون المسلمين. لذلك لا يجوز، فهي غير مجدية للمسلمين."

من الواضح أن الفوزان لا يعدّه أداةً مفيدة. يمكنكَ من الناحية النَّظَرية اختراق مواقع لإسرائيل وغيرها، لكنها لن تُسبِّبَ أيَّ ضرر كبير، والشيء الوحيد الذي سينتجُ هو تبريرها للانتقام من خلال قَتْل المسلمين. وهكذا، فإن النشاط الإلكتروني رغم نواياه النبيلة، غير جائز.

ما يثير الاهتمام ليس الفتوى نفسها، ولكنْ، كيف أدّت شبكة الإنترنت إلى وَضْع، يمكن فيه للمسلمين الشباب، الذين يسعون إلى التوجيه والإجابات على أسئلتهم، أن يختاروا من بين مجموعة واسعة من الفتاوى التي تُنشَر كل يوم، والمتاحة لأيّ شخص يتّصل بالشبكة، وهناك عديد من الفتاوى المتناقضة اعتماداً على الآراء السياسية والدِّينية لكلّ باحث. عندما تمّ بثّ فتوى الفوزان في الأخبار، أُعيد نَشْرها في منتدى الغدير

على الإنترنت، وسخر منها أعضاؤه، وهو على الأرجح من الشباب. كان أوّل مَنْ شارك الفتوى هو طالب المسعودي الذي كتب تحت النصّ المنسوخ: "أليس من المدهش حقاً أنه يشعر بالقلق إزاء مستضيفي المواقع اليهودية وخسائرها المادية؟ اللهم؛ أنقذ الإسلام والمسلمين من علمائهم الأشرار وفتاواهم"[٢٣]. ردّ أنوار قائلاً إن الفوزان وبقية الشيوخ هم شيوخ الغدر والتّحجّر"[٢٤].

في منتدى آخر، اسمه القدس الحديث، تمّت مشاركة المقال الإخباري نفسه، ممّا تسبّب في الاستياء نفسه، في حين قال المستخدم المسمّى "إسلام" ببساطة "لا تهتمّوا. إن علماء السلاطين كانوا حاضرين في جميع الأوقات والأماكن"، وتابع "نصف مليار مسلم يخافون من أربعة ملايين يهودي"[٢٥]. يمكن رؤية الغضب تجاه تلك الفتوى في كثير من الأماكن، ولكنّ وجهة نظري هي أن الإنترنت أتاحت للملايين الفرصةَ، وإن كانت تحت أسماء مستعارة، للتساؤل وانتقاد السلطة الدِّينية.

ثانياً، فيما يتعلّق بمسألة الاختراق والتجاوزات الحدودية، نرى أن الصراعات المحلية ضدّ إسرائيل تتزايد، وتصبح عالمية، ومستمرّة على مدى العقود الماضية. في حين كان الصراع في الماضي إلى حدّ كبير بين الدول (الحرب العالمية الأولى مثلاً حين قاتل الجنود بعضهم في الخنادق، وتطوّرت في وقت لاحق إلى حرب شاملة مع الحرب العالمية الثانية)، ورأينا في الحرب الباردة كيف أصبحت الصراعات داخلية: الحروب الأهلية بين المجموعات والأنظمة، التي غالباً ما تُموِّلها الهيمنة الإقليمية أو الدولية.

بطبيعة الحال، هناك أمثلة على نزاعات خارجية، مثل الصراع بين الدول المُعترَف بها والدول غير المُعترَف بها مثل الدولة الإسلامية.

بالنسبة لمثال إسرائيل/فلسطين، يبدو أن الاختراق الإلكتروني هو استمرار، أو بالأحرى تنويع للقوى المتحاربة، حيث نرى في مجال القرصنة والنضال الإلكتروني صراعات تقليدية من نوع: محلية / محلية، ودولية غير حكومية / محلية، ومحلية ودولية غير حكومية، وأخيراً، وليس آخراً، دولية غير حكومية / دولية غير حكومية.

الفئة الأولى من نوع: محلية / محلية هي ما تمّ وصفه هنا، والأكثر تفصيلاً في هذا الكتاب، وهو قراصنة فلسطينيين يحاولون اختراق البنية التحتية السيبرانية الإسرائيلية والقراصنة الإسرائيليين، أو من غير الدول، أو داخل الجيش الإسرائيلي / الاستخبارات، ضدّ البنية التحتية الفلسطينية.

أما بالنسبة للمقاتلين الأجانب الذين يتصدّرون العناوين، وبدون أيّ مقارنة أخرى، ينطبق التدويل نفسه على مجال الاختراق، حيث تمكّنت شبكة الإنترنت من تجاوُز الحدود، وتمكّن الأجانب الذين يجلسون على بُعد أميال من الصراع الفعلي والاحتلال من المشاركة تضامناً مع الفلسطينين، أو بسبب قناعات أيديولوجية شخصية مستقلّة عن المتورّطين على الأرض. الجيش السوري الإلكتروني وأوكس عمر السعودي وجيستر الأمريكي وغيرهم هم أمثلة عن هذه الظاهرة.

أما في حالة محلي/دولي، فيمكن تطبيقها على كلٍّ من المجالَيْن الفلسطيني والإسرائيلي في النشاط الإلكتروني، عندما يخترق الفلسطينيون البنيةَ التحتيةَ الخارجيةَ/الدوليةَ لِلَفْتِ الانتباه إلى الوَضْع على أرض الواقع للفلسطينيين تحت الاحتلال، كما كان الحال مع فريق KDMS، أو على فِرَق النشاط الإلكتروني الإسرائيلية التي هاجمت مواقع في السعودية على سبيل المثال رداً على الاختراقات السابقة ضدّ الشركات الإسرائيلية أو الوكالات الحكومية. مع ذلك، لا تنطبق اختراقات فريق هاكر غزّة للبنية

التحتية السيبرانية في أوغندا وبورما، على سبيل المثال على هذه الفئة، في حين أنها، بالتأكيد، أمثلة على تجاوُز الحدود، إلا أنها ليست تدويلاً للصراع الفلسطيني / الإسرائيلي.

لعلّ الأمر الأكثر إثارة للاهتمام هو فئة: دولية غير حكومية / دولية غير حكومية، حيث نرى كيف يُورِّط الصراعُ المحلي اثنتَيْن من الجهات الفاعلة غير الحكومية، والتي نظرياً ليس لها أيّ اتّصال جغرافي. أفضل مثال على ذلك هو القرصان الباكستاني الذي سبق ذِكْره الدكتور نوكر، الذي اخترق اللوبي الإسرائيلي أيباك، ونَشْر معلومات الأعضاء وأرقام بطاقات الائتمان. رأينا، بعد ذلك، أطرافاً دولية أخرى غير حكومية، تقوم بالقرصنة، أو تُهدِّد باختراق مواقع دول أخرى، لتعاونها مع إسرائيل. من الأمثلة على ذلك، فريق "أنونغوست" الذي هدّد بمهاجمة شركات النفط في المملكة العربية السعودية والكويت، لأنها "تعمل لصالح الولايات المتحدة وإسرائيل"[٢٦]. مع ذلك، لم تُؤدّ الهجمات اللاحقة إلا إلى اختراق موقعَيْن بهجمات دوس.

يثير تدويل الصراعات في النشاط الإلكتروني وكلّ ما يستتبعُهُ بعض القضايا. فمن ناحية، يؤدّي الاختراق والتجاوُزات الحدودية التي تشمل كلاً من الجهات الفاعلة المحلية والأجنبية إلى خَلْق فضاء، أصبح فيه العالمُ قريةً صغيرةً، كما ذكر مستر ليون. لا يعتمد الأمر فقط على القدرة الشخصية (الافتراضية) على اختراق موقع على شبكة الإنترنت، يمكن أن يبعدَ أميالاً، ولكنْ، على الاتصالات الحديثة التي جعلتْنا في معظم الأحيان مراقبين، على ما يحدث في أيّ مكان في العالم، وفي غزّة على سبيل المثال. من ناحية أخرى، يجب ألا ننسى أن هذا التطوّر ليس أحاديّ الاتّجاه، لأن الفلسطينيين أنفسهم، أيضاً، تورّطوا، بالضرورة، في صراعات مختلفة تماماً، من خلال الأخبار ووسائل الإعلام الاجتماعية، وما إلى ذلك.

هذا ما يفسّر اختراقَ فريق هاكر غزّة المواقع الإلكترونية البورمية في صراع يُثير كثيراً من المسلمين.

تحدّثتُ سابقاً عن التناقضات الأيديولوجيّة لفريق هاكر في غزّة. من الممكن أن التعاون مع غيرهم من القراصنة المسلمين والعرب عبر الحدود قد أثّر على أيديولوجيّتهم. على سبيل المثال، لو أن فريق هاكر غزّة كان يتألّف فقط من قراصنة فلسطينيين، ولم يتعاون إلى مع فلسطينيين، لربمّا كانت أيديولوجيّتهم أكثر اتّساقاً مع القومية. مع ذلك، وبالتعاون مع القراصنة العرب والإسلاميين الآخرين، اضطرّ فريق غزّة هاكر إلى "تبنّي" مصطلحات وأفكار عبر وطنية أخرى، لتكون منصّة مشتركة للقراصنة من أنحاء العالم العربي جميعه، وتُشكِّل قناعات متباينة.

النتيجة هي أن فريق هاكر غزّة لا يزال ظاهرة فلسطينية، ولكنْ، ربمّا الطبيعة العابرة للحدود في الإنترنت هجّنت الفريق من خلال اتصاله مع جنسيات أخرى.

علاوة على ذلك، فإن هذا الطابع العدواني هو الذي أجبر السلطات الدِّينية على اتخاذ موقف، حيث أتاحت للرجال والنساء الذين يجلسون على بُعد آلاف الأميال اختراقَ البنية التحتية السيبرانية في إسرائيل، أو في أيّ جزء آخر من العالم.

هل الجهاد الإلكتروني هامّ؟

أصبحت البنية التحتية السيبرانية الإسرائيلية عرضةً للاختراقات المتنوّعة على الصعيد العالمي، إذ يمكن استهدافها من كلّ ركن من أركان العالم

- من كيب تاون إلى ترومسو، ومن طوكيو إلى سان فرانسيسكو. وفقاً لإريز كرينر، الرئيس السابق لهيئة أمن المعلومات الوطنية الإسرائيلية، فإن تصاعد الهجمات الإلكترونية على إسرائيل كبير، ولكنه بفعل عناصر أقلّ احترافاً: "أي حرب مستقبلية على إسرائيل ستشمل محاولات هائلة لاختراق شبكات الكمبيوتر والبنية التحتية الإسرائيلية". تحدّثتُ عن الاختراق كأحد أشكال العنف المحاكي، وأكّد كرينر أن الهجمات تسبّبت في بعض الأضرار العامة دون الإضرار بالدولة الإسرائيلية، ولكنّ ما يُقلقه هو هجومٌ ذكيٌّ واضحُ المعالم، يتجاوز الرقابةَ: "القدرة على الإضرار بنا موجودة. المسألة تكمن فقط في اتّخاذ القرار"(٢٧).

رغم أن كرينر شدّد على الدفاعات السيبرانية "الاستثنائية" لإسرائيل، إلا أن البعض أعربَ عن رأيٍ، مفادُه أن إسرائيل، هي في الواقع، أكثرُ ضعفاً من تقييمها في البداية. أحدهم هو تانيا أتياس، وهي مستشارة إسرائيلية للاستخبارات الإلكترونية، علّقت في صحيفة هآرتس:

> *"نعتقد أن الإنترنت في دولتنا آمن جداً، ولكننا لسنا جادّين بذلك. ما حدث لشركة سوني [قرصنة وتسريب معلومات من سوني، في نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠١٤، ويزعم أن كوريا الشمالية مسؤولة عنها]، من الناحية الفنّيّة، يمكن أن يحدث هنا في أيّ وقت. وهو يحدث في الواقع، ولكننا لا نسمع عنه(٢٨).*

مع ذلك، ينبغي ألا يكون لدينا وَهْمٌ بأن هناك توازناً في السلطة بين القراصنة الفلسطينيين والدولة الإسرائيلية. فالمقارنة بينهما ستكون كمقارنة

معمل صناعي حديث ينتج دبابات ميركافا الإسرائيلية بمتجر لمعدّات تصليح المنازل.

من الواضح أن هناك فرقاً بين الوحدات السيبرانية لحماس والجهاد الإسلامي التي تحصل على دَعْم من دول، يشمل الأموال والمعدّات من قطر وإيران وغيرها، ومن بينها فريق هاكر غزّة. يمكن اختراق البنية التحتية السيبرانية الإسرائيلية كما حدث لشركة سوني. فيما يتعلّق بفِرَق الاختراق، مثل فريق غزّة هاكر، فإن قوتها قد تكمن في الكَمّ، وليس في الجودة. مئات الآلاف أو حتّى الملايين من الاختراقات على نطاق صغير سنوياً تُنفّذها مئات الفِرَق والقراصنة الأفراد في أنحاء العالم جميعها ضدّ الشركات الإسرائيلية ومستخدمي البريد الإلكتروني وبطاقات الائتمان وغيرها قد تكون خدعة.

لن أتنبّأ بهذا الأمر، كما أني لن أقوم بتقييم الجهاد الإلكتروني الفلسطيني على أنه "عصر" جديد أو فترة في المقاومة الفلسطينية، مثل زمن الفدائي أو الشهيد أو الاستشهادي. فهو ينتشر على نطاق صغير جداً في المجتمع الفلسطيني، ولم يضعْ بصماته على السرد الوطني الفلسطيني.

لكنّ هذا لا يعني أن ما يقوم به القراصنة الفلسطينيون لا معنى له. بل ينبغي أن ننظر، كجزء من المقاومة الفلسطينية التقليدية، إلى كلّ ما يفعله الفلسطينيون، من المقاومة الفاعلة والمنفعلة، ككيان واحد. مظاهر المقاومة كلّها تُسهم في تشكيل كُلّيّتها، سواء المقاطعة أو المظاهرات أو القرصنة أو الإضراب عن الطعام، ولكنْ، بمفردها تبدو ضعيفة، ولكنها متصلة، وتعمل معاً، وتلك هي القوّة الحاسمة في المقاومة. على سبيل المثال، إذا سأل المرء ما الذي حقّقتْه المقاطعة أو رمي الحجارة وحدها، فإن الجواب سيكون: ليس بالشيء الكثير.

مع ذلك، ساهمتْ هذه الأساليب كلها معاً بشكل كبير، من حالة في الستينيات عندما لم يكنْ يسمع كثيراً عن النضال الفلسطيني، إلى حملات المقاطعة المُنظَّمة دولياً اليوم.

ليس من المعلوم في المستقبل السيبراني ما الذي سيقوم به الفلسطينيون، سواء داخل فلسطين أو في الشتات أو الشرق الأوسط أو أيّ مكان آخر، لكنّ ما نعرفه هو:

"أظهر هذا العامُ أكثر من أيّ وقت مضى أن تناوُل النزاعات السياسية عبر الحدود الدولية لم يعد يتطلّب طائرات ودبّابات وصواريخ. في عالم، يمكن فيه لأيّ رجل أو امرأة وراء لوحة المفاتيح أن يصبح جندياً، فإن الحرب على فلسطين سوف تستمرّ بلا شك لفترة طويلة بعد صمت البنادق"[٢٩].

الخاتمة

ما هي قصة حماس ومصر؟ ولماذا كان الأمر مفاجئاً لي؟ أعترف أني تحدّثتُ كثيراً مع مصادري في حماس عن مصر والإخوان المسلمين، والسيسي والمجلس الأعلى للقوات المُسلّحة، وكيف شعروا أنه دليلٌ على أن الأحزاب الإسلامية لا تستطيع الحصول على السلطة، بسبب الغرب و"دُماهم"، وكان هذا استطراداً كما يحدث في أيّ محادثة.

لكن هذا الجزء من المحادثة لم يُكتَبْ أبداً، في مقالات أو أطروحتي للماجستير، أو في مسودة كتابي. كان فقط مسجّلاً ومحفوظاً على هاتفي والكمبيوتر، ولا أحد يمكنه الوصول إليه، أو إلى المعرفة بشأنه. كيف يمكن أن تعرفه الهيئة النرويجية للأمن القومي؟

ربّما لم يفعلوا ذلك، ولا أستطيع أن أؤكد أنهم يعرفون، ولكنْ، يبدو أنها قد تكون رمية من غير رامٍ بشأن السؤال حول مصر والإخوان المسلمين من بين كل شيء في بحثي الذي كان موضوعه النضال الإلكتروني الفلسطيني.

ناقشتُ المسألة مع مصادر في أجهزة المخابرات النرويجية، وما إذا كان جهاز المخابرات النرويجية قد اخترق هاتفي أو جهاز الكمبيوتر عندما كنتُ في الضّفّة الغربية، فقالوا إنهم لا يعتقدون ذلك، ولكن الهيئة النرويجية للأمن القومي احتفظتْ بحقّ استجواب جهاز الشرطة النرويجي والاستخبارات الأجنبية التي تعاونتْ معي. ليس سرّاً أن المخابرات النرويجية

لديها تعاون وثيق مع المخابرات الإسرائيلية، وربّما كان بإمكانهم الحصول على الأشرطة منهم. من أجل شَرْح وجهة نَظَري، علينا استخدام بعض المراجع من السينما.

الشيء الغريب والمثير للإعجاب حول سلسلة فيلم جيمس بوند هو الطريقة التي تُصوِّر ما يُعَدّ تهديداً رئيساً وتحدّياً اليوم. بينما كان الاتّحاد السوفيتي أو جواسيسه في البداية، الأعداء في أفلامه، فإن أحدث فيلم لجيمس بوند، سبيكتر، يوضح بوضوح أحد أكبر مخاوف اليوم: تحدّي المراقبة. خلقت المراقبةُ مشاكلَ كثيرة لـ (007). آسف للاستطراد، ولكني أعتقد أن جيمس بوند يجب أن يكون أسوأ جاسوس في التاريخ، لأنه يقول اسمه الحقيقي للجميع في اللقاء الأوّل. بعبارة أخرى، كما هو موضّح في المقدّمة، وصلنا إلى مرحلة في هذه الأيام، حيث لا نستطيع الاحتفاظ بمعلومات بشكل آمن.

ما نُخزّنه على أجهزة الكمبيوتر أو الهواتف أو معظم الأجهزة الإلكترونية يبدو أنه متاح لأيّ مراقبة. كان عكس هذ الأمر ببراعة الخصم الرئيس فالنتين، في فيلم "رجال الملك: الخدمة السّرّيّة" عندما قال: "أتعلم لماذا أحبّ القلمَ والورقَ؟ لا أحد يستطيعُ اختراقهما".

لكنْ، مرّة أخرى، لا يبدو أن تخزين كل ما هو مذكرات مكتوبة بخطّ اليد ممكناً، على الأقلّ، ليس إذا كان من المقرّر عبور الحدود الإسرائيلية/ الفلسطينية، حيث يفتّشون أمتعتكَ بشكل دقيق. إلا أن الأمر يختلف بالنسبة لفلسطين. يذهب الطلاب والباحثون إلى أفريقيا وأمريكا اللاتينية وآسيا وكلّ مكان على وجه الأرض، تتواجد فيه معارضة مقموعة بعنف، حيث يواجه المتظاهرون والناشطون السجن، أو ما هو أسوأ، ندركُ أننا غير قادرين على الحفاظ على سلامتهم بغَضِّ النَّظَر عمّا نقوم به.

نعم، يمكننا اتّخاذ الاحتياطات، ولكنّ هذا لا يكفي. إذا كانت المخابرات الإسرائيلية، أو أيّ شخص يريد حقاً العثور على مصادرنا سيجدهم.

دَرَسْنَا في الماجستير حقبةَ ما بعد الاستعمار، وكيفية كتابة وَصْف مشروع جيد، وعن المعضلات الأخلاقية التي قد نواجهها عندما نجري عملنا الميداني، ولكنْ، لم نتعلّم لثانية واحدة عن كيفية حماية مصادرنا في العالم الذي نعمل فيه: عالم التكنولوجيا والمراقبة الشاملة.

ربمّا الجامعات في أنحاء العالم جميعه بحاجة إلى دروس منهجية في مراحل الماجستير ودكتوراه حول التشفير الأساسي، وخوادم الوكيل وما شابه. من الساذج الاعتقاد بأن مصادرنا جميعها ستكون آمنة تماماً، ولكن الوَضْع اليوم لا يمكن اليوم مقارنة الأمر بعدم وجود قفل لباب بيتكَ، بل سيكون أكثر ملاءمة أن نقول إن منازلنا ليس لديها بابٌ أمامي، وهناك لافتاتٌ مضاءةٌ تدلّ كلّ مَنْ يرغب بالدخول.

لا تقتصر هذه المهمة الأساسية على الأوساط الأكاديمية والصحفيين، بل هي هامة للمجتمع ككُل لوَقْف المراقبة التي لا يمكن لأحد أن يعتقد أنها تقتصر على مسألة الأمن. فمن الضروري كما أشار أستاذ علوم الكمبيوتر في جامعة كاليفورنيا فيليب روجاواي في بحث "الطابع الأخلاقي في عمل التشفير"، والتي يجب ذِكْرها كاملة:

> *"التشفير يُعيدُ ترتيب السلطة: فهو يُحدّد مَنْ يستطيع وماذا يستطيع. يجعل هذا الأمر التشفير أداةً سياسيةً بطبيعتها، وتعطي في الميدان بُعْداً أخلاقياً جوهرياً.*

تُحفّز تسريبات سنودن إعادة تقييم الوضع السياسي والأخلاقي للتشفير. وتقودنا للتساؤل عمّا إذا كانت عدم قدرتنا على التّصدّي الفعّال للمراقبة الجماعية تُشكِّل إخفاقاً في مجال عملنا. أعتقد أن ذلك غير صحيح، وأدعو إلى بَذْل جهود على نطاق المجتمع المحلي من أجل إيجاد وسائل أكثر فعالية لمقاومة الرقابة الجماعية"[1].

لتعديل الاقتباس من كيفن كيلي الوارد في المقدمة، وبما أنه بمقدورنا النَّظَر إلى الماضي: "لم يكن هناك أحدٌ أكثر صواباً بشأن الحوسبة من جورج أورويل في روايته "١٩٨٤". حتّى الآن، يشير الفضاء الفعلي الذي خلقتْه الحوسبة إلى أنها بداية وتنفيذ للسلطة والمراقبة الشمولية"[2].



مراجع

المقدّمة:

1. Lappin, Y. (2012) "Anti-Israel hackers strike El Al, TASE websites" (on net), 16 January, http://www.jpost.com/National-News/Anti-Israel-hackers-strike-El-Al-TASE-websites [accessed: 10 October 2015].

2. Al-Iqtisadiyya (2012) "al-Hākkir 'OxOmar' yanshuru mazīdan min bat.āqāt al-i timān al-isrā īliyya" (on net), 12 January, http://www.aleqt.com/2012/01/12/article_615664.html [accessed: 8 October 2015].

3. Ibid.: "Ad ' ū al-hākkirz al- ' arab al-muslimīn li-al-tawah.h.ud d. idd Isrā īl wa al-ind. imām li-hadhihi al-h. arb kamā adū al-hākkirz al-atrāk alladīn yakhtaraqūn al- á dīd min al-mawāqi 'al-iliktrūniyya yawmiyyan" (Translation: "I urge all Muslim and Arab hackers to unite against Israel and join this war, as well as all Turkish hackers who attack the websites daily").

4. al-Jazeera (2012) "Qarās.ina isrā īliyyūn yuridūn á lā al- á rab" (on net), 18 January http://goo.gl/vjLnC9 [accessed: 7 April 2016]..

5. Mikelberg, A. (2012) "Israeli government vows to catch Saudi hacker teen who published thousands of credit card numbers, personal data" (on net), 9 January, http://www.nydailynews.com/news/world/israeli-government-vowscatch-saudi-hacker-teen-published-thousands-credit-card-numbers-personaldata-article-1.1003655 [accessed: 9 October 2015].

6. Deger, A. (2012) "Saudi hacker plays cat-n-mouse with oh-so serious foreign minister" (on net), 17 January, http://mondoweiss.net/2012/01/saudihacker-interviewed-on-game-of-cat-and-mouse-with-israel [accessed: 9 October 2015].

7. Dotson, K. (2012) "Israel vs. Saudi Arabia hacks heating up as Israeli hackers respond in kind" (on net), 18 January, http://siliconangle.com/blog/2012/01/18/israel-vs-saudi-arabia-hacks-heating-up-as-israeli-hackers-respond-in-kind/ [accessed: 9 October 2015].

8. Donia al-Watan (2012) "'Malik al-hākkir al-saū dī' … fī dhimmat Allāh" ["The Saudi-Arabian hacker king" … in the protection of God] (on net), 21 April, http://www.alwatanvoice.com/arabic/news/2012/04/21/271892.html [accessed:12 October 2015].

9. Memri TV (2011) "#2980 – Kuwaiti Islamist preacher Tareq Sweidan, manager of Resala TV, calls for armed resistance and Electronic Jihad against Israel" (on net), 04 June, http://www.memritv.org/clip/en/2980.htm Transcription part 01:56–02:33: "Wa anna hunāk shay 'ism jihād i lāmī wa hunāk shay 'ism jihād siyāsī, wa hunāk shay á n ad ū

al-shabāb bi-shadda lahu alān anā arja ʿan yabda j ihād iliktrūnī [...] hādhā ándī ah. san min á shrīn ámaliyya jihādiyya..." [accessed: 11 October 2015].

10. Suwaydan, T. (2012) "Arā d. arūrat tajmī ʿ juhūd al-h. akkirz fī mashrū ʿ aljihād al-iliktrūnī d. idd al- á ddū al-s.ahyūnī wa huwwa jihād fi āl wa muhimm wa ajruhu á z.īm bi-idhn Allāh" [Twitter], 17 January, https://twitter.com/TareqAlSuwaidan/status/159363852956475392 [accessed: 8 October 2015].

11. Trendle, G. (2002) "Cyberwar". The World Today, vol. 58 (4), p. 7.

12. McChesney, R. (2013) Digital Disconnect: How Capitalism is Turning the Internet Against Democracy. New York, London: The New Press, p. 97.

13. Quoted in: Thornton, A. L. (2001) "Does the Internet create democracy?" Ecquid Novi: African Journalism Studies, vol. 22 (2), p. 128.

14. McChesney, R. (2013) Digital Disconnect: How Capitalism is Turning the Internet Against Democracy. New York, London: The New Press, p. 97.

15. Kelly, K. (1996) "The Electronic Hive: Embrace It". In: Kling. R. (ed.) Computerization and Controversy: Value Conflicts and Social Changes. San Diego, San Francisco, New York, Boston, London, Sydney, Tokyo: Morgan Kaufmann, p. 78.

16. McChesney, R. (2013) Digital Disconnect: How Capitalism is Turning the Internet Against Democracy. New York, London: The New Press, p. 102.

17. Samuel, A. W. (2004) Hacktivism and the Future of Political Participation. PhD thesis, Cambridge, Massachusetts: Harvard University, p. 102.

18. Jordan, T. & Taylor, P. A. (2004) Hacktivism and Cyberwars: Rebels with a Cause? New York, London: Routledge Taylor & Francis Group, p. 12.

19. Ibid.

20. Ibid., p. 15.

21. Ibid., p. 16.

22. Ibid., p. 17.

23. Vegh, S. (2002) "Hacktivism or cyberterrorism? The changing media discourse on hacking" (on net). First Monday: Peer-reviewed Journal on the Internet, vol. 7, (7), http://firstmonday.org/article/view/998/919

24. Jordan, T. & Taylor, P. A. (2004) Hacktivism and Cyberwars: Rebels with a Cause? New York, London: Routledge Taylor & Francis Group, p. 98.

25. Apps, Peter (2010) "Analysis: WikiLeaks battle: a new amateur face of cyber war?" (on net), 9 December, http://www.reuters.com/article/2010/12/09/us-wikileaks-cyberwarfare-amateur-idUSTRE6B81K520101209 [accessed: 11 October 2015].

26. Jordan, T. & Taylor, P. A. (2004) Hacktivism and Cyberwars: Rebels with a Cause? New York, London: Routledge Taylor & Francis Group, p. 69.

27. Andress, J. & Winterfeld, S. (2011) Cyber Warfare. Techniques, Tactics and Tools for Security Practicioners. Amsterdam, Boston, London, New York, Oxford, Paris, San Diego, Singapore, Sydney, Tokyo: Elsevier Syngress.

المقاومة تتطوّر:

1. Wood, E. M. (2008) Citizens to Lords: A Social History of Western Political Thought from Antiquity to the Late Middle Ages. London, New York: Verso Books, p. 4.

2. See for example: Morris, B. (2004) "In '48, Israel did what it had to do" (on net), 26 January, http://articles.latimes.com/2004/jan/26/opinion/oemorris26 [accessed: 12 October 2015]; and Pappe, I. (2007) The Ethnic Cleansing of Palestine. Oxford: Oneworld Publications.

3. Waage, H. H. (2013) Konflikt og Stormaktspolitikk i Midtosten. Kristiansand: Cappelen Damm Akademisk, p. 170.

4. Abufarha, N. (2009) The Making of a Human Bomb. An Ethnography of Palestinian Resistance. Durham, London: Duke University Press, p. 44.

5. For a more elaborate analysis of the development from the fidāʾī into the shahīd and subsequently into the istishhādī see: ibid.

6. Ibid., p. 47.

7. Fanon, F. (2001) The Wretched of the Earth. London: Penguin Books, p. 28.

8. Tveit, O. K. (2015) De skyldige. Oslo: Kagge Forlag, p. 23.

9. Fruchter-Ronen, I. (2008) "Black September: the 1970–71 events and their impact on the formation of Jordanian national identity". Civil Wars, vol. 10 (3), p. 247.

10. Tveit, O. K. (2015) De skyldige. Oslo: Kagge Forlag, p. 70--71.

11. Fruchter-Ronen, I. (2008) "Black September: the 1970–71 events and their impact on the formation of Jordanian national identity". Civil Wars, vol. 10 (3), pp. 249–250.

12. Quoted in: Massad, J. A. (2006) The Persistence of the Palestinian Question: Essays on Zionism and the Palestinians. Abingdon, Oxon: Routledge, p. 33.

13. Ibid.

14. Quoted in: Schindler, C. (2008) A History of Modern Israel. New York: Cambridge University Press, p. 153.

15. Quoted in: Ubaysiri, K. (2004) "Virtual hostage dramas and real politics". Ejournalist, vol. 4 (2), p. 4.

16. Žižek, S. (2009) Violence: Six Sideways Reflections. London: Profile Books Ltd., p. 2.

17. As narrated in: Ibid., p. 9.

الشهيدُ وتطبيع الاحتلال:

1. See for example: Fukuyama, F. (2006) The End of History and the Last Man. New York: Free Press.

2. Hoigilt, J. (2013) "The Palestinian Spring that was not: the youth and political activism in the occupied Palestinian territories". Arab Studies Quarterly, vol. 35 (4), p. 346.

3. Abufarha, N. (2009) The Making of a Human Bomb. An Ethnography of Palestinian Resistance. Durham, London: Duke University Press, p. 60.

4. Coulter, J. (1998) "Why I am not a right-winger: a response to David Horowitz". New Political Science, vol. 20 (1), p. 102.

5. Laub, Z. (2014) "Hamas" (on net), 1 January, http://www.cfr.org/israel/hamas/p8968 [accessed: 12 October 2015].

6. Schanzer, J. (2008) Hamas vs. Fatah: The Struggle for Palestine. New York: Palgrave Macmillan, p. 42.

7. Jean-Klein, I. (2003) "Into committees, out of the house? Familiar forms in the organization of Palestinian committee activism during the first intifada". American Ethnologists, vol. 30 (4), p. 557.

8. King, M. E. (2007) A Quiet Revolution: The First Palestinian Intifada and Nonviolent Resistance. New York: Nation Books, p. 2.

9. Hass, A. (2013) "The inner syntax of Palestinian stone-throwing" (on net), 3 April, http://www.haaretz.com/opinion/the-inner-syntax-of-palestinian-stonethrowing.premium-1.513131?date=1445241507019 [accessed: 19 October 2015].

10. Darweish, M. & Rigby, A. (2015) Popular Protest in Palestine: The Uncertain Future of Unarmed Resistance. London: Pluto Press, pp. 60–62.

11. Quoted in: ibid., p. 78.

12. Schiocchet, L. (2011) "Palestinian Sumud: steadfastness, ritual and time among Palestinian refugees". Birzeit University Working Paper 2011/51, Migration and Refugee Module, p. 1.

13. Rijke, A. & van Teeffelen, T. (2014) "To exist is to resist: Sumud, heroism, and the everyday". Jerusalem Quarterly, issue 59, p. 86.

14. Darweish, M. & Rigby, A. (2015) Popular Protest in Palestine: The Uncertain Future of Unarmed Resistance. London: Pluto Press, p. 57.

15. Ibid., p. 40.

16. Ibid., p. 41.

17. Parker, S. (2014) Bertolt Brecht: A Literary Life. London, New Delhi, New York, Sydney: Bloomsbury, p. 385.

الحصنُ الرَّقْميّ: عقدة الجيش الإسرائيلي الرَّقْمية:

1. Who Is Hosting This? (2014) "Internet censorship around the globe" (on net), 20 February, http://www.whoishostingthis.com/blog/2014/02/20/Internetcensorship/ [accessed: 13 October 2015].

2. Hofheinz, A. (2005) "The Internet in the Arab world: playground for political liberalization". Internationale Politik und Gesellschaft, issue 3, p. 80.

3. Vincent, P. & Warf, B (2007) "Multiple Geographies of the Arab Internet". Area, vol. 1, p. 90.

4. The Economist (2014) "Surfing the shabaka" (on net), 12 April, http://www.economist.com/news/middle-east-and-africa/21600732-worlds-fifth-mostspoken-

language-lags-online-surfing-shabaka [accessed: 13 October 2015].

5. Vincent, P. & Warf, B (2007) "Multiple geographies of the Arab Internet". Area, vol. 39 (1), p. 88.

6. Wheeler, D. L. (2009) "Working around the Arab state: Internet use and political identity in the Arab world". In: Chadwick, A. & Howard, P. N. (eds.) Routledge Handbook of Internet Politics. New York: Routledge, p. 307.

7. Wheeler, D. L. (2006) "Empowering publics: information technology and democratization in the Arab world – lessons from Internet cafes and beyond". Oxford Internet Institute, Research Report no. 11, p. 6.

8. ICT Facts and Figures (2013) The World in 2013. ICT Data and Statistics Division, p. 3.

9. Wheeler, D. L. (2009) "Working around the Arab state: Internet use and political identity in the Arab world". In: Chadwick, A. & Howard, P. N. (eds.) Routledge Handbook of Internet Politics. New York: Routledge, p. 311.

10. Ibid.

11. Hofheinz, A. (2011) "Nextopia? Beyond revolution 2.0". International Journal of Communication, vol. 5, p. 1418.

12. Tufekci, Z. & Wilson, C. (2012) "Social media and the decision to participate in political protest: observations from Tahrir Square". Journal of Communication, vol. 62 (1), p. 365.

13. Ibid., p. 376.

14. Wheeler, D. L. (2006) "Empowering publics: information technology and democratization in the Arab world – lessons from Internet cafes and beyond". Oxford Internet Institute, Research Report no. 11, p. 17.

15. The RSA (2011) "The Internet in society: empowering or censoring citizens?" [YouTube], 14 March, https://www.youtube.com/watch?v=Uk8x3V-sUgU [accessed: 18 November 2015], 8:40–8:58.

16. The Event is one of the best-known and most important theories of the French philosopher Alain Badiou, and is in many ways an extension of Maoism and its theory of revolution. Andrew Robinson describes it thus: "In an Event, the inconsistent multiplicity which always lies beneath a particular social order is able to appear subjectively. Only in an Event can the excluded part be visible. An Event succeeds in representing a part which is previously unrepresented. This unfolding of new representations from an Event produces Truths, Subjects, and new social systems." (Robinson, A. (2014) "An A to Z of theory | Alain Badiou: the event" (on net), 15 December, https://ceasefiremagazine.co.uk/alain-badiou-event/ [accessed: 5 April 2016].

17. The RSA (2011) "The Internet in society: empowering or censoring citizens?" [YouTube], 14 March, https://www.youtube.com/watch?v=Uk8x3V-sUgU [accessed: 18 November 2015], 7:35–7:57.

18. Carmel, E. & de Fontenay, C. (2001) "Israel's Silicon Wadi: the forces behind cluster

formation". SIEPR Discussion Paper 00-40. Stanford University (June), p. 2.

19. Eisenhower, D. D. (n.d.) "Military-industrial complex speech, Dwight D. Eisenhower, 1961" (on net), http://coursesa.matrix.msu.edu/~hst306/documents/indust.html [accessed: 13 October 2015].

20. Derouen Jr., K. (2000) "The guns–growth relationship in Israel". Journal of Peace Research, vol. 37 (1), p. 73.

21. Lysestol, P. M. (2016) Israel Bak Muren av Myter og Propaganda. Oslo: Forlaget Manifest, pp. 95, 96 and 107.

22. Ibid., p. 108.

23. Ibid., p. 94.

24. Derouen Jr., K. (2000) "The guns–growth relationship in Israel". Journal of Peace Research, vol. 37 (1), p. 75.

25. Lysestol, P. M. (2016) Israel Bak Muren av Myter og Propaganda. Oslo: Forlaget Manifest, p. 96.

26. Hanieh, A. (2003) "From state-led growth to globalization: the evolution of Israeli capitalism". Journal of Palestine Studies, vol. 32 (4), p. 14.

27. Halper, J. (2015) The War Against the People: Israel, the Palestinians and Global Pacification. London: Pluto Press, p. 266.

28. Derouen Jr., K. (2000) "The Guns-Growth Relationship in Israel". In: Journal of Peace Research, vol. 37 (1), p. 79/80.

29. Bichler, S. & Nitzan, J. (1995) "The great U-turn: restructuring in Israel and South Africa". New From Within, vol. 11 (9), p. 29.

30. Ibid., p. 30.

31. See for example: Fukuyama, F. (2006) The End of History and the Last Man. New York: Free Press.

32. Quoted in: Halper, J. (2015) The War Against the People: Israel, the Palestinians and Global Pacification. London: Pluto Press, p. 258 (italics added).

33. Ibid., p. 259.

34. Bichler, S. & Nitzan, J. (2002) "The new economy or transnational ownership? The global policy economy of Israel" [Conference Paper]. In: The Regional Divide: Promises and Realities of the New Economy in a Transatlantic Perspective. Toronto, Canada (3–4 May), p. 60.

35. Lysestol, P. M. (2016) Israel Bak Muren av Myter og Propaganda. Oslo: Forlaget Manifest, pp. 128–129.

36. Bichler, S. & Nitzan, J. (2002) "The new economy or transnational ownership? The global policy economy of Israel" [Conference Paper]. In: The Regional Divide: Promises and Realities of the New Economy in a Transatlantic Perspective. Toronto, Canada (3–4 May), p. 60; and Lysestol, P. M. (2016) Israel Bak Muren av Myter og Propaganda. Oslo: Forlaget Manifest, p. 124.

37. Hanieh, A. (2003) "From state-led growth to globalization: the evolution of Israeli capitalism". Journal of Palestine Studies, vol. 32 (4), p. 14.

38. Who Profits/The Coalition of Women for Peace (2011) Technologies of Control: The Case of Hewlett Packard. Tel Aviv: Yegia Kapayim St, p. 7.

39. Halper, J. (2015) The War Against the People: Israel, the Palestinians and Global Pacification. London: Pluto Press, p. 266.

40. Ibid., p. 105.

41. Carmel, E. & de Fontenay, C. (2001) Israel's Silicon Wadi: the forces behind cluster formation. SIEPR Discussion Paper 00-40. Stanford University (June), p. 5.

42. Ibid., p. 9.

43. Ibid., p. 10.

44. Butler, J. S. & Swed, O. (2015) "Military capital in the Israeli hi-tech industry". Armed Forces & Societies, vol. 41 (1), p. 124.

45. Ibid., pp. 127–129.

46. Carmel, E. & de Fontenay, C. (2001) Israel's Silicon Wadi: the forces behind cluster formation. SIEPR Discussion Paper 00-40. Stanford University (June), p. 27.

47. Ibid., p. 27.

48. Halper, J. (2015) The War Against the People: Israel, the Palestinians and Global Pacification. London: Pluto Press, p. 267.

49. Neuman, E. (2014) "Israel's army, a high-tech powerhouse without the sense to cash in" (on net), 13 August, http://www.haaretz.com/business/.premium-1.610148 [accessed: 13 October 2015].

50. Ibid.

51. Ein-Dor, P. Goodman, S. E. & Wolcott, P. (2000) "From Via Maris to electronic highway: the Internet in Canaan". Communications of the ACM, vol. 43 (7), p. 20.

52. Vincent, P. & Warf, B. (2007) "Multiple geographies of the Arab Internet". Area, vol. 1, p. 93.

53. Ein-Dor, P. Goodman, S. E. & Wolcott, P. (2000) "From Via Maris to electronic highway: the Internet in Canaan". Communications of the ACM, vol. 43 (7), p. 21.

54. Ma'an News Agency (2013) "3G void limits West Bank's smartphone revolution" (on net), 24 July, http://www.maannews.com/Content.aspx?id=616583 [accessed: 13 October 2015].

55. Personal communication (anecdotal/experiential evidence), Ramallah, 9 September 2014.

56. Arafeh, N., Abdullah, W. F. & Bahour, S. (2015) "ICT: The shackled engine of Palestine's Development" (on net), 9 November, https://al-shabaka.org/briefs/ict-the-shackled-engine-of-palestines-development/ [accessed: 19 April 2015].

57. Nashif, N. (2016) "Israel-Palestine: social media as a tool of oppression"(on net), 18 April, http://www.huffingtonpost.com/nadim-nashif/israel-palestinesocial-media_b_9699816.html [accessed: 19 April 2015].

58. Prusher, I. R. (1996) "Palestinians sprint to break Israeli grip on phone lines" (on net), 20 August, http://www.csmonitor.com/1996/0820/082096.intl.intl.2.html [accessed: 13 October 2015]

59. Vincent, P. & Warf, B. (2007) "Multiple geographies of the Arab Internet". Area, vol. 1, p. 84.

60. Internet World Stats (n.d.) "Palestine Territory (Gaza and West Bank) Internet usage, broadband and telecommunication reports" (on net), http://www.Internetworldstats.com/me/ps.htm [accessed: 13 October 2015].

61. Bates, T. R. (1975) "Gramsci and the theory of hegemony". Journal of the History of Ideas, vol. 36 (2), p. 351.

62. Aouragh, M. (2008) "Everyday resistance on the Internet: the Palestinian context". Journal of Arab and Muslim Media Research, vol. 1 (2), p. 115.

63. Counter-publics are in this book defined as by Nancy Fraser: "parallel discursive arenas where members of subordinated social groups invent and circulate counterdiscourses, which in turn permits them to formulate oppositional interpretations of their identities, interests and needs". Fraser, N. (1990), "Rethinking the public sphere: a contribution to the critique of actually existing democracy". Social Text, no. 25/26 , p. 67.

الاستشهادي ونشوء الجهاد الإلكتروني الفلسطيني:

1. Allen, L. (2008) "Getting by the occupation: how violence became normal during the Second Palestinian Intifada". Cultural Anthropology, vol. 23 (3), p. 455.

2. Pressman, J. (2003) "The Second Intifada: background and causes of the Israeli–Palestinian conflict". The Journal of Conflict Studies, vol. 23 (2), https://journals.lib.unb.ca/index.php/jcs/article/view/220/378 [accessed: 19 November

2015].

3. Halper, J. (2015) The War Against the People: Israel, the Palestinians and Global Pacification. London: Pluto Press, p. 174.

4. Abufarha, N. (2009) The Making of a Human Bomb. An Ethnography of Palestinian Resistance. Durham, London: Duke University Press, p. 78.

5. Ibid., p. 77.

6. Ibid., p. 158.

7. Darweish, M. & Rigby, A. (2015) Popular Protest in Palestine: The Uncertain Future of Unarmed Resistance. London: Pluto Press, p. 68.

8. Quoted in Tuastad, D. (2003) "Neo-Orientalism and the new barbarism thesis: aspects of symbolic violence in the Middle East conflict(s)". Third World Quarterly, vol. 24 (4), p. 596.

9. Gregory, D. (2004) "Palestine and the 'War on Terror'". Comparative Studies of South Asia, Africa and the Middle East, vol. 24 (1), p. 184.

10. Quoted in: ibid.

11. Harel, A. (2006) "Shin Bet: Palestinian truce main cause for reduced terror" (on net), 1 February, http://www.haaretz.com/print-edition/news/shin-betpalestinian-truce-main-cause-for-reduced-terror-1.61607 [accessed: 14 October 2015].

12. Newton, M. (2004) Hich-Tech Crime and Crime-Fighting: From Airport Security to the ZYX Computer virus. New York: Checkmark Books, p. 308.

13. Ibid.

14. A mirror site is a copy of an existing website, and is set up in order to reduce network traffic.

15. Newton, M. (2004) High-Tech Crime and Crime-Fighting: From Airport Security to the ZYX Computer Virus. New York: Checkmark Books, p. 308.

16. Allen, P. D. & Demchak, C. C. (2003) "The Palestinian–Israeli: cyberwar". Military Review, vol. 83 (2), p. 52.

17. Gambill, G. C. (2000) "Who's winning the Arab–Israeli cyber war?" Middle East Intelligence Bulletin, vol. 2, November (10).

18. Ibid.

19. Ibid.

20. Hershman, T. (2001) "Israeli discusses the 'inter-fada'" (on net), 12 January, http://archive.wired.com/politics/law/news/2001/01/41154 [accessed: 14 October 2015].

21. Halper, J. (2015) The War Against the People: Israel, the Palestinians and Global Pacification. London: Pluto Press, p. 106.

22. Krebs, B. (2013) "DHS: 'OpUSA' may be more bark than bite" (on net), 2 May, http://krebsonsecurity.com/2013/05/dhs-opusa-may-be-more-bark-thanbite/ [accessed: 14 October 2015].

23. Palestine National Authority/Palestinian Central Bureau of Statistics (2008) Palestine in Figures 2007. Ramallah, Palestine: Palestinian Central Bureau of Statistics, p. 8.

24. Ibid.

25. Ibid., p. 17.

26. Ibid., p. 8.

27. International Business Publications, USA (2015) Palestine (West Bank and Gaza) Education System and Policy Handbook, volume 1 Strategic Information and Developments. Washington, DC: Global Investment Center, USA, p. 55.

28. Ibid.

29. Gambetta, D. & Hertog, S. (2007) Engineers of Jihad (on net). Sociology Working Papers, Paper Number 2007-10, Department of Sociology, University of Oxford, Oxford OX1 3UQ, http://www.sociology.ox.ac.uk/materials/papers/2007-10.pdf, p. 34. 30. Ibid., p. 12.

31. Quoted in: Farwell, J. P. & Rohozinski, R. (2011) "Stuxnet and the future of cyber war". Survival, vol. 53 (1), p. 23.

32. Langner, R. (2011) "Stuxnet: dissecting a cyberwarfare weapon". Security and Privacy, IEEE, vol. 9 (3), p. 49.

33. Kelley, M. B. (2013) "The Stuxnet attack on Iran's nuclear plant was 'far more dangerous' than previously thought" (on net), 20 November, http://www.businessinsider.com/stuxnet-was-far-more-dangerous-than-previousthought-2013-11 [accessed: 19 October 2015].

34. Haaretz (2013) "Snowden says Israel, U.S. created Stuxnet virus that attacked Iran"

(on net), 9 July, http://www.haaretz.com/news/diplomacydefense/1.534728 [accessed: 15 October 2015].

35. Nakashima, E. & Warrick, J. (2012) "Stuxnet was work of U.S. and Israeli experts, officials say" (on net), 2 June, https://www.washingtonpost.com/world/national-security/stuxnet-was-work-of-us-and-israeli-experts-officialssay/2012/06/01/gJQAlnEy6U_story.html [accessed: 15 October 2015].

36. Farwell, J. P. & Rohozinski, R. (2011) "Stuxnet and the future of cyber war". Survival, vol. 53 (1), p.30.

37. Halper, J. (2015) The War Against the People: Israel, the Palestinians and Global Pacification. London: Pluto Press, p. 107.

فريق هاكر غزّة: الجهاد الإلكتروني وأطفال السكريبت:

1. Shamah, D. (2012) "How Israel police computers were hacked: the inside story" (on net), 28 October, http://www.timesofisrael.com/how-israel-policecomputers-were-hacked-the-inside-story/ and Haq, T., Moran, N. & Villeneuve, N. (2013) "Operation Molerats: Middle East cyber attacks using Poison Ivy" (on net), 23 October, https://www.fireeye.com/blog/threat-research/2013/08/operation-molerats-middle-east-cyber-attacks-using-poison-ivy.html [both accessed: 23 October 2015].

2. Shamah, D. (2014) "Xtreme RAT bites Israeli government sites, yet again" (on net), 12 February, http://www.timesofisrael.com/xtreme-rat-bites-israeligovernment-sites-yet-again/ [accessed: 23 October 2015].

3. Haq, T., Moran, N. & Villeneuve, N. (2013) "Operation Molerats: Middle East cyber attacks using Poison Ivy" (on net), 23 October ,https://www.fireeye.com/blog/threat-research/2013/08/operation-molerats-middle-east-cyberattacks-using-poison-ivy.html [accessed: 23 October 2015].

4. mr.leon, personal communication, 10 March 2015.

5. Ibid., 10 September 2014: "Lā nantamī ilā ayy h. araka … Nah. nu shabāb falast. īniyyīn min Ghazza" [We do not belong to any movement… We are Palestinian youth from Gaza].

6. Personal communication (anecdotal/experiential evidence), 27 September 2014.

7. The Internet Wayback Machine (2014) "Gaza Hacker Team forum, frontpage" (on net), 26 June, https://web.archive.org/web/20140626165239/http://gazahacker.net/cc/ [accessed: 23 October 2015].

8. Gaza Youth Breaks Out (n.d.) "Manifesto 1.0", http://gazaybo.wordpress.com/manifesto-0-1/ [accessed: 23 October 2015].

9. Personal communication (anecdotal/experiential evidence).

10. Skare, E. (2013) "Norman Finkelstein om Oslo-avtalen, palestinsk quislingstyreog intifadaen" (on net), 11 January, http://radikalportal.no/2013/01/11/norman-finkelstein-om-oslo-avtalen-palestinsk-quislingstyre-og-intifadaen/ [accessed: 24 October 2015].

11. Word By Map (2014) "Median age" (on net), 13 April, http://world.bymap.org/MedianAge.html [accessed: 23 October 2015].

12. Hoigilt, J. (2013) "The Palestinian Spring that was not: the youth and political activism in the occupied Palestinian territories". Arab Studies Quarterly, vol. 35 (4), p. 350.

13. Quoted in: Žižek, S. (2009) Violence: Six Sideways Reflections. London: Profile Books, pp. 32–33.

14. Syrian Electronic Army, personal communication, 31 March 2015.

15. mr.leon, personal communication, 15 September 2014: "nutabir juz à min al-muqāwa- ma al-falast.īniyya al-musallah. a" [We are a part of the Palestinian armed resistance].

16. Gaza Hacker Team (n.d.) "Mr.le0n: Ma lūmāt à nnī", http://gaza-hacker.net/cc/mem- ber-u_9.html [accessed: 21 September 2014]. The website is no longer accessible.

17. Gaza Hacker Team (n.d.) "Casper: Ma lūmāt à nnī", http://gaza-hacker.net/cc/mem- ber-u_20.html [accessed: 21 September 2014]. The website is no longer accessible.

18. Gaza Hacker Team (n.d.) "ihdā i-al-sha b al-falast.īnī: Injāzāt Farīq Qarās.inat Ghazza" [A dedication to the Palestinian people: the achievements of Gaza Hacker Team], p. 5.

19. Ibid., p. 6, "fa-al-h. asā ir sanawiyyan tas.il ilā malāyyīn al-dūllārāt bi-sabbab àmaliyyāt al-ikhtirāq wa nisaf al-mawāqi " [So the yearly loss in the millions of dollars because of the hacker operations and destruction of websites].

20. mr.leon, personal communication, 29 September 2014: "fa-al-ikhtirāqāt tad. urr bi-al- iqtis.ād al-isrā'īlī wa tu'aththir bi-shakl mubāshir'alā is.h. āb al-sharikāt al-istid. āfa li- à dam thuqqat al-ù malā bihim" ["so the attacks hurt the Israeli economy and affects the hosting companies directly due to the lack of customer confidence in them"].

21. InfoSecurity (2012) "DDoS and the collateral damage of hacktivism" (on net), 21 August, http://www.infosecurity-magazine.com/news/ddos-and-the-collateral-damage-of-hack- tivism/ [accessed: 23 October 2015].

22. Ohlheiser, A. (2013) "Hackers shut down a tunnel road in Israel" (on net), 27 October, http://www.thewire.com/global/2013/10/hackers-shut-down-tunnelroad-israel/70983/ [accessed: 24 October 2015].

23. mr.leon, personal comment, 29 September 2014: "wa ayd.an īs.āl rasā il à lā wājihat al-mawāqi " ["and it also sends a message on the websites"].

24. Ibid., p. 7.

25. al-Aqsa Martyrs' Brigade fighter, personal communication, 15 October 2014.

26. Main representative Palestinian Islamic Jihad West Bank, personal communication, 16 November 2014.

27. Zitun, Y. (2012) "Cyber attacks didn't harm vital systems" (on net), 16 January, http:// www.ynetnews.com/articles/0,7340,L-4176543,00.html [accessed: 23 October 2015].

28. Goldberg, M. (2012) "An eye for an eye a hack for a hack" (on net), 24 January, http:// www.jpost.com/Blogs/Israel-up-close-and-personal/An-eye-for-an-eyea-hack-for-a- hack-366176 [accessed: 23 October 2014].

29. Carl in Jerusalem (2012) "El Al and Tel Aviv Stock Exchange websites hacked" (on net), 16 January, http://israelmatzav.blogspot.no/2012/01/el-al-and-telaviv-stock-exchange. html [accessed: 23 October 2015].

30. Kerr, D. (2014) "Israel Army's Twitter account hacked, posts 'incorrect' tweets" (on net), 3 July, http://www.cnet.com/news/israel-armys-twitter-accounthacked-posts-in- correct-tweets/ [accessed: 23 October 2015].

31. Ibid.

32. Cohen, G. (2013) "IDF forms new force to combat cyber warfare" (on net), 4 March, http://www.haaretz.com/israel-news/idf-forms-new-force-to-combatcyber-warfare.premium-1.506979 [accessed: 23 October 2015].

33. Prime Minister's Office (2014) "Decision to establish a new national authority for operative cyber defense" (on net), 21 September, http://www.pmo.gov.il/English/MediaCenter/Spokesman/Pages/spokecyber2210914.aspx [accessed:

23 October 2015].

34. Hill, K. (2013) "Here's what it looks like when a 'smart toilet' gets hacked [video]" (on net), 15 August, http://www.forbes.com/sites/kashmirhill/2013/08/15/heres-what-it-looks-like-when-a-smart-toilet-gets-hacked-video/ [accessed: 23 October 2015].

35. Shamah, D. (2015) "Gaza 'porn star video' spread malware in Israel, says report" (on net), 16 February, http://www.timesofisrael.com/gaza-porn-starvideo-spread-malware-in-israel-says-report/ [accessed: 23 October 2015]

36. Dahms, T. (2014) "Molerats, here for Spring!" (on net), 2 June, https://www.fireeye.com/blog/threat-research/2014/06/molerats-here-for-spring.html [accessed: 23 October 2015].

37. Bennett, J. T. & Villeneuve, N. (2014) "XtremeRAT: nuisance or threat?" (on net), 19 February, https://www.fireeye.com/blog/threat-research/2014/02/xtremerat-nuisance-or-threat.html [accessed: 23 October 2015].

38. See for example: Kaspersky Lab (2015) The Desert Falcons Targeted Attacks. Kaspersky Lab (on net), https://securelist.com/files/2015/02/The-Desert-Falcons-targeted-attacks.pdf, p. 4 [accessed: 7 April 2016].

39. Hough, E. D., Mead, N. R. & Stehney II, T. R. (2005) Security Quality Requirements Engineering (SQUARE) Methodology. November (CMU/SEI- 2005-TR-009). Software Engineering Institute, Carnegie Mellon University.

40. Trend Micro Threat Research Team (2015) Operation Arid Viper: Bypassing the Iron Dome (on net). Trend Micro, p. I (Introduction), http://www.trendmicro.co.uk/media/wp/operation-arid-viper-whitepaper-en.pdf [accessed: 11 April 2016].

41. Middle East Cyber Army Jaysh al-Sharq al-Awsat. al-Iliktrūnī (2015) Middle East Cyber Army Jaysh al-Sharq al-Awsat. al-Iliktrūnī [Facebook], 7 April, https://www.facebook.com/Middle.East.Cyber.Army.7/photos/pb.413084208853473.-2207520000.1454938911./421484504680110/?type=3&theater [accessed: 8 February 2016].

42. BlackRose (2012) Marja Q̇ arās.inat Ghazza li-h. aqn qawā id al-bayānāt (Manual of Gaza Hacker Team for Data-injection), November.

43. Ibid: "Qirā átak li-al-kitāb tantaqil mubāshirahu ilā s.aff al-muh. tarafīn", p. 4.

من القوم إلى الأمّة:

1. Gaza Hacker Team (n.d.) "ihdā İ i-al-sha ḃ al-falast.īnī: Injāzāt Farīq Qarās.inat Ghazza" ["A dedication to the Palestinian people: the achievements of Gaza Hacker Team"], p. 7.

2. Ibid., p. 8.

3. Ibid., p. 6.

4. Ibid.

5. al-Jazeera (n.d.) "Mīthāq h. arakat al-muqāwama al-islāmiyya (H. amās)" ["Charter of the Islamic Resistance Movement (Hamas)"] (on net), http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/0b4f24e4-7c14-4f50-a831-ea2b6e73217d [accessed: 27 October 2015].

6. Ibid., p. 8.

7. Ibid.

8. For a brief overview of several hacked websites conducted by Gaza Hacker Team, see Zone-H: https://zone-h.org/archive/notifier=Gaza%20Hacker%20Team/page=1?zh=1

9. Zone-H (2012) "Defacement of hasamba.co.il" (on net), 25 August, https://zone-h.org/mirror/id/18255985 [accessed: 29 September 2014].

10. Oxford Dictionary of Islam (2015) "Rawafid". In: Esposito, J. L. (ed.) Oxford Islamic Studies Online (on net), 27 October, http://www.oxfordislamicstudies.com/article/opr/t125/e1985 [accessed: 27 October 2015].

11. mr.leon, personal communication, 10 March 2015: "al-islām lam yantashir bi-al-sayf".

12. Ibid.: "Dā ish s.anā à amrīkiyya wa gharbiyya li-tashwīh s.ūrat al-islām".

13. mr.leon, personal communication, 8 March 2015.

14. Parker, S. (2014) Bertolt Brecht: A Literary Life. London, New Delhi, New York, Sydney: Bloomsbury, p. 2.

15. AnonRRD (2015) "Please remove the phrase 'electronic holocaust', #OpIsrael does not mean that, our fight is for the Palestinian people" [Twitter], 7 April, https://twitter.com/AnonRRD/status/585394387661803520 [accessed: 8 April 2015].

16. #OpIsrael (2015) "To clarify, we at this account do not endorse to usage of the word Holocaust. We did not come up with 'Electronic Holocaust'". #OpIsrael" [Twitter], 7 April, ttps://twitter.com/Op_Israel/status/585461368851169280[accessed: 8April2015].

17. BlackOps, personal communication, 4 April 2015.

18. Ezna1 (2016) "Ashba 7 KH" [Internet archive], 10 January, https://archive.org/details/Ashba7KH [accessed: 12 January 2016].

19. Lia, B. (2015) "The Islamic State (IS) and its mediatized barbarism" (on net), 14 March, https://newmeast.wordpress.com/2015/03/14/the-islamicstate-is-and-its-mediatized-barbarism/ [accessed: 27 October 2015].

20. Ibid.

21. I should note that the theory of Ibn Khattab's appeal is not mine, but was suggested to me in discussions with Anne Stenersen.

22. mr.le0n, personal communication, 8 March 2015.

23. Casper (2010) "Jamī' kalimāt wazīr al-h. arb fī dawlat al-islām al-shaykh Abū Hamza al-Muhājir" (on net), 15 February, http://gaza-hacker.cc/showthread-t_5549.html [accessed: 16 October 2015]. The website is no longer accessible.

24. Casper (2009) "al-Furqān: [al-Iqtih. āmāt afja] kalima li-al-shaykh Abī Muh. ammad al-À dnānī – H. aff" (on net), 1 November, http://gaza-hacker.net/cc/showthread-t_42555.html [accessed: 16 March 2015]. The website is no longer accessible.

25. Casper (2010) "Jamī kalimāt wazīr al-h. arb fī dawlat al-islām al-shaykh Abū Hamza al-Muhājir" (on net), 15 February, http://gaza-hacker.cc/showthread-t_5549.html [accessed: 16 October 2015]. The website is no longer accessible.

26. mr.leon, personal communication, 15 March 2015.

27. Coleman, G. (2014) Hacker, Hoaxer, Whistleblower, Spy: The Many Faces of Anonymous. London, New York: Verso Books, p. 174.

28. Gaza Hacker Team forum front page (n.d.), http://gaza-hacker.net/cc[accessed: 26 September 2014 The website is no longer accessible.

29. Zone-H (2012) "Defacement of hasamba.co.il" (on net), 25 August, https://zone-h.org/mirror/id/18255985 [accessed: 29 September 2014].

30. "lā il āha il la Allāh, wa Muh. ammad rasūl Allāh" ["There is no God but God, and Muhammad is his prophet"].

31. Zone-H (2012) "Defacement of ybcreative.co.il" (on net), 28 July, http://zone-h.org/mirror/id/18151204 [accessed: 29 September 2014].

32. Zone-H (2013) "Defacement of mamtakim4u.co.il" (on net), 25 February, http://zone-h.org/mirror/id/19395494 [accessed: 29 September 2014].

33. Zone-H (2012) "Defacement of asia-construction.co.il" (on net), 14 June, http://zone-h.org/mirror/id/17900790 [accessed: 29 September 2014].

34. Zone-H (2012) "Defacement of your-smile.co.il" (on net), 17 November, http://zone-h.org/mirror/id/18608836 [accessed: 29 September 2014].

35. Pape, R. (2005) Dying to Win: The Strategic Logic of Suicide Bombing. New York: Random House Publishing Group, p. 67.

36. Ibid., p. 4.

37. "al-h. arb mustamirra li-ākhir sahyūnī 'alā ard. Falast.īn al-h. abība": Zone-H (2012) "Defacement of hasamba.co.il" (on net), 25 August, https://zone-h.org/mirror/id/18255985 [accessed: 29 September 2014].

38. Ú mar al-Ú mūr (2013) " ȧ jil ::: risāla min Qarās.inat Ghazza li-al- á ddū alsahyūnī… al-rijā á l-nashar" ("Urgent ::: message from Gaza Hacker Team to the Zionist enemy … Please share" [YouTube], 8 April, https://www.youtube.com/watch?v=hi9Yd3RxLyQ [accessed: 18 March 2015]. As Gaza Hacker Team

in the interviews was asked if they had any political manifesto or ideology, they referred to this YouTube-video: mr.leon, personal communication, 10 September 2014.

39. Ibid.: "wa-innanā bi-qarās.inat Ghazza natawā id. al- á dū al-isrā īlī ihāya h. as.ala á layhi mabtruhin lil-asīrī Sāmir al- Īsāwī".

40. McCants, W. (2015) The ISIS Apocalypse: the History, Strategy, and Doomsday Vision of the Islamic State, New York: St. Martin's Press, p. 56.

41. mr.leon 2014, pers. comm., 10 September.

42. Zone-H (2012) "Defacement of education.go.ug" (on net), 17 July, http://zone-h.org/mirror/id/18095314 [accessed: 29 September 2014].

43. Key to Islam (n.d.) "Introduction: the key to understanding Islam" (on net), http://www.thekeytoislam.com/en/ [accessed: 13 March 2015].

44. Wade, F. (2012) "Burma 'creating humanitarian crisis' with displacement camps in Arakan" (on net), 13 July, http://www.theguardian.com/world/2012/jul/13/burma-humanitarian-crisis-rohingya-arakan [accessed: 27 October 2015].

45. Zone-H (2012) "Defacement of ministryofinformation.gov.mm/administrator" (on net), 17 July, https://www.zone-h.org/mirror/id/18096067 [accessed: 29 September 2014].

46. Hegghammer, T. (2009) "Jihadi-Salafis or revolutionaries? On religion and politics in the study of militant Islamism". In: Meijer, R. (ed.) Global Salafism: Islam's New Religious Movement. London: C. Hurst & Co., p. 254.

47. Ibid., p. 263.

48. I should note that the comparison is not mine and was made by Thomas Hegghammer. Ibid., p. 259.

الجهاد الإسلامي وحماس: الألوية الإلكترونية الفلسطينية:

1. Hamas member 2, personal communication, 29 October 2014.

2. Hamas member 1, personal communication, 29 October 2014.

3. Ibid.

4. Bunt, G. (2005) "Defining Islamic interconnectivity". In: Cooke, M. & Lawrence, B. B. (eds.) Muslim Networks From Hajj to Hip Hop. Chapel Hill, London: The University of North Carolina Press, p. 245.

5. Abu Amer, A. (2015) "Hamas' cyber battalions take on Israel" (on net), 29 July, http://www.al-monitor.com/pulse/originals/2015/07/palestine-israel-internetcyber-war-hacking.html [accessed: 4 November 2015].

6. Ibid.

7. Ruef, A., Shakarian, J. & Shakarian, P. (2013) Introduction to Cyber-Warfare: A Multidisciplinary Approach. Waltham: Syngress, Elsevier, pp. 39–40.

8. Ibid.

9. Žižek, S. (2009) Violence: Six Sideways Reflections. London: Profile Books, p. 65.

10. al-Madhoun, O. (2008) "Islamic Jihad's cyber-war brigade" (on net), 17 June, http://www.menassat.com/?q=en/news-articles/3966-islamic-jihad-s-cyberwar-brigades [accessed: 4 November 2015].

11. Main representative of Islamic Jihad West Bank, personal communication, 16 November 2014.

12. Ayyoub, A. (2013) "Iran top backer of Palestinian Islamic Jihad" (on net), 9 January, http://www.al-monitor.com/pulse/originals/2013/01/palestinianislamic-jihad.html# [accessed: 4 November 2015].

13. Ingersoll, G. (2012) "REPORT: Jihadi hackers email Israel's military 'Tel Aviv will be a ball of fire'" (on net), 19 November, http://www.businessinsider.com/islamic-hackers-email-israel-military-2012-11 [accessed: 4 November 2015].

14. Ackerman, G. & Abu Ramadan, S. (2012) "Israel wages cyber war with Hamas" (on net), 21 November, http://www.independent.co.uk/news/world/middle-east/israel-wages-cyber-war-with-hamas-8339519.html [accessed: 2 January 2016].

15. Pollowitz, G. (2014) "Hamas wages cyber war on Domino's Pizza in Israel" (on net), 14 July, http://www.nationalreview.com/feed/382660/hamas-wages-cyberwar-dominos-pizza-israel-greg-pollowitz [accessed: 4 November 2015].

16. Ibid.

17. Gat, A. (2014) "Israeli hackers launch a 'proportionate response' to Hamas' cyber intifada" (on net), 20 July, http://www.geektime.com/2014/07/20/israeli-hackers-launch-a-proportionate-response-to-hamas-cyber-intifada/ [accessed: 4 November 2015].

18. Main representative of Islamic Jihad West Bank, personal communication, 16 November 2014.

19. Scott-Heron, G. (n.d.) "The revolution will not be televised" (on net), http://www.afropoets.net/gilscottheron2.html [accessed: 5 April 2016].

20. Hamas member 1, personal communication, 29 October 2014.

21. Main representative of Islamic Jihad West Bank, personal communication, 16 November 2014.

22. Ayyoub, A. (2013) "Iran top backer of Palestinian Islamic Jihad" (on net), 9 January, http://www.al-monitor.com/pulse/originals/2013/01/palestinianislamic-jihad.html# [accessed: 4 November 2015].

23. Kronenfeld, S. & Siboni, G. (2014) "Developments in Iranian cyber warfare, 2013–2014" (on net), 3 April, http://www.inss.org.il/index.aspx?id=4538&articleid=6809 [accessed: 4 November 2015].

24. Halper, J. (2015) The War Against the People: Israel, the Palestinians and Global Pacification. London: Pluto Press, p. 47.

25. Ibid., p. 69.

26. Ibid., p. 137.

27. Cook, J. (2013) "Israel's booming secretive arms trade" (on net), 16 August, http://www.aljazeera.com/indepth/features/2013/08/201381410565517125.html [accessed: 4 November 2015].

28. Shamah, D. (2014) "Qatari tech helps Hamas in tunnels, rockets: expert" (on net), 31 July, http://www.timesofisrael.com/qatari-tech-helps-hamas-in-tunnelsrockets-expert/ [accessed: 4 November 2015].

29. D'Souza, D. (2006) "What's great about America" (on net), 23 February, http://www.heritage.org/Research/Reports/2006/02/Whats-Great-About-America [accessed: 5 April 2016].

30. Shamah, D. (2014) "Qatari tech helps Hamas in tunnels, rockets: expert" (on net), 31 July, http://www.timesofisrael.com/qatari-tech-helps-hamas-in-tunnels-rockets-expert/ [accessed: 4 November 2015]..

31. Guest (2013) "KDMS – crawl out from under the rocks" (on net), 11 October, http://pastebin.com/01iaU9z4 [accessed: 4 November 2015].

32. mr.leon, personal communication, 28 September 2014: "Lā yūjad faraq min al-D. iffa…

Mithl Farīq Ghad. ab Falast.īn lākin alān mushāghil al-h. ayyā faraqthum" ("There is no team from the West Bank… Like team Anger of Palestine, but they are not pursuing their social lives").

33. mr.leon, personal communication, 11 September 2014: "Fī hādhā al-s.ayf kān ikhtirāqatnā d. a ʿīfa jiddan" ("Our attacks were really weak this summer").

34. Bamford, J. (2014) "Israel's N.S.A. scandal" (on net), 16 September, http:/www.nytimes.com/2014/09/17/opinion/israels-nsa-scandal.html?ref=opinion&_r=0 [accessed: 4 November 2015].

35. Main representative of Islamic Jihad West Bank, personal communication, 16 November 2014.

36. Shafei, F. (2015) "Gaza's cybercriminals get rich hacking Internet-based phone lines" (on net), 28 August, http://www.al-monitor.com/pulse/originals/2015/08/gaza-rafah-hacking-phone-calls.html# [accessed: 4 November 2015].

37. Ibid.

38. Haury, A. C. (2012) "10 of the most costly computer viruses of all time" (on net), 24 May, http://www.investopedia.com/financial-edge/0512/10-of-themost-costly-computer-viruses-of-all-time.aspx [accessed: 14 November 2015].

39. al-Ghoul, A. (2013) "Credit card fraud goes unpunished in Gaza" (on net), 20 June, http://www.al-monitor.com/pulse/originals/2013/06/gaza-credit-card-fraudelectronic-warfare.html# [accessed: 4 November 2015].

40. See for example: Hobsbawm, E. (2001) Bandits. London: Weidenfeld & Nicolson.

41. Salah, H. (2014) "Gaza hackers prepare for next assault on Israel" (on net), 20 February, http://www.al-monitor.com/pulse/originals/2014/02/gaza-hackers-cyberwarfare-israel.html# [accessed: 4 November 2015].

42. mr. leon, personal communication, 28 September 2014: "Nah.nu bi-shakl ʿāmm sā ʿdnā jamī ʿal-hākkir al- ʿrabī min khilāl al-durūs wa al-durrawāt ʿlā tat.wīr mahārāthum fī ikhtirāq wa wad. ṭ uruq jadīda".

43. Quoted in: Shafei, F. (2015) "Gaza's cybercriminals get rich hacking Internetbased phone lines" (on net), 28 August, http://www.al-monitor.com/pulse/originals/2015/08/gaza-rafah-hacking-phone-calls.html [accessed: 04 November 2015].

44. This must not be confused with the term "honeypot" used in computing which is used to detect unauthorized use of information systems.

45. Krebs, B. "Malware spy network targeted Israelis, Palestinians" (on net), 12 November, http://krebsonsecurity.com/2012/11/malware-spy-network-targetedisraelis-palestinians/ [accessed: 4 November 2015].

هل تهمّ المادة حقاً؟ الازدواجية الفلسطينية حول الجهاد الإلكتروني:

1. al-Aqsa Martyrs' Brigade militant, personal communication, 15 October 2014.

2. Ibid.

3. Ibid.

4. Ibid.

5. Ibid.

6. PFLP and PLC member, personal communication, 9 September 2014.

7. al-Aqsa Martyrs' Brigade militant, personal communication, 15 October 2014.

8. PFLP and PLC member, personal communication, 9 September 2014.

9. Cambridge Dictionaries Online (n.d.) "Object" (on net), https://dictionary.cambridge.org/dictionary/english/object?a=british [accessed: 4 November

2015].

10. Leonardi, P. (2010) "Digital materiality? How artifacts without matter, matter" (on net), First Monday – Peer-Reviewed Journal on the Internet, vol. 15 (6), http://firstmonday.org/ojs/index.php/fm/article/view/3036/2567 [accessed: 4 November 2015].

11. Ibid.

12. PFLP and PLC member 2014, personal communication, 9 September.

13. Ravid, B. (2012) "PA president: as long as i am in power, there will be no third intifada" (on net), 1 November, http://www.haaretz.com/israel-news/papresident-as-long-as-i-am-in-power-there-will-be-no-third-intifada-1.473852 [accessed: 4 November 2015].

14. al-Aqsa Martyrs' Brigade militant, personal communication, 15 October 2014.

15. Ibid.

16. Press TV Documentaries (2014) "At the heart of the siege: Hacker Force" (on net), 31 October, http://www.presstvdoc.com/Default/Detail/12951 [accessed: 4 November 2015], 12:27–13:00.

17. Abufarha, N. (2009) The Making of a Human Bomb. An Ethnography of Palestinian Resistance. Durham, London: Duke University Press, p. 80.

18. Jamāl Juma ,' personal communication, 9 November 2014.

19. Ibid.

20. Ibid.

21. Ibid.

هل هو استمرار للكفاح المُسلّح؟:

1. Dahan, M. (2013) "Hacking for the homeland: patriotic hackers versus hacktivists". In: Hart, D. (ed.) Proceedings of the 8th International Conference on Information Warfare and Security ICIW-2013. International Conference on Information Warfare and Security. Denver, Colorado, 25–26 March 2013.

Reading, UK: Academic Conferences and Publishing International Limited.

2. Quoted in: Darweish, M. & Rigby, A. (2015) Popular Protest in Palestine: The Uncertain Future of Unarmed Resistance. London: Pluto Press, p. 76.

3. See for example: Gilbert, D. (2013) "WhatsApp, AVG and Alexa hacked by pro-Palestinian KDMS Team hackers" (on net), 8 October, http://www.ibtimes.co.uk/KDMS Team-pro-palistinian-hackers-whatsapp-avg-512269 and Meusers, R. (2013) "Website-Umleitung: WhatsApp, AVG und Avira von Hackern angegriffen" (on net), 9 October, http://www.spiegel.de/netzwelt/web/server-von-whatsapp-und-antiviren-herstellern-gehackt-a-926872.html [both accessed: 12 November 2015].

4. There are several ways to describe the activities of hackers, where some are described as white hat hackers (ethical hacker to ensure web security), black hat hackers (hacker violating security, often for the sake of mischief) and lastly the grey hat hacker (hacker whose activities fall between the white and black hat hacker often acting illegally but with good intentions).

5. Doxing (abbreviation of documents) is a term used to describe the act of researching and finding personal identifiable information about groups or individuals and publishing them. This includes public databases, social media and sometimes also hacking.

6. KDMS Team, personal communication, 17 November 2014.

7. KDMS Team, personal communication, 21 December 2014.

8. Ibid.

9. Ibid.

10. KDMS Team, personal communication, 17 November 2014.

11. Zone-H (2013) "Defacement of bitdefender.com" (on net), 12 October, http://www.zone-h.org/mirror/id/20965099 [accessed: 12 December 2014].

12. KDMS Team, personal communication, 21 December 2014.

13. Cluley, G. (2013) "AVG and Avira anti-virus websites attacked by pro-Palestinian hackers" (on net), 8 October, https://grahamcluley.com/2013/10/avg-website-palestinian-hackers/ [accessed: 12 November 2015.

14. Darweish, M. & Rigby, A. (2015) Popular Protest in Palestine: The Uncertain Future of Unarmed Resistance. London: Pluto Press, p. 159.

15. Ibid., p. 82.

16. Peteet, J. (1996) "The writings on the walls: the graffiti of the Intifada". Cultural Anthropology, vol. 11 (2), p. 140.

17. Darweish, M. & Rigby, A. (2015) Popular Protest in Palestine: The Uncertain Future of Unarmed Resistance. London: Pluto Press, p. 7.

18. Dahan, M. (2013) "Hacking for the homeland: patriotic hackers versus hacktivists". In: Hart, D. (ed.) Proceedings of the 8th International Conference on Information Warfare and Security ICIW-2013. International Conference on Information Warfare and Security. Denver, Colorado, 25–26 March 2013. Reading: Academic Conferences and Publishing International Limited, p. 54.

19. Ibid., p. 55.

20. Ibid., p. 54.

21. Žižek, S. (2011) Did Somebody Say Totalitarianism? Five Interventions in the (Mis) Use of a Notion. London, New York: Verso Books, p. 131.

22. Jordan, T. & Taylor, P. A. (2004) Hacktivism and Cyberwars: Rebels with a Cause? New York, London: Routledge Taylor & Francis, p. 68.

23. Ibid.

24. Ibid., p. 69.

25. Ibid., p. 26.

26. Ibid.

27. Hopkins, N. (2013) "MI5 chief 's criticism of Snowden and the Guardian is hardly unexpected" (on net), 9 October, http://www.theguardian.com/uk-news/2013/oct/09/mi5-chief-snowden-guardian-andrew-parker [accessed: 12 November 2015].

28. Palfrey, J. (2010) "Four phases of Internet regulation". Social Research, vol. 77 (3), p. 992.

29. Bender, J. (2014) "Israel: cyber is a bigger revolution in warfare than gunpowder" (on net), 4 February, http://www.businessinsider.com/the-internetis-the-next-battlefield-2014-2?IR=T [accessed: 12 November 2015].

30. Deibert, R. J. (2003) "Black code: censorship, surveillance, and the militarization

of cyberspace". Millenium – Journal of International Studies, vol. 32 (3), p. 518.

31. Caspit, B. (2015) "IDF to unify cyber warfare units" (on net), 18 June, http://www.al-monitor.com/pulse/originals/2015/06/israel-idf-cyber-intelligencenew-unit-eisen-kot-war-future.html [accessed: 12 November 2015].

32. Halper, J. (2015) The War Against the People: Israel, the Palestinians and Global Pacification. London: Pluto Press, p. 116.

33. Kerr, D. (2014) "How Israel and Hamas weaponized social media" (on net), 13 January, http://www.cnet.com/news/how-israel-and-hamas-weaponizedsocial-media/ [accessed: 12 November 2015].

34. Ibid.

35. Ravid, B. (2013) "Prime Minister's Office recruiting students to wage online Hasbara battles" (on net), 13 August, http://www.haaretz.com/israel-news/.premium-1.541142?-date=1447338665976 [accessed: 12 November 2015].

36. Deibert, R. J. (2003) "Black code: censorship, surveillance, and the militarization of cyberspace". Millenium – Journal of International Studies, vol. 32 (3), p. 518.

أفكار أخيرة:

1. Jordan, T. & Taylor, P. A. (2004) Hacktivism and Cyberwars: Rebels with a Cause? New York, London: Routledge Taylor & Francis Group, pp. 74–75.

2. Hiluxanon (2012) "Anonymous #OpIsrael" [YouTube], 17 November, https://www.youtube.com/watch?v=q760tsz1Z7M [accessed: 17 November 2015].

3. Kashyap, P. (2013) "Major list of Israeli websites and leaked data which have been defaced for #OpIsrael (updated)" (on net), 6 April, http://www.hackersnewsbulletin.com/2013/04/major-list-of-israel-websites-which.html [accessed: 17 November 2015].

4. LeakSource (2013) "#OpIsrael: hackers of the world uniting forces for massive cyber attack on Israel" (on net), 10 March, http://leaksource.info/2013/03/10/opisrael-hackers-of-the-world-uniting-forces-for-massive-cyber-attack-onisrael/ [accessed: 17 November 2015].

5. Gaza Hacker Team (n.d.) "TKL: ma lūmāt á nnī" ("TKL: information about me") (on net), http://gaza-hacker.net/cc/member-u_22361.html [accessed: 17 November 2015]. The website is no longer accessible.

6. Gaza Hacker Team (n.d.) "ehabneo: rasā il al-zuwwār" ("ehabneo: visitors' messages") (on net), http://gaza-hacker.net/cc/member-u_17723.html [accessed: 17 November 2015]. The website is no longer accessible.

7. Gaza Hacker Team (n.d.) "Mr_AnarShi-T: rasā il al-zuwwār" ("Mr_AnarShi-T: visitors' messages") (on net), http://gaza-hacker.net/cc/member-u_17661.html [accessed: 17 November 2015]. The website is no longer accessible.8. Gaza Hacker Team (n.d.) "mr. stalin: rasā il al-zuwwār" ("mr.stalin: visitors' messages") (on net), http://gaza-hacker.net/cc/member-u_10847.html [accessed: 17 November 2015]. The website is no longer accessible.

9. Zone-H (2012) "defacement of cyaltako.com" (on net), 29 August, https://zone-h.org/mirror/id/18271710?zh=1 [accessed: 3 October 2014].

10. Gaza Hacker Team (n.d.) "BlackRose: rasā il al-zuwwār" ("BlackRose: visitors' messag- es") (on net), http://gaza-hacker.net/cc/member-u_17559.html [accessed: 17 November 2015]. The website is no longer accessible.

11. Gaza Hacker Team (n.d.) "Th-Mx: rasā il al-zuwwār" ("Th-Mx: visitors' messages") (on net), http://www.gaza-hacker.net/cc/member-u_10531.html [accessed: 17 November 2015]. The website is no longer accessible.

12. Gaza Hacker Team (n.d.) "HANINE: rasā il al-zuwwār" ("HANINE: visitors' messages") (on net), http://gaza-hacker.net/cc/member-u_18793.html

[accessed: 17 November 2015]. The website is no longer accessible.

13. Gaza Hacker Team (n.d.) "Micha: ma lūmāt ánnī" ("Micha: information about me") (on net), http://gaza-hacker.net/cc/member-u_11764.html [accessed: 17 November 2015]. The website is no longer accessible.

14. Gaza Hacker Team (n.d.) "zaradusht: rasā il al-zuwwār" ("zaradusht: visitors' messages") (on net), http://www.gaza-hacker.net/cc/member-u_23023.html [accessed: 17 November 2015]. The website is no longer accessible.

15. Gaza Hacker Team (n.d.) "aywanvictori: rasā il al-zuwwār" ("aywanvictori: visitors' messages") (on net), http://gaza-hacker.net/cc/member-u_13543.html [accessed: 17 November 2015]. The website is no longer accessible.

16. Gaza Hacker Team (n.d.) "llord: rasā il al-zuwwār" ("llord: visitors' messages") (on net), http://www.gaza-hacker.net/cc/member-u_26569.html [accessed: 17 November 2015] The website is no longer accessible.

17. mr.leon, personal communication, 10 September 2014: "shay á kīd anna shabakat al-intirnit ja á lat al- ā lam qarriya s.aghīra".

18. Ibid: "wa al-jānib al-akthar ahamiyya huwwa tajma' al-hākkir al- á rabī wa al- ā lamī li-hadaf wa al-istifāda min khibrāthim li-ikhtirāqt yumkin al-istifāda minhā wa īs.āl risāla min khilālhā".

19. al-Akhbār (2010) "al-Jihād al-Iliktrūnī min al-Azhar ilā 'al-Qā ida' ("Electronic Jihad from al-Azhar to al-Qaeda") (on net), 23 December, https://www.alakhbar.com/node/443 [accessed: 4 January 2016].

20. Ibid.

21. Boccolini, H. (2009) "Morocco: hackers target Israeli websites to protest over Gaza" (on net), 16 January, http://www1.adnkronos.com/AKI/English/Security/?id=3.0.2916686513 [accessed: 4 January 2016].

22. Arab Times (2009) "Fatwā Sa ů diyya T. āzija … T. āli á min al-Farn al-Yawm … al-Jihād al-Iliktrūnī D.

idd al-Mawāqi ' al-Iliktrūniyya al-Isrā ' īliyya H.arām wa Mamnū " ("New Saudi Arabian fatwa … from al-Furn al-Yawm … Electronic Jihad against Israeli websites are unlawful and forbidden") (on net),

19 April, http://www.arabtimes.com/portal/news_display.cfm?Action=&Preview=No&nid=3781&a=112/17 [accessed: 4 January 2016].

23. T. ālib al-Mas ' ūdī (2009) al-Jihād al-Iliktrūnī D. idd al-Mawāqi ' al-S.ahyūniyya

Ghayr Jā ' iz !! Fatwā S.ālih. al-Fawzān [al-Ghadīr Forum], 20 April, http://www.room-al-ghadeer.net/vb/showthread.php?t=15924 [accessed: 4 January 2016].

24. Anwār 88: Ibid.

25. Islam (2009) Ayd.

an al-Jihād al-Iliktrūnī Muh. arram … ' Ud.d.ū Hī át Kubbār al-Ů lamā ' fī al-Saů diyya: Ikhtirāq wa Tadmīr al-Mawāqi ' al-Iliktrūniyya

al-Yahūdiyya "Lā Yajūz"!! [al-Quds talk forum], 18 April, http://www.alqudstalk.

com/forum/showthread.php?t=1505 [accessed: 4 January 2016].

26. FireEye (2014) Regional advanced threat report: Europe, Middle East and Africa 1H2014. Milpitas, California: FireEye, p. 18.

27. Harel, A. (2013) "Israel's enemies are able to launch major cyber attack, defense expert says" (on net), 9 June, http://www.haaretz.com/israel-news/.premium-1.528588?-date=1451903680278 [accessed: 4 January 2016].

28. Harman, D. (2014) "Cyber-defenders warn: Israel vulnerable to attack" (on net), 28 December, http://www.haaretz.com/world-news/.premium-1.633845 [accessed: 4 January 2016].

29. Dalton, W. (2012) "Israel–Gaza ceasefire takes hold, but will cyber-war relent?" (on net), 23 November, http://www.itproportal.com/2012/11/23/israel-gazaceasefire-takes-hold-but-will-cyber-war-relent/#ixzz3w6QTSgY9[accessed:4January2016].

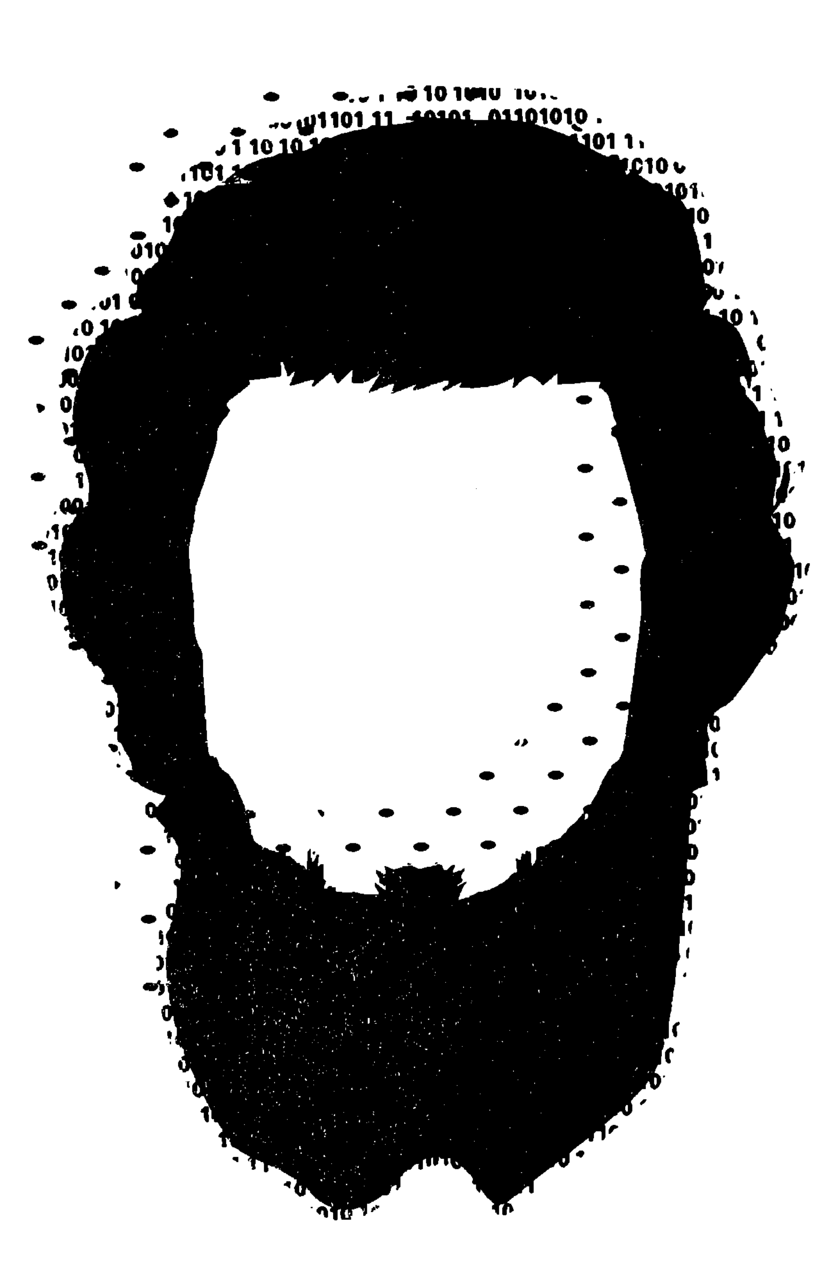
الخاتمة:

1. Rogaway, P. (2015) "The moral character of cryptographic work". Asiacrypt 2015. Auckland, New Zealand, 2 December, p. 1.[a

2. Kelly, K. (1996) "The Electronic Hive: Embrace It". In: Kling. R. (ed.) Computerization and Controversy: Value Conflicts and Social Changes. San Diego, San Francisco, New York, Boston, London, Sydney, Tokyo: Morgan Kaufmann, p. 78

فهرس المحتويات


مكتبة
t.me/soramnqraa



يقدم هذا الكتاب الممتاز نظرة رائعة على الجيل الجديد من الشباب الفلسطيني ومعركتهم اليومية في الفضاء الإلكتروني من أجل تحرير فلسطين. يجب أن يقرأه أي شخص يريد أن يفهم الاتجاهات المستقبلية في الصراع الفلسطيني الدائم.

إيلان بابيه

يأخذنا هذا الكتاب الرائد إلى عالم سري للخصوصية الفلسطينية. من خلال سلسلة من المقابلات المتعمقة، يقدم سكاريه رواية متوازنة وأصيلة عن الهاكر الفلسطينيين، وأيديولوجيتهم ودورهم في المقاومة.

آن ستينرسن

رواية جذابة ومثيرة للإعجاب عن كيفية إعادة هندسة الحقائق على الأرض إلى أسئلة في الفضاء السيبراني. استكشاف مذهل للنسيج المشترك المعقد للجوانب الاجتماعية والتقنية لنزاع مستمر التصاعد.

بول تايلور





ISBN 978-88-85771-71-0
9 788885 771710
المتوسط